ارکادی ستروجاتسکی
بوریس ستروجاتسکی

الكوكب البعيد ...

(قصة علمية خيالية)

АРКАДИЙ СТРУГАЦКИЙ
БОРИС СТРУГАЦКИЙ

ДАЛЁКАЯ РАДУГА

Издательство «Знание»
Москва

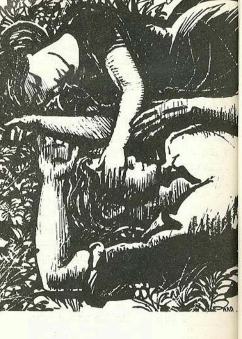
На арабском языке

УДК 8—312. 9—927

الفصل الاول

كانت راحة يد «تانيا» الدافئة ، والخشنة الملمس قليلا ، تطبق على عينيه ، فتملأ عليه الدنيا . . . حتى لم يعبا باى شيء آخــر . واحس برائحة التراب مالحة ومرة . وسمــع ضحيج الطيور البريـــة التى بدأت تستيقظ . . . وكان العشب اليابس يخزّ ويدغدغ قفاه . وبالرغم من خشونة وصعوبة الاضطجـاع هناك ، اذ كانت رقبته تحكه بصورة لا تطاق ، فانه لم يحرك ساكنـا . فقد كان ينصت الى انفاس تانيـــا الهادئة المنتظمة . وابتسم لنفسه ، وسره ان الظلام يلف الكون فيخفى ابتسامتــه التى كانت فى ظنه بلهـــاء وطافحة بالغبطة الى درجة غير لائقة .

انطلقت فى برج المختبر اشارة باستدعائه . جاءت الاشارة فى غير المكان والزمان الملائمين . ليكن ، فليست هذه هى المرة الاولى . وبدا لصاحبنا فى هذه الامسية بالذات ان كل اشارات الاستدعـــاء لا تناسب المكان والزمان .



وهمست تانيا قائلة :ـ«روبيك» . اتسمع ؟
فغمغم روبرت :ـ انني لا اسمع شيئا على الاطلاق .
وحرك اهداب عينيه مدغدغا راحة يد تانيا . وبدا كل شيء بعيدا ... بعيدا ، وغير ضروري البتة . حتى باتريك ، المشدوه دائمــا بسبب قلة النــوم ، كان بعيدا . وكذلـك مالياتف ، الذى يشبـه بحركاتــه وسكناته ابا الهول الجليدى ... كان بعيدا ايضا . وكل العالم الذى يعيشون فيـه ، عالم السرعة الدائمة والمناقشات العقلانية المستمرة ، وعدم الرضى والقلق الدائم ، هذا العالم الذى تنعدم فيه المشاعر ، ويحتقر فيه الوضوح والذى لا يسر ّ فيه الا لكل ما هو غامض وغريب .. والذى نسي فيه الناس انهم رجال ونساء ــ كان هذا العالم بعيدا ... بعيدا جدا عنه ... وكل ما كان يحس ّ بوجوده هو الصحراء الملتفحة بعتمة الليل، الممتدة عبر مئات الكيلومترات ... الصحراء القاحلة الجرداء فقط ، بعد ان ابتلعت حر ّ النهــار ، فبدت دافئة ، مليئة بالروائح الفامضة المثيرة ..
انطلقت اشارة جديدة . وقالت تانيا :
ــ مرة اخرى .
ــ ليكن . انني لست موجودا هنــا .. انني ميت . لقد التهمتني الزواحف . وانني فى تمام الرضى . فانني

احبك . ولا اريد الذهـــاب الى اى مكان . ولِمَ ؟ او ذهبت لو كنت مكانى ؟

ــ لا ادرى .

ــ انك تقولين ذلك لانك لا تحبينني بدرجة كافية . فالانسان الذى يحب بدرجة كافية لا تراوده الرغبة فى الذهاب الى اى مكان ابدا .

ــ انك نظرىّ فى التفكير .

ــ هذا غير صحيح . فانا عملى ، وانطلاقا من ذلك اسألك : مــا الذى يلزمنى ان اذهب فجأة ، الى مكان ما ؟ .. على الانسان ان يعرف كيف يحب . وانتم لا تعرفون ذلك ، فانكم تحكمون عقولكم فى قضايا الحب . انكم لا تحبون الحب ! بل تحبون التأمل فيه بعقل . اوه .. هل انا كثير الثرثرة ؟

ــ نعم ، الى درجة فظيعة .

رفع يدها عن عينيه ، ووضعها على شفتيـــه ، وعندئذ رأى السماء الملفعة بالغيوم ، وانوار الارشاد الحمراء المضيئـــة فوق عوارض البرج على ارتفـــاع عشرين مترا .

ودوت اشارة الاستدعاء بلا انقطاع . وتخيل روبرت وجه باتريك الغاضب وهو يضغط على زرّ الاشارة ، ماطًا شفتيه الغليظتين الطيبتين بانزعاج .

وغمغم روبرت :

ــ ساقطع خط اتصالك معى . تانيا .. اتريدين ان اجعله يصمت الى الابد ؟ ليكن كل شىء ابديـــا . ليكن حبنا ابديا ... وليصمت باتريك الى الابد .

ورأى فى الظلام وجهها الابلج ، وعينيهــا الواسعتين البراقتين . وسحبت يدها قائلة :

ــ دعنى اتكلم معه . ساقول له بانني وهم . ففى الليل تتبدى الاوهام دائما ..

ــ ولكنه لا يرى اوهاما ابدا . انه ، يا عزيزتى ، انسان من نوع آخر . وهو لا يخدع نفسه ابدا ؟

ــ اتريد ان اقول لك من هو ؟ اننى احب كثيرا ان اتنبأ بشخصية الانسان بواسطـــة اشارات التليفون المرئى . انه شخص عنيد شرير ، تعوزه اللباقة . وما من شىء يدفعه يوما للجلوس مع امرأة فى البرية ليلا . اننى هكذا اراه ـ وكأنى انظر فى كتاب ! اما عن الليل ، فلا يعرف عنه سوى عتمته .

وقال روبرت العادل :

ــ كلا ، صحيح ان من الصعب اغراءه ، ولكنـــه انسان طيب ورقيق وسلس القياد .

فقالت تانيا : لا اصدق ذلك . فاسمع (ينصتان) ، ايشبه هذا انسانا ساذجا . انه tenasem propositi virum* جلىّ الملامح .

* رجل عنيد فى بلوغ مراميه (هوراشيو) .

ـ حقا ؟ ساقول له ذلك .

ـ قل له . اذهب وقل له ذلك .

ـ الآن ؟

ـ فورا !

ونهض روبرت ، وبقيت هي جالسة ، محتضنة ركبتيها بذراعيها . وقالت بلهجة رجاء :

ـ ولكن قبلني اولا .

وفي المصعد استند بجبهته على الجدار البارد ، وبقي كذلك بعض الوقت ، مغمضا عينيه . . ضاحكا ، وماسحا شفتيه بطرف لسانه . كان رأسه خاليا من الافكار سوى من صوت داو منتصر ، يصرخ بكلمات مبعثرة : «انها تحبني ! تحبني انا ! تحبني انا ! . . ايها الناس ! انها تحبني انا !» . ثم ادرك بان المصعد قد توقف منذ زمن طويل ، وحاول فتح الباب . ولكنه لم يعثر عليه فورا . وفي المختبر لاحظ كثرة قطع الاثاث الزائدة ، فقد راح يسقط المقاعد ويحرك الطاولات ، ويصطدم بالدواليب ، ثـم ادرك بانه نسي ان يضيء النور . وغمرته موجة من الضحك ، فتحسس زر النور . . ورفع المقعد وجلس الى جهاز التليفون المرئي .

وعندمـا ظهر على الشاشة وجـه باتريك الناعس ، حيّاه روبرت بلهجة ودية قائلا :

ـ مساء الخير ، يا خنزيري الصغير ! ما الذى يعكر عليك صفو نومك ، يا شحروري الصغير ، يا بلبلي ؟

نظر باتريك اليه متعجبـا ، واخذ يغمض ويفتح جفنيه المتورمين :

ـ ما الامر يا جروى الصغير ؟ نبحت . . ونبحت ، وقطعت عليّ اعمالي الهامة ، وها انت تصمت الآن !

واخيرا فتح باتريك فاه ، وقال :

ـ لديك . . انت . .

ودقّ بقبضة يده على جبينه ، وظهر على وجهه تعبير متسائل ـ ها ؟ ورد روبرت بتعجب : ـ طبعا ، اية . . وحدة ! اية وحشة ! وعلاوة على ذلك فتظهر اوهام ايضا ! كدت انسى !

وسأل باتريك بجد :

ـ ألست تمزح ؟

ـ كلا ! ان المرء لا يمزح وقت العمل . ولكن لا تلق بالا لذلك ، وابدأ العمل .

طرف باتريك متشككا . ثم اعترف قائلا :

ـ انني لا افهم ما تقول .

وقال روبرت بشماتة : ـ ومن اين لك ذلك ! انها العواطف ، يا باتريك ! اتعرف ؟ . . كيف لي ان اشرح لك ذلك ببساطة ، ليكون الامر اكثر وضوحا . . يمكن القول بانه غضب لا يخضع تماما للعمليات الحسابية ويحدث في تركيبات منطقية شديدة التعقيد . . مفهوم؟

فاجابه باتريك : ـ أهـا . وحكّ ذقنه باصابع يده ، واطرق مفكرا .

ـ اتعرف لم دعوتك الآن يـا روب ؟ هذه هي المسالة : حدث تسرّب جديد في احدى المناطق . وقد لا يكون تسربا ، ولكن احتماله قائم ، ايضا . وعلى اى حال ، فيجب ان تختبر الاولموترونات . لان «الموجة» اليوم غريبة حقا . . .

وجه روبرت نظرات حائرة خلال النافذة المفتوحة على مصراعيها . وكان قد نسى تماما موضوع الانفجار . فتذكر انه انما يجلس هناك من اجل مراقبة الانفجار ، لا لان ثانيا موجودة هنا .. بل لانه حدثت «موجة» هناك في احدى المناطق .

وسال باتريك ، وهو يحاول ضبط نفسه :

ـ لم انت صامت ؟

ـ انني انظر ، كيف تسير «الموجة» هناك .

قال روبرت ذلك بعصبية ، وجحظت عينا باتريك من الدهشة وقال :

ـ هل ترى الموجة ؟

ـ انا ؟ من اين لك هذا الرأى ؟

ـ لقد قلت لى توا بانك تنظر اليها .

ـ نعم ، انني انظر . . .

ـ اذن ؟

ـ هذا كل ما هناك ، وماذا تريد مني ؟

وعندئذ بدأت عينا باتريك بالارتخـاء من جديد .

ـ انني لم افهمك . عن اى شيء كنا نتحدث ؟ آه ، نعم . افحص الاولموترونات فورا .

ـ هل تعى مـا تقول ؟ كيف يمكنني ان افحص الاولموترونات ؟

فقال باتريك :

ـ بطريقة ما . بطريقة الاتصال مثلا .. لقد ضعنا تماما . ساشرح لك الامر الآن .. لقد ارسلوا من المعهد الى الارض اليوم كتلة .. وانت تعرف ذلك طبعا . . . .

قال باتريك ذلك محركا اصابعه الممدودة امام وجهه ـ وكنا نتوقع حدوث «موجة» ذات طاقة كبيرة ، ولكن لم تسجل أجهزتنا الا نافورة ضعيفة . اتفهـم جوهر المسالـة ؟ نافورة ضعيفة .. مجرد نافـورة . . . ـ واقترب من عدسة التليفون المرئى الى حد ظهرت فيه على الشاشة عين واحدة فقط .. عين ضخمة .. متعبة من قلّة النوم . وكانت اهدابها ترمش باستمرار .

وردد الميكروفون صوتا راعدا يصمّ الاذان ، يقول : افهمت ؟ ان الاجهزة تسجل عندنا مجالا شبه صفرى . ويشير عدّاد (يونج) الى الحد الادنى .. ويمكن اهمال ذلك ، فان مجالات الاولموترونات تتراكب بطريقـة تجعل سطح التردد واقعـا في بؤرة السطح الفوقى .

اتتصور ذلك ؟ والمجال شبه الصفرى ذو تركيب عشرينى ، يصنفه جهاز الاستقبال الى ستة تراكيب زوجية .. لذا فان البؤرة سداسية التركيب .

كان روبرت يفكر فى تانيا . . وكيف انها تجلس تحت ، تنتظره ، بصبر . وفى هذه الاثناء كان باتريك يهمهم ، مقتربا من الشاشة تارة ، ومبتعدا تارة اخرى . وكان صوته يجلجل مرة ، ويخفت مرة اخرى الى درجة يصعب معها سماعه . اما روبرت فقد انقطع حبل تفكيره بسرعة كما هى العادة معه دائما . فأخذ يهزّ رأسه ، ويقطب جبينه بشكل مصطنع . ثم يرفع حاجبيه ويخفضهما . ولكنه لم يفهم مما يقال شيئا على الاطلاق . وكان يشوب تفكيره احساس بالخجل الذى لا يطاق ، لان تانيا جالسة هناك فى الاسفل ، واضعة ذقنها بين ركبتيها ، وهى تنتظره حتى ينهى حديثه الهام والذى لا يدركه غير المتخصصين ، مع كبار علماء فيزياء المطلق فى الكوكب ، من اجل ان يقول لكبار فيزيائيى المطلق هؤلاء وجهة نظره الطريفة للغاية حول المسألة التى دعت الى تكدير صفو راحته فى هذه الساعة المتأخرة من الليل، ومن اجل ان يسجل فيزيائيو المطلق فى مذكراتهم وجهة نظره هذه ، وهم فى غاية العجب ، ويهزون رؤوسهم . .

وعند ذلك صمت باتريك ونظر اليه بتعبير غريب على وجهه . وكان روبرت يعرف جيدا هذا التعبير ، اذ انه

يلاحقه طيلة حياته . فقد كانوا ينظرون اليه ، رجالا ونساء هكذا . كانوا ينظرون اليه فى اول الامر بعدم مبالاة او بودّ ، وبعد ذلك بترقب ، ثم بفضول ، ولكن عاجلا او آجلا ، سرعان ما كانت تحلّ اللحظة التى تجعلهم يوجهون اليه نظراتهم هذه . وفى كل مرة لم يكن يعرف ماذا عليه ان يفعل وماذا يقول ، وكيف يتصرف ويتمالك نفسه .. وكيف سيستمر فى العيش فى المستقبل .

وقرر ان يجازف ، فقال بنبرة يشوبها الاهتمام :

— اعتقد انك على حق . على انه يجب التفكير فى ذلك بدقة وامعان .

وخفض باتريك بصره . . وقال مبتسما بحرج :

— فكر . ولا تنسى رجاء ان تفحص الاولموترونات .

انطفأت الشاشة ، وخيم السكون على المكان . وجلس روبرت ، محنيا ظهره ، قابضا بيديه على مسندى المقعد الخشنين الباردين . لقد قال احدهم يوما بان الاحمق الذى يعرف حمقه ، انما يثبت بذلك انه غير احمق . ربما كان الامر كذلك فى زمن من الازمان . لكن الكلام الاحمق يبقى احمق دائما ، وانا لا استطيع التصرف بطريقة اخرى . اننى انسان ظريف جدا ذلك لان كل ما اقوله عتيق ، وكل ما افكر فيه مبتذل ، وكل ما تسنّى لى عمله — كان قد تم عمله قبل قرنين من الزمان . اننى

لست غبيـــا فحسب ، ولكننى غبى فريد من نوعه ، يستحق عرضه فى احد المتاحف ، مثل صولجان زعيم القوزاق . وتذكر كيف حدق العجوز نيتشيبورينكو مرة فى عينيـه المملوءتين وفاء ، وقـال : «يا عزيزى سكلياروف ، انك خلقت كالالهة القديمة . وانت كـاى اله – وارجو المعذرة – لا تنسجم مع العلم» .

سمعت قرقعة شىء ما ينكسر . وتنفس روبرت الصعداء ، وحدق باستغراب الى قطعـة المسند التى تمسك بها قبضته البيضاء . وقال بصوت مسموع :

– نعم ، اننى استطيع عمل ذلك . ولكن باتريك لا يستطيع . وكذلك نيتشيبورينكو . انا وحدى استطيع ذلك .

ووضع جزء المسند على المائدة ، ونهض واتجه نحو النافذة . كان الظلام والحرّ يخيمان على الجو فى الخارج . ربما على ان انصرف بنفسى قبل ان يطردونى . . . ولكن كيف سأحيا بدونهم ، وبدون ذلك الاحساس الغريب الذى ينتابنى صباح كل يوم . . بانه ربمــا ستتمزق اليوم ، آخر الامر ، تلك الغلالة غير المرئية او الملموسة فى الدمـــاغ ، والتى هى سبب كونى لست كالآخرين . وسأبدأ بدورى بتفهم كلام الآخرين بمجرد التلميــح . وسأرى فجأة فى خليط الرموز المنطقية والرياضية امرا مفهوما ليس فيه اى لبس ، وعندئذ سيربت باتريك

على كتفى ويقول بسرور : «هذا رائع ! كيف تسنى لك ذلك ؟» . وسيضطر مالييـايف مجبرا على الاعتراف : «موهبة ، موهبة . . انها لا تطفو على السطـح . .» . وعندئذ سابدأ باحترام نفسى .

كان لا بد من فحص الاولموترونـــات ، ولا بأس بجلوس تانيا لتراقب كيف اقوم بذلك . ومن حسن الحظ انها لم تشاهد ملامح وجهى عندمــــا انطفأت الشاشة . وصاح من النافذة :

– تانيا ، صغيرتى !

– ماذا . . ؟

– تانيا ، اتعرفين ان روجر نحت فى العام الماضى تمثال «شباب العالم» منى ؟

صمتت تانيا ، ثم قالت بصوت خافت :

انتظر ، سأصعد اليك .

* * *

كان روبرت يعرف بان الاولموترونات فى أحسن حال ، كان يشعر بذلك ، ومع هذا قرر اختبار كل ما يمكن اختباره فى ظروف المختبر ، من اجل التنفيس عن نفسه بعد الحديث الذى دار مع باتريك اولا ، وثانيا لانه كان يجيد ويحب العمل اليدوى . وكان ذلك يجلب

اليه المتعة دائما ، ويولد فيه لفترة ما احساسا سارا بقيمته وفائدته ، بدونه لا تطاق الحياة فى زماننا .

وفى البداية جلست تانيا – وهى الفتاة الرقيقة واللطيفة – صامتة تراقبه عن كثب ، ولكنها اخذت تمد له يد العون فيما بعد .. وهى صامتة ايضا . وفى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، دعاه باتريك ثانية بالتليفون المرئى . فاخبره روبرت ان ليس هناك اى تسرب ، وكانت تبدو على باتريك علائم الحيرة . وبقيت صورته على الشاشة بعض الوقت ، وكان يتنفس بصعوبة وهو يجرى بعض الحسابات على قطعة من الورق ، ثم لفّها على شكل انبوبة ، وسأل كالعادة بحماس : «والآن ، بم يجب ان نفكر بهذه المناسبة ، يا روب ؟» .

حول روبرت بصره لتانيا ، التى خرجت لتوها من حجرة الحمام ، ومن ثم جلست بهدوء الى جانب التليفون المرئى ، فاجاب روبرت بحذر بانه لا يرى فى ما يجرى ما يستحق الاهتمام . واضاف : «انها نافورة دورية عادية ، ومثلها تولدت بعد اجراء تجربة النقل المطلق فى الفضاء يوم امس . وكذلك نشأت مثل هذه النافورة فى الاسبوع الماضى ايضا» . وفكر قليلا ، ثم اردف قائلا بان طاقة النافورة توازى حوالى مائة جرام من الكتلة المنقولة . وصمت باتريك طيلة الوقت ، وبدا لروبرت

انه يتردد . واستطرد روبرت قائلا : «المسألة كلها تنحصر فى الكتلة» . ونظر الى عداد يونج ، وكرر بثقة :

– نعم ، مائة او مائة وخمسون جراما . وكم اطلقتم اليوم ؟ فاجاب باتريك :

– عشرين كيلوجراما .

– آه ، عشرون كيلوجراما .. اذن ، فليس الامر على ما يرام .

وعندها مضت فى رأس روبرت فكرة ، فسأل :

– وبموجب اية معادلة اجريت حساب الطاقة ؟

فاجاب باتريك بلا اهتمام :

– بموجب معادلة «دراميا» .

وكان ذلك بالذات ما يعتقده روبرت ، اذ ان الحساب بموجب معادلة «دراميا» دقيق الى حد كاف . ولكن كان لدى روبرت منذ زمن بعيد معادلة عامة خاصة به ، والتى ضبطها وسجلها وحتى انه علّمها واحاطها باطار ملون ، لقياس طاقة الانفجار المتولد عن تحلل المواد . ويبدو انه قد حانت اللحظة الحاسمة المناسبة لان يظهر لباتريك جميع مميزات هذه المعادلة .

وما ان تناول روبرت القلم ، حتى اختفت صورة باتريك من على الشاشة فجأة . وانتظر روبرت وهو يعضّ على شفته . وسمع صوتا يقول : «هل تريد ايقاف الارسال ؟» . ولم يجب باتريك . وظهرت على

الشاشة صورة كارل هوفمان ، فحيـا روبرت بهزة مرتبكة ودودة من رأسـه ، ونادى باتريك قـائلا «باتريك ، اتود قول شيء آخر ؟» . وهمهم باتريك من بعيد : «انى لا افهم كل ذلك . وارى انه يجب دراسة الامر بالتفصيل» . وكرر هوفمان : «انا اسالك ، اتود قول شيء آخر ؟» فاجاب باتريك بعصبية : «كلا ، كلا . .» . وعندئذ قال هوفمان مبتسما ابتسامة تعبر عن الشعور بالذنب : «ارجو المعذرة يا روب . اننا نستعد للنوم هنا . وساقطع الاتصال . حسناً ؟» .

اطبق روبرت على اسنانه ، حتى انه شعر بصرير خلف اذنيه . ووضع الورقة امامه بحركة بطيئة مقصودة . ثم سطّر مرات عديدة معادلته المنشودة ، وهزّ كتفيه.. وقال بلهجة مرحة :

— هذا ما كنت اتوقعه . كل شيء واضح . لنشرب القهوة الآن .

وعندها اجتاحه شعور بالكراهية تجاه نفسه الى اقصى حدّ . وجلس فترة من الزمن قبالة الدولاب الذى يحوى الاوانى ، الى ان تمالك نفسه . وقالت تانيا : «اعدّ القهوة ، انت . حسنا ؟» .

— ولم انا ؟

— اعدها انت . وساكتفى بمراقبتك .

— ماذا حدث لك ؟

— اننى احب ان اراقبك اثناء العمل . انك تعمل بكفاءة تصل الى حد الكمال . ولا تقوم باية حركة غير ضرورية .

فقال : — كالآلة الاوتوماتيكية .

قال ذلك ، ولكن غمره شعور بالارتياح .

— لا ، ليس كالآلـة الاوتوماتيكيـة . انـك تعمـل بكمال . والكمال يجلب للنفس السرور دائما .

ثم غمغم : — «شباب العالم» . واكتسى وجهـه بالحمرة من فرط الرضى والارتياح .

اخذ يرتب الاقداح ، ثم دفع المائدة الى محاذاة النافذة . فجلسا اليها ، وصبّ القهوة . وجلست تانيا الى جانبه ، واضعة ساقا فوق ساق . كانت رائعـة الجمال ، وانتابه من جديـد شعـور لذيـذ بالعجـب والحيرة . فقال :

— تانيا . هذا امر غير ممكن . انت وهم .

فابتسمت تانيا .

— يمكنك الضحك ما حلى لـك ذلك . انا اعرف بدونك ، ان مظهرىبائس الآن . ولكننى لا استطيـع ان اغيرّ نفسى . حتى ان لى رغبة فى ان اضع رأسى تحت ابطك واهزّ «ذيلى» . الى ان تربتى على ظهرى ، وتقول : «اوه ، يالك من احمق صغير !» .

فقالت تانيا :

— اوه ، يالك من احمق صغير . . .

— اتريدين ان اضع فى عنقى طوقا ؟ او كمامة على وجهى . . .

فقالت تانيا :

— لا داعى للكمامة ، فما حاجتى لك وانت فى كمامة ؟

— وما حاجتك لى بدون كمامة ؟

— انت تعجبنى بدونها .

فقال روبرت : — وهم سمعى . ما الذى يعجبك في ؟

— لك ساقان جميلتان .

كانت ساقا روبرت هما نقطة ضعفه . لقد كانتا قويتان ، ولكنهما غليظتان جدا . وعند نحت تمثال «شباب العالم» اخذت بدلا منهما ساقا كارل هوفمان .

وقال روبرت :

— هذا ما كنت اظنه . — وشرب بجرعة واحدة ما تبقى في قدحه من القهوة الباردة .

— عندئذ ساقول لك ، لم احبك . انا انانيّ . وربما كنت آخر انانى على «الارض». وانا احبك لانك الشخص الوحيد الذى يمكن ان يخلق لدى مزاجا طيبا .

فقالت تانيا : — هذا هو تخصصى .

— تخصص رائع . ولكن مما يؤسف له ، هو انك تجلبين السرور الى قلب الكبير والصغير . وبـالاخص الصغار . تجلبينه لاناس غرباء عنك تماما ، ولهم سيقان طبيعية .

— شكرا ، يا روبى .

— عندما كنت مؤخرا فى مدينة الاطفال لاحظت صبيا صغيرا ، اسمه فالا . . او فاريا ، اشقر . . فى وجهه نمش وله عينان خضراوان . وقالت تانيا :

— الصبى فاريا ؟

— لا تتصنعى الجهل . فانا اتهم . اذ ان هذا الصبى فاريا ، ذا العينين الخضراوين ، تجرأ على ان يوجه اليك نظرات جعلت قبضتى تتحفز .

— هذه غيرة انانى متطرف .

— طبعا ، غيرة .

— وتصور الآن مدى غيرته هو ؟

— ماذا . . ؟

— تصور باى عينين نظر اليك ، الى تمثال «شباب العالم» الذى يعلو مترين . رياضى مفتـول العضلات ، وسيم ، ومن فيزيائيى المطلق . . وهو يحمل المربية على كتفه ، وهى مفتونة به .

وضحك روبرت من فرط سعادته .

— كيف يا تانيا ؟ لكنا كنا آنذاك وحدنا !

— انتم كنتم وحدكم ! اما نحن فى مدينة الاطفال فلا نكون وحدنا ابدا .

وقال روبرت ماطا كلماته :

— ن . . . هم . انى اتذكر تلك الاوقات ، اتذكرها . مربيات جميلات ، وُبلهاء من ابناء الخامسة عشرة .

لقد بلغ بى الامر الى حد انى كنت ارمى الزهور فى النافذة . اسمعى ، أوَ غالبا ما يحدث ذلك ؟

فقالت تانيا وهى مطرقة فى التفكير : — كثيرا جدا . وبالاخص لدى الفتيات . فهن يصلن سن البلوغ مبكرا . اما المربون عندنا ، فانت تعرف اى اناس هم ؟ ملاحو نجوم ، وابطال . . وهذا يعتبر بلبلة فى عملنا الى الآن .

وفكر روبرت . . بلبلة ، وكانت هى ، طبعا ، مسرورة جدا بهذه البلبلة . وكلهم يفرحون بالبلبلات . فهذه بالنسبة لهم حجة ليس لها مثيل من اجل هدم الحواجز . وهكذا فهم يهدمون طوال حياتهم الحواجز الواحد تلو الآخر .

وقال : — تانيا . ما معنى كلمة احمق ؟

فاجابت تانيا : — انها كلمة سباب .

— وبالاضافة الى ذلك ؟

— الاحمق هو رجل مريض لا تجدى جميع الادوية نفعا فى علاجه .

وعارضها روبرت قائلا :

— هذا ليس الاحمق . بل الدعى .

— ليس الذنب ذنبى ، بل هو مثل يابانى : «والحمق داء ما له دواء» .

وقال روبرت : — ها . اذن ، فالعاشق احمق ايضا .

«العاشق هو عليل ، لا يرجى شفاؤه» . لقد خففت عن خاطرى .

— وهل انت عاشق ؟

— انا من لا يرجى شفاؤه .

انحسرت الغيوم ، فكشفت عن السماء المرصعة بالنجوم . واقترب الصباح . وقالت تانيا :

— انظر . ها هى الشمس . .

وتساءل روبرت بلا حماس : اين ؟

واطفأت تانيا المصباح ، وجلست على ركبتيه ، واضعة خدها على خدّه ، ثم قالت له شارحة بلهجة تربوية :

— هاهى اربع نجوم . . اتراها ؟ فهذه «ضفيرة الحسناء» والى يسار اعلى واحدة منها نُجمة صغيرة شاحبة . هناك ولدنا كلنا ايتها الفتيات . ولقد ولدت انا اولا ، وانتن من بعدى . هذه هى شمسنا . وفى الحقيقة ان «اولينكا» ولدت هنا فى كوكب «قوس قزح» ، بينما والديها ولدا هناك ايضا . وبعد سنة سنسافر فى فترة العطلة الصيفية ، مع كل المجموعة ، الى هناك . وقال روبرت بصوت يشبه الفحيح :

— احقا ياتاتيانا الكساندروفنا ! احقا ، سنطير الى هناك ؟ آه ، رائع ! — وطبع قبلة على خدها — وكيف سنطير جميعا ؟ على متن سفينة النجوم «سيجما — د» !

استطير جميعا ؟ آه ، وهل بالامكان ان اخذ معي عروستي ؟ آه ، والصبي فاريا يمكن ان يقبل ! — وقبلها مرة اخرى .

ولفت ذراعيها حول رقبته .

— ان فتياتي لا يلعبن بالعرائس .

رفعها روبرت على ذراعيه ، ثم نهض ، وتجاوز المائدة بحذر ، وعندئذ فقط لاحظ في ضوء الاجهزة الباهت المخضر هيئة انسان طويل القامة جالسا على المقعد المواجه لطاولة العمل . فجفل وتوقف عن السير .

وقال الشخص الجالس هناك :

— اعتقد انه قد حان الاوان لاشعال الضوء . — عرف روبرت فورا شخصية المتكلم .

وقالت تانيا : — ها هو شخص ثالث معنا دعني يا روب .

وحررت نفسها منه ، وانحنت باحثة عن حذائها الذى سقط على الارض .

وقال روبرت بانزعاج : — اتعرف يا كاميل .

قال كاميل : — اعرف .

فقالت تانيا وهي تلبس فردة الحذاء :

— يا للعجائب . لن اصدق ابدا بان كثافة السكان عندنا هي نسمة واحدة في كل مليون كيلومتر مربع . هل لك بفنجان من القهوة ؟

فقال كاميل : — كلا ، شكرا جزيلا .

واشعل روبرت الضوء . كان كاميل ، كشأنه دائما ، يجلس في وضعية غير مريحة تماما ، وبشكل يصدم الناظر اليه . وكان يلبس كالعادة خوذة بيضاء مصنوعة من البلاستيك ، تغطي جبهته واذنيه . وعلى وجهه ارتسم التعبير المعتاد عن الضجر المتسامح . ولم يبدو في عينيه المدورتين الخاملتين اى تعبير ، لا الفضول ولا الخجل .

وساله روبرت وهو يعشى بتأثير النور :

— أانت هنا منذ فترة وجيزة على الاقل ؟

— منذ فترة قليلة . ولكنني لم انظراليكما ، ولم استمع الى حديثكما .

فقالت تانيا بمرح ، وهي تصفف شعرها :

— شكرا يا كاميل . انك لبق جدا .

فقال كاميل : — ان العاطلين فقط هم الذين تعوزهم اللباقة .

وانتاب روبرت الغضب . فقال :

— وبالمناسبة يا كاميل ، ما الذى تفعله هنا ؟ وما هو هذا الاسلوب المضجر في الظهور كالاشباح ؟

فاجابه كاميل بهدوء :

— ساجيبك على اسئلتك ، بالترتيب . — وكان هذا هو اسلوبه في الحديث ايضا . اذ كان يجيب على الاسئلة بالترتيب . — لقد اتيت الى هنا بمناسبة بدء الانفجار

وانت تعلم جيدا يا روبرت ــ واغلق عينيه من الضجر ــ بانني آتي الى هنا كلما يبدأ الانفجار فى الجبهة المقابلة لموقعكم . وبالاضافة الى ذلك . . . ــ وفتح عينيه، واخذ ينظر الى الاجهزة بعض الوقت صامتا ــ وبالاضافة الى ذلك ، فانك تعجبني يا روبي .

نظر روبرت بطرف عينيه لتانيا . وكانت تستمع باهتمام متزايد ، وتوقفت رافعة بيدها المشط . . .

واردف كاميل قائلا بملل :

ــ اما فيما يتعلق بسلوكي ، فانه غريب . ان سلوك اى انسان غريب . . . ولا يبدو طبيعيا الا بالنسبة للشخص نفسه .

وقالت تانيا بغتة :

ــ كاميل ، ما هو حاصل ضرب ستمائة وخمسة وثمانين فى ثلاثة ملايين وثمانمائة الف وثلاثة وخمسين؟

ولعجب روبرت الشديد لاحظ على وجه كاميل شيئا يشبه الابتسامة . كان منظرا بشعا . فقد كانت هذه الابتسامة تشبه ابتسامة عداد يونج لو كان فى وسعه ان يبتسم .

واجاب كاميل :

ــ كثيرا . حوالى الثلاثة مليارات .

وتنهدت تانيا قائلة : ــ غريب .

فسأل روبرت ببلادة : ــ ما وجه الغرابة ؟

فقالت تانيا شارحة : ــ مسألة الدقة . قل لى يا كاميل، لم لا تشرب قدحا من القهوة ؟

ــ شكرا جزيلا . انا لا احب القهوة .

ــ اذن الى اللقاء . ان الطيران الى مدينة الاطفال يستغرق اربع ساعات يا روبيك . هل ستودعني الى اسفل ؟

فاجاب روبرت بالايجاب ، ونظر الى كاميل بكدر . بينما اخذ كاميل يتفحص العداد «يونج» كما لو كان ينظر الى نفسه فى مرآة .

* * *

بزغت الشمس فى السماء الشديدة الصفاء ، كما هو الحال دوما على كوكب «قوس قزح» ــ وبدت الشمس بيضاء صغيرة تحيطها ثلاث هالات. وهدأت الرياح الليلية، وازداد الجو اختناقا . وبدت السهوب ذات اللون البنى المصفر والمغطاة بالسبخات الجرداء ميتة . وظهرت فوق السبخات تلال ضبابية صغيرة متموجة من ابخرة الاملاح المتطايرة .

اغلق روبرت النافذة ، وفتح جهاز التهوية . ومن ثم ، اصلح بفن وعناية يد المقعد المكسورة . وسار كاميل بنعومة وهدوء فى ارجاء المختبر ، متطلعا من النافذة المطلة على الجهة الشمالية . ويبدو انه لم يكن

يشعر بالحرّ ابدا ، بينما كان الشعور بالحر يصيب روبرت حالما ينظر اليه ـ الى سترته البيضاء السميكة ، وسراويله الطويلة البيضاء ، وخوذته الكروية اللامعة . وكانت مثل هذه الخوذات تلبس احيانا اثناء اجراء تجارب فيزياء المطلق : اذ كانت تقي لابسيها من الاشعاعات .

وكان على روبرت ان يقضي يوما كاملا في المناوبة ، اي اثني عشرة ساعة في الشمس الحارقة فوق السطح ، الى ان تمتص الانفجارات ، وتزول كل آثار تجربة الامس . وخلع روبرت سترته والسراويل ، وبقي في ملابسه الداخلية فقط . وكان جهاز التهوية يعمل باقصى طاقته . ومع ذلك فلم يكن بالامكان عمل شيء .

كان من الافضل لو رشّت الارض بالهواء السائل المضغوط . ولكن كميته قليلة وهناك حاجة ماسّة له من اجل المولّد . وفكر روبرت وهو خائر القوى ـ ينبغي تحمل ذلك . وجلس ثانية امام الاجهزة . ما اعظم ان يكون ولو المقعد باردا ، ولا يلتصق قماشه بالجسم.

وكما يقال ، فاهم شيء ان يكون المرء في مكانه . ومكاني هنا . وانا اؤدي مهامي الصغيرة بشكل ليس اسوأ من الآخرين . وفي نهاية الامر فان الذنب ليس ذنبي في انني لا املك القدرة على القيام بما هو اكبر . على ان القضية ليست في كوني في محلي الملائم ام لا . فانا لا

استطيع الخروج من هنا حتى لو اردت ذلك . انني مقيد الى هؤلاء الناس ، الذين يثيرون اعصابي ، والى هذا المشروع الخيالي الضخم ، الذي لا افهم منه شيئا .

وتذكر انه كان لا يزال تلميذا في المدرسة عندما اهالته فكرة تحقيق هذه المهمة : اي ان تنتقل في اسرع من لمح البصر الاجسام المادية في الفراغ المطلق . وكانت هذه المهمة مطروحة على الرغم من كل شيء ، على الرغم من جميع التصورات الموجودة حول الفضاء المطلق وحول الزمن الفضائي ، «وكابا ـ الفضاء» . . . وكانوا يسمون هذا عند ذلك بـ «ثغرة في طية ريمانوفا» . . ثم اطلقوا عليه «التسرب المركز» و«سيجما ـ التسرب» و «الرزمة المطلقة» . واخيرا ، اطلقت عليه تسمية النقل المطلق ، او باختصار «ن ـ مطلق» . فظهرت عبارات «جهاز ـ ن ـ المطلق» و «قضايا ـ ن ـ المطلق» و «رجل تجارب ـ ن ـ المطلق» و «فيزيائي ـ ن ـ المطلق» . وعندما يطرح السؤال : «اين تعمل ؟» ويأتي الرد : «فيزيائي المطلق» ترى نظرة مبهورة مقرونة بالاعجاب : «اسمع، حدثني رجاء عن معنى ـ فيزيائي المطلق ؟ فانا لا استطيع ان افهم ذلك» . «ـ وانا ايضا» . هكذا اذن . . .

وفي الحقيقة ، لقد كان بالمستطاع الحديث عن ذلك بعض الشيء . عن تلك العلاقة العجيبة للقوانين الاولية

لحفظ الكتلة ، عندما يؤدى نقل مكعب صغير من البلاتين ، بواسطة الفضاء المطلق ، فى منطقة خط الاستواء لكوكب «قوس قزح» ، الى توليد نافورات هائلة من العناصر الحديثة التكوين فى قطبى الكوكب — غير معروف لماذا فى القطبين بالذات — ، وحزمة من اللهب تعمى الابصار ، و «موجة» سوداء رهيبة ، تحمل خطر الموت لكل ما هو حى ...

وبالامكان كذلك الحديث عن المنازعات الشديدة فى الآراء الناشبة بين علماء فيزياء المطلق ، والتى تبعث الخوف فى النفوس ، وعن الانشقاقات بين هؤلاء الناس الذين ينتزعون اعجاب الآخرين ، والذين يخيل اليك انهم يجب ان يعملوا كتفا لكتف ، ولكنهم يقفون على طرفى نقيض من بعضهم البعض (ولو ان هذه الحقيقة لا يعرفها الكثيرون) ، فاذا كان ايتين لاموندوا يقود ابحاث فيزياء المطلق باتجاه تطوير حقل النقل المطلق ، فان مدرسة الفيزيائيين الشبان تعتبر اهم مسالة فى ابحاث المطلق هى «الموجة» ... عفريت العلم الحديث هذا ، والذى انطلق من قمقمه ! ...

وبالامكان ايضا الحديث عن مسالة عدم امكانية تحقيق النقل المطلق للكائن الحى ، لاسباب غير واضحة ، ووصول الكلاب المسكينة ، التى تلقى العذاب دائما وابدا ، فى المراحل النهائية للتجارب متناثرة الاشلاء ..

وكانها خبث من مادة عضوية ... او عن طيارى السفر المطلق .. اولئك «العشرة الذين لا يشق لهم غبار» ، برئاسة جابا العظيم ... عن اولئك الرجال ذوى البنية القوية ، والذين اعدوا اعدادا خارقا ، لكنهم ما زالوا يتسكعون فى ارجاء الكوكب منذ ثلاثة اعوام ، وهم على اتم استعداد لدخول سفن الانطلاق بدلا من الكلاب ...

وقال كاميل فجاة : — سنفترق عما قريب يا روبى .

وانتفض روبرت الذى كان النعاس يغالب اجفانه . كان كاميل واقفا عند النافذة الشمالية ... وظهره الى روبرت . واستقام الأخير ، ومسح وجهه براحة يده .. فبللها العرق . وتساءل : لم ؟

— العلم . انه شىء بلا أمل يا روبى .

وتمتم روبرت قائلا : — اننى اعرف ذلك منذ زمن بعيد .

— العلم بالنسبة لك تيه لا مخرج منه . ففيه مواقف غامضة وزوايا مظلمة وانعطافات مفاجئة . فلا ترى شيئا سوى الجدران . ولا تعرف شيئا عن الهدف النهائى . فانك تقول مثلا بان هدفك هو بلوغ نهاية اللانهاية .. فمعنى ذلك انك بكل بساطة تعلن عن انعدام الهدف . وان مقياس النجاح ليس فى بلوغ الطريق الى النهاية ، ولكن بلوغ طريق البداية . وكل سعادتك تكمن فى انك غير قادر على تجسيد الاشياء المجردة . فالهدف والخلود ...

واللانهاية – مجرد كلمات بالنسبة لك . وهى ليست الا مقولات فلسفية مجردة .. وهى لا تعنى شيئا فى حياتك اليومية . ولكن اذا ما شاهدت هذا التيه باجمعه من فوق ..

وصمت كاميل . وانتظر روبرت قليلا ، ثم ساله قائلا :

– وانت ، هل رأيته ؟

لم يجب كاميل . فقرر روبرت الا يلح عليه بالسؤال . فتنهد ووضع ذقنه على قبضتيه ، واغمض عينيه . وقال فى نفسه – ان الانسان يتحدث ... ويعمل . وكل ذلك هو ظواهر خارجية لما يكنه فى اعماقه . ان لغالبية الناس طبيعة تافهة ، لذا فان اية حركة من حركاتها ، كقاعدة ، تظهر بسرعة بشكل ثرثرة فارغة واشارات وايماءات لا معنى لها . ويبدو ان ذلك يظهر لدى الرجال من نوع كاميل بشكل فى غاية القوة ، والا فانها لا تبرز الى السطح . آه لو تسنى لى التطلع الى اعماقه ولو بعين واحدة . وتمثلت لروبرت مثل هاوية فاغرة فاها ، وفى قاعها تتحرك ظلال فوسفورية .

لم يكن كاميل يتمتع بحب احد . وكان معروفا من قبل الجميع .. فلم يكن هناك من انسان على كوكب «قوس قزح» لا يعرف كاميل . – ولكن لم يحبه احد . ولو كنت اعانى من الوحدة التى يحياها لفقدت عقلى ،

اما كاميل فلم يكن يهمه الامر البتة . فقد كان وحيدا دائما . وكان محل سكناه مجهولا . فقد كان يظهر فجأة ، ثم يختفى فجأة . وكانت خوذته البيضاء تظهر تارة فى العاصمة ، وتارة فى البحر الواسع .. وهناك افراد يؤكدون بانهم رأوه مرات عديدة ، فى آن واحد هنا وهناك . ان ذلك طبعا من الاساطير الشعبية المحلية ، ولكن الواقع ان كل ما يقال عن كاميل يبدو اشبه بالفكاهة . وكان اسلوب قوله «انا» و «انتم» غريبا . ولم ير احد كيف يعمل ، فمن وقت لآخر يحضر الى «المجلس» ، ويقول هناك اشياء غير مفهومة . ويتسنى احيانا فهمه ، وعندئذ لا يستطيع اى شخص ان يعارض رأيه . وقال لاموندوا مرة بانه يحس بنفسه الى جانب كاميل كالحفيد الساذج امام جده الحكيم . وبشكل عام ، هناك انطباع بان جميع الفيزيائيين على الكوكب ابتداء من ايتين لاموندوا وانتهاء بروبرت سكلياروف ، هم فى مستوى واحد ...

واحس روبرت بانه سيسلق بعد قليل بعرقه المتصبب . فنهض واتجه الى غرفة الحمام . ووقف تحت تيار الماء البارد ، حتى انكمشت بشرة جلده بسبب البرد ، ولم تفارقه الرغبة فى دخول الثلاجة والنوم فيها .

عندما عاد الى المختبر ، كان كاميل يتحادث مع باتريك . كان باتريك يقطب جبينه – ويحرك شفتيه

بحيرة وينظر الى كاميل نظرة فيها تشكي واستعطاف .
وتحدث كاميل بضجر واناة :

— حاول ان تأخذ بنظر الاعتبار جميع العوامل الثلاثة . العوامل الثلاثة مرة واحدة . ولا يحتاج الامر هنا الى اية نظرية ، بل الى بعض القابلية للتصور الحرّ فحسب . الحدث — المطلق في الفراغ الجزئي في كل من الاتجاهين المؤقتين . هل تستطيع ذلك ؟

هزّ باتريك رأسه بحركة بطيئة . وكان مظهره يبعث على الأسى . وانتظر كاميل لحظة ، ثم هز كتفيه واغلق التليفون المرئي . وقال روبرت بحدة وهو يمسح جسمه بمنشفة خشنة :

— ولم هذا يا كاميل ؟ انها فظاظة ، وفيها اهانة .

وهز كاميل كتفيه مرة اخرى — وكانت هذه الحركة تحدث عنده وكأن رأسه المدفون في الخوذة يغطس في مكان ما بين كتفيه ثم يقفز عائدا الى مكانه .

وقال : اهانة ؟ ولم لا ؟

لم يكن بامكان روبرت الاجابة على ذلك . واحسّ بصورة غريزية بانه لا فائدة من مجادلة كاميل في الموضوعات الاخلاقية . لان كاميل لن يفهم عما يدور الحديث .

فعلق المنشفة وأخذ يعد طعام الفطور . وتناولا فطورهما بصمت . واكتفى كاميل بتناول قطعة من

الخبز مع المربى وقدح من اللبن . كان كاميل دائما قليل الأكل . ثم قال :

— روبي ، الا تعرف ان كانوا قد ارسلوا «السهم» ؟

فقال روبرت : — نعم ، اول امس .

— اول امس ، .. هذا شيء سيء .

— وماذا يهمك من أمر «السهم» يا كاميل ؟

فقال كاميل بعدم اهتمام :

— ان «السهم» لا يهمني .

الفصل الثانى

طلب جوربوفسكى التوقف فى ضواحى «العاصمة» . ثم غادر السيارة وهو يقول : — لى رغبة شديدة بالتنزه .

فقال مارك فالكنشتين ، وهو يخرج من السيارة ايضا :

— لنذهب . هيا بنا .

كان الطريق المستقيم اللامع خاليا ، وبدت السهوب الممتدة على جانبيه صفراء وخضراء ، والى الامام ، وعبر خضرة النباتات الشتوية بدت جدران بيوت المدينة كبقع ملونة .

واعترض بيرسى ديكسون قائلا :

— الجو حارّ جدا . اشعر بثقله على القلب .

واقتطف جوربوفسكى زهرة من على قارعة الطريق ، وقرّبها الى وجهه . ثم قال :

— اننى احب الحرّ . تعال معنا يا بيرسى . فقد اصابك الترهل تماما .

اغلق بيرسى الباب .

— كما يحلو لكما . واقولها بصراحة ، اننى تعبت منكما ، الاثنين معا ، كثيرا خلال السنوات العشرين الاخيرة . انا رجل عجوز واريد ان ارتاح قليلا من مفارقاتكما . اعملا معروفا ، لا تقتربا منى على البلاج !

وقال جوربوفسكى :

— بيرسى ! خير لك ان تذهب الى مدينة الاطفال . والحق ، اننى لا اعرف اين تقع ، ولكن هناك اطفال ، وضحك برىء ، وبساطة فى الحياة ... وسيصرخون : عمو ! تعال تلعب لعبة الماموث !!

واضاف مارك قائلا بتهكم :

— ولكن عليك ان تحافظ على لحيتك ، فسيتعلقون بها .

دمدم بيرسى بشىء ما من تحت انفه ، وانطلق مبتعدا . وانتقل مارك جوربوفسكى الى طريق ضيق ، وسارا على مهل بمحاذاة الطريق العام .

وقال مارك ملاحظا :

— ان الشيخوخة تدب الى هذا الملتحى . حتى اننا بدانا نسبب له الضجر .

وقال جوربوفسكى : — لا ابدا — وانتزع من جيبه جهاز حاكى صغير .

— اننا لم نجلب اليه الضجر . فهو تعب فقط . ثم انه اصيب بخيبة أمل . فليس من البساطة ان ضيـع

الرجل من اجلنا عشرين عاما ، وكان شديد الرغبة فى معرفة تأثير الفضاء الكونى علينا . ولكن لامر ما لا يحدث اى تأثير علينا ... اريد ان استمع الى افريقيا ، اين بلادى افريقيا ؟ لا ادرى لم تختلط التسجيلات عندى دائما ؟ ..

وتتبع خطوات مارك على الطريق الضيق ، قابضا على الزهرة باسنانه ، وهو يعمل على ضبط جهاز الحاكى .. ويتعثر من وقت لآخر . واخيرا وجد افريقيا ، وصدحت فى السهوب الصفراء والخضراء انغام تام-تام . ونظر اليه مارك عبر كتفه ، وقال مشمئزا :- ارم هذه القذارة من فمك .

– ولماذا قذارة ؟ انها زهرة .

وهدر صوت تام-تام .

– ارجو ان تخفت صوت الحاكى .

فخفضه جوربوفسكى .

– اخفضه اكثر لوسمحت .

وتظاهر جوربوفسكى بانه يخفض صوت الحاكى . ثم سأل :

– هكذا ؟

وقال مارك موجها كلامه فى الفراغ :

– لا افهم لِمَ لَمْ احطم هذا الجهاز حتى الآن ؟

واسرع جوربوفسكى بخفض صوت الحاكى كليا ، ثم وضع الجهاز فى جيب صدره .

وواصلا السير بمحاذاة البيوت الصغيرة المختلفة الالوان ذات المنظر البهيج ، والمحاطة باشجار الليلاك ، وبدت فوق الاسطح الشباك المخروطية لاجهزة استقبال الطاقة . وعبرت الممشى قطة حمراء متسللة . فدعاها جوربوفسكى بمرح « بس ! بس! بس ! » – فاندفعت القطة واختفت فى الاعشاب الكثيفة بسرعة الوميض ، واخذت تحدق فيهما من هناك بعينين متوحشتين . وسمع ازيز النحل وهو يطير فى الجو القائظ . وسمع صوت حشرجة عميقة تشبه الزئير من مكان ما . وقال مارك :- يالها من قرية . اية عاصمة ! انهم هنا ينامون حتى الساعة التاسعة ..

وعارضه جوربوفسكى قائلا :

– لماذا تقول ذلك يا مارك . فانا مثلا ارى ان المكان لطيف جدا . فهنا نحل .. وهرّة ركضت فى ذلك الاتجاه قبل قليل . فماذا تريد بعد ؟ اتريد ان ارفع صوت الحاكى ؟

فقال مارك :

– لا اريد . انى لا احب هذه القرى الكسولة . فلا يعيش فيها سوى الكسالى .

وقال جوربوفسكى :- انا اعرفك ، اعرفك . فما تحتاجه هو النضال ، وان لا يتفق اثنان على امر ، وان تتصارع الافكار ، ولا بأس بالشجار ، ولكن هذا

ضرب من الخيال ... مهلا ، مهلا! يبدو لي انه يوجد هنا نبات القراص .. جميل ، ولكنه يسبب آلاما شديدة ...

وجلس الى جانب شجيرة كثة ، ذات اوراق كبيرة فيها خطوط سوداء . وقال مارك بشيء من الضيق :

— ولم جلست هنا يا ليونيد اندريفيتش ؟ الم تر نبات القراص من قبل ؟

— لم اره في حياتي ابدا . ولكنني قرأت عنه . اتعرف يا مارك ، دعني افصلك من طاقم السفينة ... فلقد فسدت نوعا ما ، اصبحت مدللا . ونسيت متعة الفرح بالحياة البسيطة .

فقال مارك :

— انني لا اعرف معنى الحياة البسيطة ، ولكن كل هذه الازهار والقراص والطرق والدروب غير المعبدة — كل ذلك برأيي يا ليونيد اندريفيتش يفسد الانسان . فلا يزال موجود في العالم الكثير من النقائص ، والوقت مبكر لاطلاق الآهات واظهار العجب بكل ما نراه .

واقره جوربوفسكي على رأيه ، فقال :

— صحيح ، ان النقائص موجودة . ولكنها كانت موجودة دائما وستبقى . فاية حياة تلك بدون نقائص ؟ وبشكل عام ، فالامور تسير بصورة حسنة جدا . اسمع ، ها ان احدهم يغني .. بالرغم من جميع النقائص ..

كانت تسير في الطريق باتجاههم سيارة نقل ذرية ضخمة . وجلس فوق الصناديق التي تحملها شباب مفتولي العضل ، ضخام الاجسام شبه عراة . وكان احدهم يضرب على اوتار آلة (البانجو) بجنون ، وقد تملكه الانفعال . بينما كان الباقون يهدرون :

اريد زوجة ، ولا يهم ان كانت
حسناء او قبيحة ،
ما دامت امرأة ،
امرأة بدون زوج ...

وانطلقت السيارة الذرية مارة بهما ، وانحنت الاعشاب للحظة بتأثير موجة الهواء اللافح . وقال جوربوفسكي :

— لا بدوان ذلك يعجبك يا مارك . في الساعة التاسعة الناس مستيقظون ويعملون . وهل اعجبتك الاغنية ؟

وقال مارك بعناد : — ليس هذا ما اريد ..

وانحرف الدرب ليحاذي حوضا من الاسمنت فيه ماء داكن اللون . وساروا وسط حقل من الحشائش الصفراء العالية التي تبلغ الصدر . واصبح الجو اكثر برودة — وتعلقت فوق رأسيهما اوراق شجر الاكاسيا

السوداء . وهمس جوربوفسكى قائلا : — هناك فتاة قادمة يا مارك !

تسمّر مارك فى مكانه . وبرزت من بين الاعشاب فتاة سمراء ممتلئة ، طويلة القامة ، ترتدى الشورت الابيض وسترة بيضاء قصيرة بدون ازرار . وكانت الفتاة تسحب من خلفها ، بصعوبة ملحوظة ، سلكا ثقيلا .

وقال جوربوفسكى ومارك بصوت واحد : — مرحبا !

فجفلت الفتاة السمراء وتوقفت فى مكانها . وارتسم على وجهها الخوف .

تبادل جوربوفسكى ومارك النظرات . وقال مارك بصوت مرعد : — مرحبا يا بنية ! .

فالقت السمراء بالسلك من يديها ، واطرقت ببصرها . وقالت هامسة : — مرحبا !

وقال جوربوفسكى : — لدى شعور يا مارك باننا نضايقها .

وسالها مارك بلهجة تفيض شهامة : — ربما استطيع تقديم المساعدة لك ؟

نظرت اليه الفتاة من تحت حاجبيها ، ثم قالت فجاة :

— ثعابين ..

فصرخ جوربوفسكى مرتعبا ، ورفع احدى ساقيه . ثم قالت الفتاة مفسرة كلامها :

— ثعابين بشكل عام .

ونظرت الى جوربوفسكى ، وقالت بلهجة ناعمة : اشاهدتم الشروق اليوم ؟

فقال مارك بعدم اكتراث : — لقد شاهدنا اليوم اربعة شروقات .

وضيقت الفتاة عينيها ، وعدلت من وضع خصلات شعرها بحركة موزونة . فقدم مارك نفسه على الفور :

— فالكنشتين ، مارك .

ثم اضاف جوربوفسكى قائلا :

— ملاح النجوم .

فقالت الفتاة بلهجة غريبة : — آه ، ملاح نجوم . ورفعت السلك ، وغمزت لمارك بعينيها ، واختفت بين الحشائش ، وصدر عن السلك حفيف عند سحبه على الدرب . ونظر جوربوفسكى الى مارك ، بينما تابع مارك الفتاة بنظراته . فقال جوربوفسكى :

— اذهب ، يا مارك ، اذهب . سيكون الامر منطقيا تماما . فالسلك ثقيل ، والفتاة ضعيفة .. وجميلة ، بينما انت ملاح نجوم مفتول العضل .

ووطأ مارك السلك بقدميه وهو شارد الذهن ، فارتعش السلك ، وسمع من وسط الحشائش صوت يقول :

— اسحب ، يا سيمون ، اسحب ! ...

رفع مارك قدمه بسرعة ، ثم واصلا السير . وقال جوربوفسكي : انها فتاة غريبة الاطوار . لكنها ، حلوة . وبالمناسبة يا مارك ، لِمَ لم تتزوج ؟

فسأل مارك : — بمن ؟

— على كل حال يا مارك . ولم تضع المسألة بهذا الشكل ؟ فالكل يعرف ذلك . وهي امرأة رائعة وجميلة . رقيقة جدا ومهذبة . وكان رأيي دوما بانك فظ نوعا ما بالنسبة لها . ولكنها ، كما اعتقد ، لم تكن ترى ذلك ...

فقال مارك بامتعاض : — نعم ، انني لم اتزوج . لم يحالفني الحظ .

وقادهم الدرب ثانية الى الطريق العام . وانتصبت الى اليسار صهاريج بيضاء اللون ، وظهرت امامهما مسلة فضية اللون لامعة تحت اشعة الشمس ، فوق بناية «المجلس» .

وكان المكان حولهم خاليا كما في السابق .. وقال مارك :

— كانت تحب الموسيقى كثيرا جدا . وكان من غير الممكن ان نصطحب معنا في كل تحليق آلة «الهوريولا» ! ويكفينا سماع جهاز الحاكي الذي معك . وحتى بيرسي اصبح لا يطيق الموسيقى الآن .

وكرر جوربوفسكي قائلا : — في كل تحليق . ان جوهر القضية يا مارك هو اننا اصبحنا شيوخا كبار السن

جدا . فقبل عشرين عاما لم نكن نزن الامور ، وايهما اثمن — الحب ام الصداقة . اما الآن فقد فات الاوان . ونحن ننتظر المصير المحتوم . وعلى كل حال فلا تيأس يا مارك . فلربما سنلتقي في المستقبل بنساء قد يصبحن اعز شيء لدينا في الحياة .

فقال مارك :

— الاّ بيرسي . فهو لا يصادق احدا عدانا . اما عن بيرسي عاشقا ...

تصور جوربوفسكي بيرسي كعاشق . وقال بحدس يشوبه عدم اليقين : — لكان بيرسي ابا رائعا ...

قطب مارك حاجبيه .

— لكان ذلك امرا غير عادل . ان ما يحتاجه الطفل ليس ابا جيدا ، بل معلما جيدا . اما الرجل — فيحتاج الى صديق طيب . بينما تحتاج المرأة الى رجل تحبه . وعلى كل حال ، خير لنا ان نتحدث عن الاسفار ...

كانت الساحة المقابلة لبناية «المجلس» خالية من الناس ، ووقف في المدخل اتوبيس طائر كبير قبيح الشكل .

وقال جوربوفسكي : — اود ان ارى ماتفي . لنذهب اليه سوية يا مارك .

— ومن هو ماتفي ؟

— ساعرفك به . انه ماتفي فيازانيتسين . ماتفي سيرجييفيتش وهو المدير هنا . وصديق قديم لي ، ومهنته

ملاّح نجوم . كان من اوائل من هبطوا هنـــا . واعتقد بانك يجب ان تتذكره . ولكن لا . . . كان ذلك قبـــل هذا الحين . . .

فقال مارك :ـ حسنا ، لنذهب . زيارة مجاملة . الا انى ارجوك ان تقفل مصدر الضوضاء هذا . فهذا غير لائق ونحن قرب المجلس .

* * *

كان سرور المدير بهما عظيما . وقال بصوت اجش بعد ان اجلسهما فى المقاعد :

ـ رائع ! انه لامر رائع ان طرتم الينـــا . مدهش يا ليونيد ! ما احسن ما فعلت ! فالكنشتين ؟ مارك ؟ طبعا ، طبعا . . ولكن اين صلعتك ؟ لقد قال لى ليونيد بانك اصلع الرأس . . . آه ، لقد تحدث انذاك عـــن ديكسون ، ولكن هذا لا يعنى شيئا ـ فانا اعرف الكثير من الناس ذوى اللحى والصلعات ! على ان كل هذا كلام فارغ ! ان الجو حارّ عندنا ، الم تلاحظ ذلك ؟ ليونيد انك لا تتغذى جيدا ، ان وجهك ينبىء عن اصـــابتك بالهزال ! لنتناول الغذاء سوية . . اما الآن فاسمحوا لى بتقديم بعض المشروبات . عصير البرتقال ، ام عصير الطماطم ام عصير الرمان . . . انها من انتاجنا الخاص ! نعم ، نبيذ ! نبيذنا الخاص فى كوكب «قوس قزح» ،

اتتصور ذلك ، يا ليونيد ؟ ما رأيك ؟ غريب ، ويعجبنى . . . ما هو رايك يا مارك ؟ لم اكن لا تصور يوما انك لا تشرب النبيذ ! آه ، تقول انك لا تشرب انواع النبيذ المحلية ! ليونيد . . ان عندى لك الآف الاسئلة . . ولا ادرى بم ابدأ ، وبعد دقيقة ساتحول من انسان الى مدير مسعور . الم تر فى حياتك مديرا مسعورا ابـــدا ؟ سترى ذلك الآن . . . ساحاكم الآخرين ، وانكل بهم ، واوزع عليهم الخيرات ! ساسود عليهم بعد ان اكون قد فرقتهـــم مسبقا ! انى اتصور الآن الحياة التعسة للملوك ولجميع الاباطرة الدكتاتوريين ! اسمعا يا صديقاى ، ارجو ان لا تتركانى الآن ! ساكون فى خضم العمل ، بينما ستجلسان هنا وتتعاطفان معى . فهنا لا يتفهمنى احد . . . انكما مرتاحان هنا ، اليس كذلك ؟ وسافتح النافذة ، فليدخل الهواء العليل . . انك لا تتصور يا ليونيد ، . . يمكنك يا مارك ان تنتقل الى الظل . هكذا ، اذن ، يا ليونيد ، اتفهم ماذا يجرى هنا من احداث ؟ ان كوكب «قوس قزح» قد جن جنونه ، ويجرى ذلك للسنة الثانية . . واستلقى على مقعـــده ، الذى صدر منـــــه صوت كالانين ، امام لوحة التوجيه ـ وبدا ضخم الجثة ، معتم السحنة ، كثيف الشعر ، وقد انتصب شارباه امامه كشاربى القط . . . وفتح ياقة ثوبه حتى البطن ، ونظر من فوق كتفه باستمتاع الى ملاحى النجوم ، الذين كانوا

يشربون عصير الفواكه المثلج بواسطة القصب . تحرك شارباه ، وكاد يفتح فاه ، لولا ان ظهرت على احدى الشاشات الست للوحة التوجيه صورة امرأة نحيفة جميلة المظهر ، ذات عينين حزينتين . وقالت المرأة بصوت حاد .

— ايها الرفيق المدير . انا هاجرتون ، وقد لا تتذكرني . انني اتوجه اليك حول مسألة الحاجز الشعاعي في جبل البياستر . فالفيزيائيون يرفضون ازالته .

— كيف يرفضون ؟

— لقد تحدثت مع رودريجوس — ويبدو انه يشغل هناك منصب كبير فيزيائيي المطلق . فقال ، انه ليس لك حق التدخل في عملهم . . .

فقال ماتفي :

— انه يخدعك ، يا الين ! ان مثل رودريجوس ككبير فيزيائيي المطلق ، مثل كاقحوانة او هندباء برية ! فهو ليس الا مهندس خدمات ، ويفهم في قضايا فيزياء المطلق اقل منك . سادبر الامر معه فورا .

— ارجوك كل الرجاء . . .

واخذ يغير الازرار وهو يهز رأسه . ثم زعق قائلا :

— جبل البياستر ! اعطني باجافا !

— حسنا ، يا ماتفي .

— شوتا ؟ مرحبا ، يا عزيزي ! لم لا ترفع الحاجز ؟

— لقد رفعت الحاجز . لم لا ارفعه ؟

— آها ، حسنا . بلّغ رودريجوس بان يكفّ عن مضايقة الناس ، والا فسادعوه لمواجهتي ! وابلغه بانني اتذكره جيدا ! كيف حال «موجتكم» ؟

— اتعلم ، — وصمت شوتا برهة — ، انها «موجة» تثير الاهتمام . والحديث عنها طويل ، سأحدثك عنها فيما بعد .

— اتمنى لكم التوفيق ! — وبعد ان اتكأ على حافة المقعد ، التفت الى ملاحي النجوم ، وصاح : — وبالمناسبة باليونيد ! — وبالمناسبة ! ماذا يقولون عندكم عن «الموجة» .

وسأل جوروبوفسكي ببرود : — اين عندنا ؟ — ، وواصل شرب العصير بواسطة القصبة — ، هل في «تاريل» ؟

— انت ، مثلا ، ما رأيك فيها ؟

واستغرق جوربوفسكي في التفكير . ثم قال :

— ليس لي رأي . ربما لمارك رأي في ذلك ؟

ووجه نظرات غير واثقة نحو ضابط الملاحة .

كانت جلسة مارك معتدلة ورسمية ، وهو يمسك بالقدح في يده .

فقال :

— اذا لم اخطىء في الحكم ، فان «الموجة» هذه ،

عملية تتعلق بالنقل المطلق . ومعلوماتي عن هذا الامر قليلة ، وككل ملاحي النجوم فان النقل المطلق ، يثير اهتمامي طبعا ، ـ وانحنى انحناءة خفيفة للمدير ـ ، ولكن قضايا المطلق لا تلقى اهتماما خاصا على الارض . وبرايي انها بالنسبة لاولئك الذين يدرسون فيزياء الانفصال ، على الارض مسألة خاصة جدا ، لها قيمة تطبيقية بينة .

قهقه المدير بخبث ، وقال :

ـ ما رأيك بذلك يا ليونيد ؟ مسألة خاصة ! نعم ، ان كوكب «قوس قزح» كما يبدو بعيد جدا عنكم ، وكذلك كل ما يجرى عندنا ، يبدو لكم ضئيل القيمة . عزيزي مارك ، ان هذه المسألة الخاصة جدا تملأ على كل حياتي ، بالرغم من انني لست من فيزيائيي المطلق ! او سيغمى على من شدّة الحر ! اول امس ، وفي هذه الغرفة بالذات فرّقت بنفسي بين لاموندوا وارسطوطاليس ، والآن أنظرْ الى يدي ـ ومدّ يديه الضخمتين اللتين لفحتهما الشمس ، فاعجب كل العجب ، لم لا توجد عليها خدوش وآثار العض . وكانت تحت النافذة فئتان احداهما تهدر : «موجة ! موجة !» ، والاخرى تصرخ : «النقل المطلق» . او تعتقدون ان هذه محاورة علمية ؟ كلا . لقد كان شجارا سخيفا من القرون الوسطى كالذى يحدث بين الجيران ، من اجل الطاقة

الكهربائية . اتتذكرون ذلك الكتاب المضحك ، وغير المفهوم تماما ، الذى جاءت فيه قصة ضرب رجل لانه لم يطفىء النور في المرحاض ؟ كتاب «العنزة الذهبية» او «الحمار الذهبي» ... وهكذا حاول ارسطوطاليس وزمرته ضرب لاموندوا وجماعته لان هؤلاء سيطروا على احتياطي الطاقة ... «يا قوس قزح» الطاهر ! فقبل عام كان ارسطوطاليس يسير محتضنا لاموندوا ! وكان فيزيائيو المطلق يعاملون احدهم الآخر كاصدقاء ورفاق واخوة ، ولم يخطر ببال احد ان الولع الشديد «بموجة فورستر» سيقسم اهل الكوكب الى فريقين ! في اى عالم اعيش ! فهناك نقص في كل شىء : في الطاقة ، والاجهزة ، ويحدث نزاع من اجل كل عامل مختبر غرّ ، ويسرق جماعة لاموندوا الطاقة ، ويتربص جماعة ارسطوطاليس الفرص ويحاولون تجنيد الغرباء ـ اولئك السياح الذين جاءوا الى هنا للراحة او لكتابة شىء طريف عن الكوكب ! والمجلس ، والمجلس ! ـ لقد تحول الى جهاز للتحكيم ! لقد طلبت ان يرسلوا لي القانون الروماني ... وانا اطالع في الفترة الاخيرة الروايات التاريخية فقط . ايها الكوكب الطاهر ! يبدو انني ساضطر عما قريب الى تشكيل وحدات للبوليس ، ومحكمة للمحلفين ، واخذت اعتاد على استعمال تعابير جديدة وغريبة تماما . فاول امس وعوت لاموندوا

بالمتهم ، وارسطوطاليس بالمدعى ! كما اصبحت اتلفظ بطلاقة كلمات مثل هيئة العدل ورئاسة البوليس .

واضيئت احدى الشاشات . وظهرت صبيتان مستديرتا الوجه ، فى حوالى العاشرة من العمر . وكانت احداهما ترتدى فستانا وردى اللون ، اما الأخرى ففستانا ازرق .

وهمست الصبية ذات الفستان الازرق :

ـ هيا ،تحدثى !

ـ ولم يجب ان اتحدث انا ، بينما اتفقنا على ان تتحدثى انت ...

ـ بل اتفقنا على ان تتحدثى انت !

ـ يالك من مزعجة ! ... مرحبا ، يا ماتفى سيميونوفيتش ..

ـ سيرجيفيتش !

ـ ماتفى سيرجيفيتش ، مرحبا !

وقال المدير : ـ مرحبا يا بنياتى .

وبان على وجهه تعبير كما لو انه قد نسى شيئا ما ، ثم ذكّر به . فقال : ـ مرحبا ، بعصفورتى ! مرحبا بصفيرتى !

واحمرت الصبيتان دفعة واحدة ، ثم قالتا : ـ

ـ ماتفى سيرجيفيتش ، نحن ندعوك الى مدينة الاطفال ، للاشتراك فى عيدنا الصيفى ...

ـ اليوم فى الساعة الثانية عشرة !

ـ فى الحادية عشرة !

ـ كلا فى الثانية عشرة .

وصاح المدير بحماس :

ـ سآتى ! سآتى حتما ! فى الساعة الحادية عشرة ، وكذلك فى الثانية عشرة !

اتم جوربوفسكى احتساء قدحه ، وصب لنفسه ملء قدح آخر ، ثم استلقى فى المقعد ومد ساقيه حتى بلغتا منتصف الغرفة ، ووضع القدح فوق صدره . وسيطر عليه شعور بالرضى والارتياح .

وقال : ـ ساذهب انا ايضا الى مدينة الاطفال . وساقول هناك كلمة . فليس لدى اى شاغل . كما اننى لم القِ خطابا فى حياتى ابدا ، ولدى رغبة شديدة فى تجربة ذلك .

انحنى المدير على جانب مقعده ثانية متكئا على المسند :

ـ مدينة الاطفال ! .. مدينة الاطفال .. انها المكان الوحيد الذى يسوده النظام عندنا . ان الاطفال اناس رائعون . فهم يفهمون بشكل جيد معنى كلمة «ممنوع» .. الشىء الذى لا يفهمه فيزيائيو المطلق عندنا ... كلا ! فى العام الماضى التهموا مليونى ميجاواط/ساعة ! وفى هذا العام صرفوا خمسة عشر

مليونا ، وقدموا طلبات للحصول على ستين غيرهـا . والطامة الكبرى هى انهم لا يريدون بتاتا تفهم كلمة «ممنوع» .

ولاحظ مارك :

ـ اننا ايضا لم نكن نفهم معنى هذه الكلمة .

ـ يا عزيزى مارك ! لقد كنا انا وانت نعيش فى زمن الخير . لقد كان ذلك فى فترة ازمة الفيزياء . ولم نكن نطلب اكثر مما لدينا ! ولم ؟ وماذا كان لدينا ؟ عمليات ـ د ، تراكيب الكترونية ... ولم يعمل فى حقل دراسة الاجواء المقترنة الا افراد قلائل ، وبصورة نظرية فقط . . اما الآن ؟ فان عصرنا هو عصر جنون البحث عن خفايا الفيزياء ، ونظرية التسرب ، وما وراء الفضاء ! . . ياللكوكب الطاهر ! وكل مشاكل المطلق هذه ! فالصبى الغر ، وعامل المختبر القليل الخبرة يطالب لكل تجربة تافهة يقوم بها ، بآلاف الميجاواط ، واجهزة نادرة لا يمكن صنعها على كوكبنا ، والتى تصبح غير صالحة للاستعمال بعد اجراء التجارب ... وها انتم ، مثلا ، جلبتم مائة اولموترون ! شكرا لكم على ذلك ! ولكننا نحتاج الى ستمائة اولموترون ! اما الطاقة ... الطاقة ! فمن اين لى بها ؟ فانتم لم تجلبوا لنا الطاقة . بل والادهى من ذلك انكم انتم بحاجة الى طاقة . واطلب انا وكانيكو من «الماكنة» ان تعطينا

الستراتيجية المثلى ! ولكنها ، وياللمسكينة ، لا تزيد عن ان تلوح بذراعيها ! ...

وفتح الباب على مصراعيه ، واندفع الى الغرفة رجل طويل القامة وسيم جدا وانيق الهندام . وتدلت من بين خصلات شعره الاسود اشواك نبات راعى الحمام ، وكان وجهه الجامد يعبر عن سعار بارد مكتوم .

فقال المدير مبتدئا الحديث وهو يقدم له يده :

ـ لقد كنا نتحدث عنك قبل قليل ...

وقال الرجل الداخل بصوت له رنين معدنى :

ـ ارجو قبول استقالتى . فانا اعتقد باننى غير قادر على العمل مع هولاء الناس اكثر ، ولهذا فارجو قبول استقالتى . . وارجو المعذرة ، ـ وانحنى انحناءة خفيفة لملاحى النجوم ، ـ انا كانيكو ـ مسؤول تخطيط توزيع الطاقة فى كوكب «قوس قزح» . المسؤول السابق لتخطيط توزيع الطاقة .

واسرع جوربوفسكى بسحب قدميـه على الارض الزلقة محاولا النهوض والانحناء تحية للقادم فى آن واحد . ورفع آنذاك قدح العصير فوق رأسه ، وكان منظره يشبه احد الضيوف السكارى فى مضيف القيصر الرومانى لوكولا .

وقال المدير متسائلا :

ـ ياللكوكب الطاهر ! وماذا جرى هناك ايضا ؟

— قبل نصف ساعة قام سيميون جالكين والكسندرا بوستيشيفا بوصل اسلاكهما سرا الى المحطة الكهربائية للمنطقة واخذا الطاقة الكهربائية ليومين مقدما ، — واصاب وجه كانيكو التشنج — . ان الماكينة خصصت للشرفـــاء من الناس . اننى لا اعرف مبررات بقـــاء جالكين وبوستيشيفا فى العمـــل . ولكن عملهمـــا هذا بحد ذاته يعتبر امرا غير مقبول ، ولو انه ، مع الاسف ، ليس جديدا بالنسبة لنا . ربما كان باستطاعتى تدبير امرى معهما بنفسى . ولكننى لست مصارعا يابانيا ولا بهلوانا . كما اننى لا اتعامل مع اطفال . وانا لا اسمح بان ينصب لى بعضهم المصائد والاحابيل .. فهما اخفيا التوصيل بالمحطة تحت الشجيرات المتكاثفة وراء الوادى ومدا الاسلاك عبر الطريق .. وكانا يعرفان جيدا باننى ساهب لايقاف التسرب الهائل ..— وفجأة صمت واخذ ينتزع بعصبية اشواك نبات راعى الحمام من بين خصلات شعره .

وسأل المدير وقد امتلأ وجهه بحمرة الغضب :

— واين بوستيشيفا ؟

جلس جوربوفسكى منتصبا وضمّ قدميه بشىء من الذعر ، وبان على وجه مارك اهتمام حيوى بما يجرى حواليه . فاجاب كانيكو :

— ستكون بوستيشيفا هنا بعد قليل . اننى اعتقد ايضا بانها هى صاحبة المبادرة الى هذا العمل المشين . لقد دعوتها الى هنا باسمك .

وقرب ماتفى الميكروفون الخاص بالارسال العمومى اليه وقال بصوت جهورى واطىء النبرة :

— هنا «قوس قزح» ! يتكلم المدير . ان حادث تسرب الطاقة الكهربائية معروف لدينا . ان الحادث قيد الدرس .

ونهض واتجه نحو كانيكو من الجانب ، ثم وضع يده على كتفه وقال بلهجة فيها شىء من الشعور بالذنب :

— ما العمل يا صديقى .. لقد قلت لك بان الكوكب قد جن جنونه . فتحمّل ، يا صديقى ! .. فانا اتحمل ايضا . وساعاقب بوستيشيفا الآن . وسوف لا يجلب لها السرور لقاؤها معى ، وسترى ذلك ...

وقال كانيكو : — اننى افهم ذلك .. ارجو المعذرة ، سامحنى .. فلقد كنت مسعورا من الغضب . اسمح لى بالتوجه الى المطار الكونى . ان اكثر الامور ازعاجا اليوم هو توزيع الاولموترونات .. فانت تعرف انه وصلت سفينة محملة بالاولموترونات ..

فقال المدير بحماس : — نعم ، اعرف ذلك . ومدّ ذقنه المربعة نحو ملاحى النجوم وقال : — اريد ان اقدم لك صديقى ، قائد «تاريبل» ليونيد اندريفيتش

جوربوفسكى ، وضابط الملاحة فى السفينة مــارك فالكنشتين .

وقال كانيكو وهو يحنى رأسه المملوء باشواك نبات راعى الحمام :

ــ انا مسرور بلقائكما .

احنى مارك وجوربوفسكى رأسيهما له ايضا .

وقال كانيكو دون ان يبتسم :ــ ساحاول ان يصيب السفينة اقل ضرر ممكن .ــ ثم استدار واتجه نحو الباب . وتابعه جوربوفسكى بنظره بقلق ...

وفتح الباب امام كانيكو ، فخطا جانبا بادب فاسحا الطريق للداخلين . وبدت عند المدخل الفتاة السمراء ذات السترة البيضاء المقطوعــة الازرار . ولاحظ جوربوفسكى بان «الشورت» الذى ترتديه محروق من الجانب، وان يدها اليسرى ملوثة بالهباب . وبدا كانيكو الانيق والحسن الهندام وكانه غريب قادم من المستقبل البعيد .

وقالت السمراء بصوت ناعم :

ــ ارجو المعذرة . اسمح لى بالدخول . هل دعوتنى يا ماتفى سيرجيفيتش ؟

ادار كانيكو وجهه ، وسار بحركة التفاف حولهما ، ثم اختفى وراء الباب . وعاد ماتفى سيرجيفيتش الى مقعده ، وجلس ، واستند بيديه على مسندى المقعد .

وشابت وجهه الزرقة من جديد . وبدأ بالكلام فى صوت ضعيف يصعب سماعه ، فقال :

ــ ماذا تظنين يا بوستيشيفا ، اننى لا اعرف من يقف وراء هذه الالاعيب ؟ .

وظهر على الشاشة شاب وردى السحنة ، وقد نكس قبعته الى جانب رأسه بدلال . وابتسم بمرح ثم قال :

ــ عفوا ، يا ماتفى سيرجيفيتش . اردت تذكيرك بان مجموعتين من الاولموترونات هى من حصتنا .

فتمتم ماتفى :ــ حسب الدور ، يا كارل .

فقال الفتى :ــ نحن الاوائل حسب الدور .

ــ اذن فتستلمونها قبل الآخرين .

وكان ماتفى ينظر الى بوستيشيفا طيلة الوقت ، وظل محتفظا بمظهر الغضب والصرامة .

ــ اعذرنى مرة ثانية يا ماتفى سيرجيفيتش ، ولكن سلوك جماعة فورستر يقلقنا للغاية . لقد رأيتهم يرسلون سيارتهم الى المطار الكونى .

وقال ماتفى ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة لم يتمالك ان يخفيها :ــ لا تقلق يا كارل . تصور فقط يا ليونيد ! جاء يشكو الآخرين ! ومن ؟ هوفمان ! وضد من ؟ ضد معلمــه ــ فورستر ! اذهب ، اذهب يا كارل ! فلن يستلم احد الاولموترونات بدون دور !

وقال هوفمان : — شكرا يا ماتفي سيرجيفيتش . انني وماليايف نعتمد كل الاعتماد عليك .

قال المدير وهو يحدق في السقف : — هو وماليايف !

انطفأت الشاشة ، ثم اضيئت بعد لحظة . وظهر رجل كئيب عبوس يلبس نظارات سوداء فيها ادوات خاصة مثبتة بالاطار ، ثم قال بلهجة ساخطة :

— ماتفي ، اريد التأكيد بخصوص الاولموترونات . . .

فقال ماتفي : — ان الاولموترونات ستوزع حسب الدور . . .

واطلقت السمراء آهة مصطنعة ، وانشغلت في تفحص الثقب في سروالها القصير ، ثم لحست اصبعها واخذت تمسح السخام من على مرفقها .

وقال ماتفي : — دقيقة واحدة ، يا بوستيشيفا . — ثم انحنى على الميكروفون — انتباه ، يا كوكب «قوس قزح» ! يتكلم المدير . سيجرى توزيع الاولموترونات ، التي جلبتها سفينة النجوم «تاريل» ، بموجب القائمة التي اقرها «المجلس» ، وسوف لا تكون هناك اية استثناءات . هكذا اذن ، يا بوستيشيفا . . انني دعوتك لاقول لك بانني ضقت ذرعا بك . . . لقد كنت واسع الصدر . وتحملت كل شيء . وبكلمة واحدة ، اخرى جالكين ، بانني فصلتك من العمل ، وسارسلك الى «الارض» على اول سفينة للملاحة بين النجوم .

وامتلأت عينا بوستيشيفا الواسعتان الجميلتان بالدموع فورا . وهز مارك رأسه باسى ، وبان على جوربوفسكى التأثر . ونظر المدير الى بوستيشيفا ، مادا ذقنه الى الامام . وقال : — ان بكاءك جاء متأخرا يا الكسندرا . كان يجب ان تبكى من قبل . معنا سوية .

ودخلت المكتب امرأة ترتدى تنورة «بليسيه» وبلوزة زرقاء . وكانت تسريحة شعرها قصيرة ، وتدلت خصلة شعر شقراء فوق عينيها .

وقالت وهي تبتسم مرحبة : — هالو ! ماتفي ! آمل ان لا اكون قد ضايقتك ؟ آه ! ، — ولاحظت عندئذ بوستيشيفا — ، ما الامر ؟ لم البكاء ؟ — واحتضنتها ووضعت رأسها على صدرها . — ماتفي ، انت السبب ؟ يجب ان تخجل ! يبدو انك كنت فظا معها ؟ انك تكون فظيعا احيانا ! وحرك المدير شاربيه . وقال :

— صباح الخير يا جينا . دعي بوستيشيفا وشأنها ، لقد عوقبت . انها وجهت اهانة بالغة الى كانيكو ، كما سرقت الطاقة الكهربائية . . .

فقالت جينا بتعجب : — اية سخافة ! اهدئي ، يا بنيتي ! ما معنى هذه الكلمات : «سرقت» ، «اهانت» ، «طاقة» ؟ ممن سرقت الطاقة ؟ ليس من مدينة الاطفال طبعا ! اليس الامر سيان ، من من الفيزيائيين يصرف الطاقة — الكسندرا بوستيشيفا او لاموندوا الفظيع هذا ! ؟

ونهض المدير بكل هيبته ، وقال :

ـ ليونيد ، مارك . . . هذه جينا بيكبريدج ، كبيرة بيولوجيي كوكبنا . جينا ، هذان ليونيد جوربوفسكي ومارك فالكنشتين ، ملاحا النجوم . . .

نهض الملاحان . وقالت جينا :

ـ هالو ، كلا لا اريد التعرف اليكما . . . فكيف يمكن ان تكونا ـ انتما الرجلان الوسيمان القويان ـ عديمي الاهتمام بما يدور هنا ؟ كيف تستطيعان الجلوس والنظر الى الفتاة وهي تبكي ؟

وعارضها مارك قائلا : ـ اننا لسنا عديمي الاهتمام ! ، ـ ونظر جوربوفسكي اليه بدهشة ـ ، اننا بالعكس اردنا التدخل . .

فقالت جينا : ـ فلتتدخلا اذن ! تدخلا !

وهدر صوت المدير وهو يقول : ـ اتعرفون يا رفاقي ! ان هذا الامر لا يعجبني مطلقا ! بوستيشيفا بمكنك ان تنصرفي . انصرفي . . انصرفي . . ما الامر يا جينا ؟ دعي بوستيشيفا وشانها ، واعرضي القضية التي جئت من شانها . . . وانظري ، انها ملأت جاكتتك بالدموع . بوستيشيفا ، قلت لك ان تنصرفي !

نهضت بوستيشيفا ، وقد اخفت وجهها براحتيها ، ثم خرجت . ونظر مارك نحو جينا بتساؤل . فقالت هذه :

ـ بلا شك .

عدل مارك من وضع الجاكتة ، ووجه نحو ماتفي نظرات صارمة ، ثم انحنى لجينا وخرج ايضا . ولوح ماتفي بيده بحركة خفيفة .

ـ سأتخلى عن كل شيء . فليس هناك اى ضبط . اتفهمين ما تفعلين يا جينا ؟

فقالت جينا وهي تقترب نحو المنضدة :

ـ نعم ، افهم . ان كل فيزيائك وكل طاقتك لا تعادل دمعة واحدة من دموع الكسندرا .

ـ قولي ذلك للاموندوا ، او لباجافا ، او لفورستر ، او لكانيكو مثلا . اما فيما يخص الدموع ، فلكل سلاحه . ويكفي الحديث عن هذا الموضوع ، رجاء . انني اصغي لك .

فقالت جينا : ـ نعم ، يكفي . انني اعرف بانك عنيد بقدر ما انت طيب . لذا فان عنادك ليس له نهاية . ماتفي ، انني بحاجة الى اناس . كلا ، كلا . . . ، ـ رفعت كفها الصغيرة ـ ، فان المسالة التي نقدم عليها خطيرة ومثيرة جدا . واذا ما اشرت باصبعي فقط ، هرب نصف الفيزيائيين الينا من رؤسائهم القساة .

وقال ماتفي : ـ اذا ما استدعيتهم انت ، فان الرؤساء انفسهم سياتونك راكضين .

ـ اشكرك ، ولكن ما اقصده هو صيد حيوان الكالمار . وان بحاجة الى عشرين شخصا لابعاد هذه الحيوانات من شاطىء بوشكين .

وتنهد ماتفي . ثم قال :

ــ بماذا تضايقك هذه الكالمارات ؟ ليس لدى رجال.

ــ ولوعشرة اشخاص . ان الكالمارات تنهب مصانع السمك باستمرار . ماذا يفعل رجال التجارب الآن ؟

وسرت في ماتفي موجة من الحيوية . فقال :

ــ نعم ، هذا شيء صائب . جابا . جابا ! اين جابا الآن ؟ آه ، تذكرت ... كل شيء على مــا يرام ، يا جينــا ، سيكون لديك عشرة رجال .

ــ حسنا جدا . كنت اعرف انك طيب القلب . ساذهب لتنــاول الفطور وليبحثوا عنى . الى اللقــاء يا عزيزى ليونيد . اذا رغبت في المشاركة ، فسنكون مسرورين جدا وحسب .

قال ماتفي عندما اغلقت الباب :

ــ آه ! امرأة رائعة ، ولكننى مع ذلك افضل العمل بصحبة لاموندوا ... اى رجل صاحبك مارك هذا ؟

فابتسم جوربوفسكى بارتياح ، وصبَّ لنفسه قدحا من العصير . وتمدد في مقعده مغتبطا ، وهمس قائلا : «ممكن ؟ » . وفتح جهاز الحاكى . واستلقى المدير ايضا مستندا على ظهر المقعد . وتكلم كالحالم : ــ نعم ! اتذكر يا ليونيد «البقعة العمياء» ، وصراخ ستانسلاف بيشتا في الاثير كله ... وبالمناسبة ! اتعرف ..

وجاء صوت من مكبر الصوت يقول :

ــ ماتفي سيرجيفيتش ، نبأ من «السهم» .

فقال ماتفي وهو منحن الى الامام : ــ اقرأه . . .

ــ «اننى اقطع الاتصال الآن . وساتصل بكم ثانية بعد اربعين ساعة . كل شيء على ما يرام . انطون» . ان الاتصال ردىء يا ماتفي سيرجيفيتش ، فهناك عاصفة مغناطيسية . .

وقال ماتفي : ــ شكرا ، ــ ثم التفت الى جوربوفسكى وساله بلهجة يشيع فيها الاهتمام : ــ وبالمنــاسبة ، يا ليوتيد ، ماذا تعرف عن كاميل ؟

فقال جوربوفسكى : ــ اعرف بانه لا ينزع خوذته ابدا . لقد سألته مرة عن هذا الموضوع بالذات، عندما كنا نسبح . فاجاب جوابا مباشرا .

ــ وما رأيك فيه ؟

استغرق جوربوفسكى في التفكير ثم قال :

ــ اننى اعتقد بان ذلك من حقه .

لم يكن جوربوفسكى يود الحديث عن هذا الموضوع . واخذ ينصت الى الحان التام ــ تام الافريقية فترة من الوقت ، ثم قال :

ــ اتعرف يا عزيزى ماتفي ، لا ادرى ماذا حدث حتى يعتبرنى الجميع صديق كاميل . وكلهم يسالوننى عن هذا الامر كيف ولماذا . الا اننى لا احب هذا الموضوع . فاذا كان لديك اسئلة محددة فتفضل . . .

قال ماتفي : ــ نعم ، لدى بعض الاسئلة . اليس كاميل مجنونا ؟

ـ ك . . . لا ، من اين لك هذا ! انه ببساطة عبقرى عادى .

ـ اتدرى . . . اننى افكر طيلة الوقت : لماذا يتنبأ ويتنبأ دائما ؟ انه مصاب بداء التنبؤ . . .

ـ وبماذا يتنبأ ؟

فقال ماتفى :

ـ لا شىء ، ترهات . يتنبأ بنهاية العالم . والمشكلة ان المسكين لا يجد من يستطيع ان يتفهمه . . . على اى حال ، لنترك هذا الحديث . عم كنا نتحدث ؟ . .

اضيئت الشاشة من جديد . وظهر كانيكو . وقد تدلت ربطة عنقه جانبا . وقال وهو يتنفس بصورة متقطعة ؟

ـ ماتفى سيرجيفيتش . اسمح لى بالتاكد من القوائم . فلديك نسخة منها على ما اعتقد .

فقال ماتفى : ـ لكم اضجرنى كل ذلك ! ليونيد ، ارجو ان تسامحنى ، فعلى ان اخرج . . .

وقال جوربوفسكى : طبعا ، اذهب . . . اما انا فساتمشى الى المطار الكونى، لارى كيف حال «تاريبل» . . .

وقال ماتفى : ـ وعد الىّ فى الساعة الثانية لتناول الغذاء . .

اكمل جوربوفسكى احتساء قدحه ، ثم نهض ، ورفع صوت جهاز الحاكى الى اقصاه ليسمع الحان التام ـ تام . . . وبدت عليه مظاهر الارتياح . .

الفصل الثالث

اصبح القيظ لا يحتمل فى حوالى الساعة العاشرة . ونفذت من السهب المتوهج خلال شقوق النوافذ الموصدة، ابخرة كثيفة من الاملاح المتطايرة. وتراقصت فوق السهب انعكاسات السراب . ووضع روبرت قرب مقعده مروحتين قويتين ، وجلس شبه مضطجع ، واخذ يحرك الهواء بمجلة قديمة . وكان مما يهدىء خاطره التفكير بان الوضع سيكون اصعب بكثير عند الساعة الثالثة ، وآنذاك وفى طرفة عين يحل المساء . وتجمّد كاميل فى وقفته عند النافذة الشمالية . ولم يتجاذبا اطراف الحديث بعد ذلك .

كان يمتد من جهاز التسجيل شريط ازرق لا نهاية له ، وبدت عليه الخطوط المسننة للتسجيل الاوتوماتيكى . وكان عداد يوتج يمتلىء تدريجيا بضوء بنفسجى كثيف ، لا تلاحظه العين ، وكانت الاولموترونات توصوص بنعومة ـ وخلف نوافذها ذات المرايا كانت تلمع ألسنة اللهب النووى . كانت «الموجة» تنمو .

وهناك فى مكان ما وراء الافق الشمالى ، وفوق السهوب اللانهائية من الاراضى المحروقة ، كانت تنطلق الى الاجواء العليا نافورات جبارة من الغبار الحار السام ...

صرّت اشارة التليفون المرئى. فاتخذ روبرت بحركة سريعة هيئة رجل عمل . وكان يعتقد ان المتحدث هو باتريك او مالبايف — وكان ذلك بالنسبة اليه امرا مزعجا فى هذا القيظ . — ولكن المتحدث كان تانيا ، وكانت مرحة ناضرة ، وبان فورا بانه ليس عندها هناك قيظ يبلغ الاربعين درجة فوق الصفر ، وليست هناك ابخرة كريهة الرائحة آتية من السهب الميت ، كما ان الهواء عندهم حلو ومنعش ، وتحمل الريح من البحر القريب الروائح الطيبة لحديقة الازهار التى كشفها الجزر ...

فسالت : — كيف حالك ، هناك ، بدونى يا روبيك ؟

وتشكى روبرت قائلا : — رائحة كريهة . قيظ . وانت لست معى . وبى رغبة لا تقاوم فى النوم ، ولكننى لا استطيع النوم .

— يا فتاى المسكين . . . اما انا فقد غفوت بشكل رائع فى الهليكوبتر . امامى ايضا يوم شاق . هو عيد الصيف — بلبلة شاملة ، وهرج ومرج ، وجحيم لا يطـاق . . . والاطفال يدورون ويحومون كالمشدوهين. انت وحدك؟

— لا . فهناك كاميل ، وهو لا يرانا ولا يسمعنا . تانيا ، اننى انتظرك اليوم . ولكن اين ؟

— وهل ستنتهى عملك ؟ لنذهب الى الجنوب !

— لنذهب . اتذكرين المقهى فى مدينة الصيادين ؟ سناكل سمك الشلق ، ونشرب النبيذ الطازج .. المثلج !

وانّ روبرت وحرك عينيه : — سانتظر هذا المساء منذ الآن . ولكم سانتظره !

— وانا ايضا .... والتفتت ثم قالت — قبلاتى ، يا روبى . انتظر ندائى التليفونى .

ولحق روبرت ان يقول : — سانتظر كل الانتظار ..

كان كاميل ينظر عبر النافذة ، عاقدا يديه وراء ظهره. وكانت اصابع يديه لا تكف عن الحركة . كانت اصابع يد كاميل طويلة ، بيضاء ، مرنة بدرجة غير عادية ، مقلمة الاظافر . وكان يشبكها ويطلقها بشكل عجيب ، وضبط روبرت نفسه وهو يحاول تقليد هذه الحركة باصابعه نفسه .

وقال كاميل فجأة : — انها البداية . انصحك ان تنظر اليها .

وسال روبرت : — ماذا بدأ ؟ — ولم تكن له رغبة فى القيام .

فقال كاميل : — لقد تحرك السهب .

نهض روبرت متثاقلا ، واقترب منه . ولم يلاحظ شيئا اول الامر . ثم بدا له انه يرى سرابا . ولكنه عندما حدق النظر ، اندفع بجسمه بقوة نحو الامام الى حدّ ان جبهته اصطدمت بالزجاج . كان السهب يتحرك . ثم تغير لونه بسرعة — وزحفت كتلة حمراء رهيبة في الفضاء الاصفر . وكان بالمستطاع ملاحظة كيف تتحرك ، في الاسفل تحت البرج ، نقاط حمراء وصفراء وسط الاعشاب الجافة .

وصرخ روبرت : ياللهول ! آكلة الحبوب الحمراء ! لم تقف ؟! — اندفع نحو التليفون المرئي ، وصرخ : — ايها الرعاة ! ايها المناوبون !

— هنا المناوبون . . .

— هنا المركز السهبي ! تتقدم آكلة الحبوب من جهة الشمال ! ان السهب باجمعه مغطى بآكلة الحبوب !

— ماذا ؟ كرر القول . . . ماذا تقول ؟

— هنا المركز السهبي ، المراقب سكلياروف ! آكلة الحبوب الحمراء تتقدم من جهة الشمال ! وهي اخطر مما كانت في العام الماضي ! افهمتم ؟ ان كل السهب قد غطى بآكلة الحبوب !

— مفهوم . . واضح . . شكرا ، يا سكلياروف . . يالكارثة ! وكل من لدينا موجودون الآن في الجنوب ! يالكارثة . . حسنا . . على اي حال . . .

وصرخ روبرت : — ايها المناوبون ! اسمعوا ، اتصلوا بالياستر او بجرينفيلد ، فهناك الكثير من فيزيائيي المطلق ، وسيقدمون لكم يد المساعدة !

— فهمت كل شيء ! شكرا ، يا سكلياروف . وعندما تتوقف آكلة الحبوب ، اخبرنا فورا ، رجاء . .

واندفع روبرت نحو النافذة من جديد . كانت آكلة الحبوب تسير بموجة كثيفة ، ولم يعد بالمستطاع رؤية الاعشاب ، وتمتم روبرت ، وهو يضغط بوجهه على الزجاج : — يالها من كارثة ، انها لنكبة حقيقية !

وقال كاميل : — لا تعلل نفسك بالآمال . انها ليست النكبة بعد . انها مجرد شيء طريف .

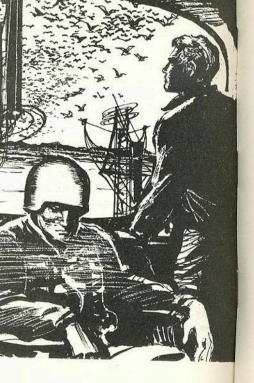
فقال روبرت مغتاظا : — انها تلتهم المحاصيل ، وسنبقى بدون خبز ، وبدون ماشية . .

— سوف لا نبقى في هذا الحال ، يا روبي ، فانها لن توفق في التهام كل شيء .

— آمل ذلك . ولكنه مجرد أمل . انظر ، انظر كيف تتقدم . لقد اصبح السهب كله احمر اللون .

وقال كاميل : — انه طوفان .

وفجأة هجمت الظلمة . وخيمت عتمة هائلة على السهب . فالتفت روبرت ، ثم ركض نحو النافذة الشرقية . كانت قد غطت الشمس سحابة مترجرجة واسعة . ولم يدرك روبرت مرة اخرى معنى ذلك على



النور . ففى اول الامر اصابه التعجب ، لانه لم توجد سحب وقت الظهر فوق كوكب «قوس قزح» فى اى وقت من الاوقات . ثم رأى بان هذه السحابة هى طيور . كانت آلاف وآلاف الطيور تحلق متجهة من الشمال ، وكان بالامكان سماع ضجيج وشوشة الاجنحة المستمر وصرخاتها الحادة الدقيقة خلال النوافذ المغلقة . وتراجع روبرت نحو المنضدة .

وقال : ــ من اين آتية هذه الطيور ؟

فاجابه كاميل : ــ انها تنقذ نفسها . تهرب . لو كنت مكانك يا روبى لهربت ايضا . «فالموجة» تتقدم .

ــ اية «موجة» ؟

ــ انحنى روبرت ونظر الى الاجهزة ــ . كلا ، ليست هناك «موجة» يا كاميل ..

ــ كلا ؟ ــ قال كاميل ذلك ببرود ــ . اذن فهذا افضل . لنبق ونر .

ــ وانا لم اكن اريد الهروب . على ان كل هذا يثير عجبى . يجب اعلام جرينفيلد . ولكن المهم ، من اين تأتى هذه الطيور ؟ فهناك صحراء .

فقال كاميل بهدوء : ــ هناك طيور كثيرة . فهنــاك بحيرات زرقاء ، ينبت القصب . . . وصمت .

نظر روبرت اليه بشك . فلقد عمل عشر سنوات فوق كوكب «قوس قزح» وكان موقنا دائما بانه ليس

هناك الى الشمال من خط العرض «الحار» لا ماء ولا زرع ولا حياة . ماذا لو اركب العربة الطائرة مع تانيا فنطير الى هناك . ومضت هذه الفكرة في رأسه . فهناك بحيرات ونبات القصب ...

وصرّت اشارة الاستدعاء ، والتفت روبرت الى الشاشة . كان المتحدث ماليايف نفسه .

— سكلياروف — ، قال ذلك بلهجة عادية فيها تعال ، وانتاب روبرت بحكم العادة شعور بانه مذنب ، مذنب في كل شيء ، حتى في زحف آكلة الحبوب والطيور — سكلياروف ، اسمع هذا الامر . غادر المركز فورا . وخذ معك جهازي الاولموترون .

وقال روبرت : — فيودور . هنا تزحف آكلة الحبوب وتطير الطيور ، لقد اردت اعلامك بذلك الآن ...

— لا تشغل نفسك بامور اخرى . اكرر ثانية . خذ معك جهازي الاولموترون . واركب الهليكوبتر وتوجه الى جرينفيلد فورا . افهمتني ؟

— نعم .

— الآن ...

ونظر ماليايف الى شيء ما في الاسفل ، ثم قال :

— الآن الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين . يجب عليك ان تكون في الجو في الحادية عشرة تماما . وخذ بالاعتبار بانك ستواجه «الهاريبدات» ، فالتزم اعلى

ارتفاع ممكن للاحتياط . واذا لم تتمكن من فك جهازي الاولموترون ، فاتركهما .

— وماذا حدث ؟

— هناك «موجة» تتقدم — قال ماليايف ذلك ، ونظر في عيني روبرت للمرة الاولى . — لقد اجتازت خط العرض «الحار» ، فاسرع .

وقف روبرت لحظة ، وهو يستجمع افكاره . ثم نظر الى الاجهزة ثانية . واعتمادا على معطيات الاجهزة ، فان الانفجار آخذ في النقصان .

وقال روبرت بصوت مسموع : — هذا ليس من اختصاصي ، كاميل ، هل ستساعدني ؟

فاجابه كاميل : — انني لا استطيع مساعدة احد الآن . وعلى كل حال فهذا ليس من شأني . ماذا يجب عمله — سحب الاولموترونات ؟

— ولكن يجب فكها اولا .

وقال كاميل : — اتريد نصيحة طيبة ؟ نصيحتي الطيبة رقم سبعة آلاف وثمانمائة واثنين وثلاثين .

كان روبرت آنذاك قد قطع الاتصال الكهربائي ، واخذ يفك قطع التوصيل ، بعد ان احرق اصابعه .

وقال : — هات نصيحتك .

— اترك هذه الاولموترونات ، واركب الهليكوبتر وطر الى تانيا .

فقال روبرت وهو يقطع خطوط التوصيل بسرعة : —
نصيحة طيبة . بديعة . ساعدني في نقله ...

كان الاولموترون يزن حوالى المائة كيلوجرام ، وهو عبارة عن اسطوانة سميكة ناعمة الملمس طولها متر ونصف . فاخرجاها من مكمنها ، ثم وضعاها فى كابينة المصعد . ودوت الريح ، واخذ البرج بالاهتزاز .

وقال كاميل : — يكفى ، لنهبط سوية .

— يجب اخذ الثانى .

— روبى ، حتى هذا سوف لن تحتاجه ابدا . استمع الى نصيحتى .

نظر روبرت الى الساعة . وقال بلهجة رجل اعمال : —

— لدينا وقت . انزل وادفعه فوق الارض .

اغلق كاميل الباب . وعاد روبرت الى موقع الاجهزة . كانت هناك عتمة حمراء تخيم على الجو فى الخارج . لم يكن هناك طيور ، ولكن السماء كانت مغطاة بضباب كثيف ، بدا من خلاله بشكل يصعب رؤيته ، قرص الشمس الصغير . كان البرج يهتز ويتارجح بتاثير الرياح العاصفة .

وقال روبرت لنفسه : — لو لحقت وانهيت هذا العمل .

سحب الاولموترون الثانى بصعوبة ، ورفعه على كتفه ، ثم حمله الى المصعد . وعندئذ اقتلعت وراء ظهره

النوافذ مصحوبة بفرقعة تحطمها ، واندفعت الى داخل المختبر سحب الغبار الشائك ترافقها ريح حارة . واحس بان شيئا ما قد صدم قدميه . واسرع روبرت بالركوع على الارض ، واسند جهاز الاولموترون الى الحائط ثم ضغط على زر استدعاء المصعد . فسمع عويل محرك المصعد دون جدوى ، ثم سرعان ما توقف .

وصاح روبرت وهو يضغط بوجهه على شبكة الباب : — ك . . ا . . . يل !

فلم يسمع جوابا . وكانت الرياح تعوى وتصفر فى النوافذ المحطمة ، بينما كان البرج يتارجح ، وبالكاد استطاع روبرت ان يقف على قدميه . وضغط على الزر مرة اخرى . فلم يتحرك المصعد قيد انملة . وعندئذ قاوم الريح ، ووصل الى النافذة ، ونظر الى الخارج . كان السهب ممتلئا باعمدة الغبار العاصف . وومض شيء ما عند اسفل البرج ، فوجم روبرت من الرعب ، بعد ان ادرك بان ذلك هو جناح المركبة المجنحة الذى لوته ومزقته الرياح . اغلق روبرت عينيه ولحس شفتيه اليابستين . وامتلأ فمه بمرارة لاذعة . وفكر فى نفسه بانها مصيدة فاخرة ، وتمنى لو كان باتريك هنا ...

فصاح باعلى صوته : — كام . . يل !

ولكنه بالكاد استطاع ان يسمع صوته نفسه . خلال النافذة ... لا يمكن الخروج عبر النافذة ، فسوف

تنخلع . وهل يستحق الامر كل هذا التخبط ؟ فالمركبة المجنحة قد تحطمت ... وسرعان ما ستنقض على «الموجة» وتحيطني من كل جانب . لا ، يجب النزول باى ثمن . ماذا يفعل كاميل هناك – لو كنت مكانه لاصلحت المصعد ... المصعد !

وخطا وسط الحطام المتناثر ، وعاد الى الباب المشبك ، وقبض عليه بكلتا يديه . وفكر فى دخيلته – هيا ، «ياشباب العالم» . كان الباب متين الصنع . ولو كانت عوارض البرج بنفس درجة المتانة لما توقف المصعد عن العمل ابدا . ورمى روبرت بثقله على الباب مستندا اليه بظهره واخذ يضغط بقدميه المنحنيتين على جدار الممر . هيا ! واظلمت الدنيا فى عينيه . وقعقع شىء ، ربما كان الباب ، او عضلاته . اخذ الباب يتراجع امام ضغطه . وفكر روبرت بانه سينقلع الان ، وساسقط انا فى الهوة . عشرون مترا الى اسفل ، وسيسقط فوقى الاولموترون . فبدل من وضعيته مستندا بظهره على الحائط رافعا الباب برجليه ! وطار النصف الاسفل من الباب ، وسقط روبرت على ظهره ، واصطدم راسه بالحائط . واستلقى هناك بضع ثوان بدون حراك . كان يسبح فى عرقه . ثم نظر من الفوهة الى الاسفل . وبدا بعيدا هناك سقف كابينة المصعد . وكانت محاولة النزول بدون مصعد خطيرة ، وفى هذه الاثناء اخذ البرج يميل الى

الاسفل ، واحس روبرت بان هناك قوة ما تدفعه الى الاسفل . فلم يقاوم ، لان البرج باجمعه كان يميل ويميل ، بدون ان يكون لذلك نهاية .

فاخذ ينزل متعلقا بالعوارض وقطع الهيكل المتباعدة ، وكانت الرياح الشديدة الموخزة بسبب الغبار تشده الى المعدن الحار . واستطاع ان يلاحظ بان الغبار قد تناقص كثيرا وامتلأ السهب بضوء الشمس من جديد . وجنح البرج باجمعه . وكان روبرت فى عجلة من امره لمعرفة ما حل بالمركبة المجنحة ، واين اختفى كاميل ، حتى انه قفز من حفرة المصعد عندما كان على بعد اربعة امتار عن الارض . وآلمته قدماه ثم يداه نتيجة اصطدامه بالارض . وكان اول ما رآه هو اصابع يد كاميل وقد انغرزت فى التراب اليابس .

كان كاميل ملقى تحت هيكل المركبة المجنحة المقلوب ، فاتحا عينيه المدورتين الجامدتين بصورة واسعة ، وانغرزت اصابع يديه الطويلة الرفيعة فى الارض ، كما لو كان يحاول تخليص نفسه من ثقل المركبة المحطمة ، وربما تألم كثيرا قبل الموت . وغطى التراب جاكتته البيضاء وخديه وعينيه المفتوحتين .

وهتف روبرت : – كاميل !

عوت الرياح بجنون وتارجح فوق راسه حطام

الجناح الملتوى . وحملت الرياح معها سيول من الغبار الاصفر . صفرت الرياح وعوت خلال عوارض البرج المائل . وبدت فى السماء غير الصافية شمس صغيرة ملتهبة غاضبة ... بدت كما لو كانت شعثاء .

نهض روبرت على قدميه ، وضغط بكل قوته على المركبة المجنحة محاولا تحريكها من مكانها . وتسنى له للحظة رفع المركبة الثقيلة ، ولكن للحظة فقط . ونظر الى كاميل مرة اخرى . كان وجهه معفرا بالتراب ، وتغير لون جاكتته البيضاء الى اللون البرتقالى المحمرّ ، ولم تعلق ذرة واحدة من التراب فى خوذته البيضاء السخيفة فقط ، وكان هيكلها المصنوع من البلاستيك غير الشفاف . يلمع بمرح تحت اشعة الشمس .

كانت قدما روبرت ترتجفان ، وجلس الى جانب الميت . وشعر برغبة فى البكاء . وداعا ، ياكاميل . لقد احببتك حقا . لم يكن يحبك احد من الناس ، اما انا فقد احببتك حقا ، اننى لم اصغ اليك ، كما ان الاخرين لم يصغوا اليك ولكننى اقسم لك ، باننى انما فعلت ذلك لاننى كنت امل فى فهم ما تقول . كنت اذكى من الاخرين ، اما بالنسبة لى ـ فليس هناك مجال للمقارنة بيننا . وانا الان لا استطيع ان ارفع عن صدرك المهشم هذه الكومة من الحطام . ان واجب الصداقة يحتم على البقاء معك . ولكن تانيا تنتظرنى ، وربما ينتظرنى حتى ماليايف

نفسه ، كما ان لى رغبة شديدة فى الحياة . وهنا لا تفيد اية عواطف واى منطق . انا اعرف بانه ليس بامكانى الافلات ولكن مع ذلك فساذهب . ساركض ، واسير متعبا ، وربما سازحف ولكننى سامشى حتى النفس الاخير ... اننى احمق . كان على ان استمع لنصيحتك رقم سبعة الاف ، ولكننى ، كما هو الحال دوما ، لم افهمك ، ولو انه لم يكن هناك ما ينبغى فهمه ؟..

واحسّ بانه محطم ومتعب الى درجة انه ارغم نفسه بصعوبة كبيرة على النهوض والسير . وعندما التفت ليلقى النظرة الاخيرة على كاميل ، شاهد «الموجة» .

بعيدا ... بعيدا ، وراء الافق الشمالى ، وخلف الدخان الذى يميل لونه للاحمرار والمتصاعد من الغبار المترسب كانت تسطع فى السماء الضاربة الى البياض ، دائرة يعمى بريقها الابصار ، وكأنها الشمس .

وفكر روبرت بتراخ ان انتهى الامر . سوف لن يتسنى لى النجاة . فبعد نصف ساعة ستصل الموجة الى هنا ، وتواصل سيرها ، ولن يبق هنا سوى صحراء جرداء سوداء . وسيبقى البرج طبعا ، ولن يصيب الاولموترون شئ ، كما ستبقى المركبة المجنحة ، وسيتدلى جناحها المكسور فى السكون الملتهب . وربما ستكون الخوذة هى كل ما سيتبقى من كاميل . اما انا فلن يبق منى شئ . واخذ يتفحص نفسه ، كما لو كان يودع الحياة ،

— فضرب بقبضته على صدره العارى ، وتحسس عضلات كتفيه . وفكر فى ان هلاكه سيكون امرا مؤسفا . وعندما لاحظ العربة الطائرة .

كانت العربة الطائرة رابضة وراء البرج — وهى صغيرة ، تتسع لراكبين ، وتشبه السلحفاة الملونة ، و سريعة واقتصادية ، وبسيطة للغاية ، ومريحة فى القيادة . كانت هذه عربة كاميل . بالطبع هى عربة كاميل !

خطا روبرت نحوها بضع خطوات غير واثقة ، ثم اندفع نحوها بسرعة خاطفة ملتفا حول البرج . ولم يفارق العربة الطائرة بناظريه ، وكانه يخشى ان تختفى فجاة ، وتعثر بشئ ما وسقط على وجهه منزلقا على الاعشاب الشائكة ، فخدش صدره وبطنه . ونهض على قدميه ، ثم التفت . كانت اسطوانة الاولموترون الثقيلة ذات الجانبين الاملسين المصقولين حتى الزرقة ، لا زالت تتأرجح بهدوء بسبب الصدمة . ونظر روبرت الى الشمال . كان جدار اسود يرتفع من وراء الافق . وركض روبرت نحو العربة الطائرة ، مخلفا وراءه سحابة من الغبار ، ثم قفز الى المقعد ، و ما كاد يتلمس ذراع القيادة ، حتى ادار المحرك بكل طاقته .

كانت منطقة السهب تمتد حتى جرينفيلد ، وقطعها روبرت بسرعة متوسطة تبلغ خمسمائة كيلومتر فى

الساعة . وكانت العربة الطائرة تحلق فوق السهب كالبرغوث ، بقفزات كبيرة . وسرعان ما اختفت الدائرة الساطعة وراء الافق . وبدا كل شئ فى السهب طبيعيا — الاعشاب الكثيفة اليابسة ، والسراب المتارجح فوق الاراضى السبخة ، والمناطق القليلة المتناثرة هنا وهناك والتى تنبت فيها الشجيرات القصيرة . كانت الشمس تلفح المكان بلا رحمة . ولسبب ما انعدمت اثار آكلة الحبوب والطيور والزوبعة . ويبدو ان الزوبعة قد اهلكت كل هذه المخلوقات ، وضاعت هى نفسها فى البرارى القاحلة الجرداء دوما فى شمال «قوس قزح» ، هذه البرارى التى خصصتها الطبيعة ذاتها لتجارب فيزيائيى المطلق الجنونية . وحدث مرة ، عندما كان روبرت لا يزال حديث العهد فى هذا الكوكب ، وعندما كانت «العاصمة» مجرد محطة عادية ، ولم تكن جرينفيلد موجودة اصلا ، مرت بهذه الاماكن «الموجة» التى بعثتها التجربة الضخمة التى اجراها الفقيد ليو فين تشين ، واصبح كل شئ هنا اسود اللون ، ولكن بعد مرور سبع سنوات فقط ، عادت الاعشاب المتواضعة الشديدة التمسك بالارض الى النمو من جديد مالئة السهب حتى مناطق بعيدة فى الشمال . . حتى مناطق توليد الانفجار .

وفكر روبرت ، بان كل شئ سيعود الى سابق عهده . الا كاميل ، فلن يعود ابدا . واذا ما ظهر ، فى

لحظة ما فجاة ، فى المقعد خلف ظهرى ، فعندئذ ساكون على اتم اليقين بان ما اراه ليس الا شبحا . اما الان فساذهب الى مالاييف ، وساقول له فى وجهه : «لقد رميت اولموتروناتك ..» . وسيقول لى من بين اسنانه : «كيف تجرأت على ذلك ، ياسكليياروف ؟» . وعندئذ ساقول له : «لتذهب الاولموترونات الى الجحيم ، لان كاميل القى مصرعه بسبب اولموتروناتك» . وسيقول لى : «هذا ، شىء مؤسف طبعا ، ولكن كان يجب ان تاتى معك بالاولموترونات» . وفى نهاية الامر ساحتدم غضبا وساقول له : «انت قطعة جليد ، عديم الاحساس . – هذا ما ساقوله له – ، انت تمثال من الجليد ذو جهاز توجيه الكترونى . كيف يمكنك التفكير بالاولموترونات ، بينما لقى كاميل مصرعه ... انت انسان لاابالى ، وسحلية !» .

وشاهد على بعد مائتى كيلومتر من جرينفيلد «الهاريبدات» – وهى دبابات ضخمة تدار بالراديو ، وتنتصب فوقها «ممتصات الطاقة» فاغرة الافواه . وكانت «الهاريبدات» تشكل فى سيرها سلسلة تمتد من افق الى آخر ، محافظة على مسافة نصف كيلومتر بين الواحدة والاخرى ، وهى تطلق هدير محركاتها التى تبلغ قوتها آلاف الاحصنة . وكانت تتخلف وراءها فى السهب الاصفر مناطق واسعة من الارض المحروثة البنية

اللون ، قلبت تربتها حتى الاساس البازلتى للقارة . وكانت جنازيرها تلمع تحت اشعة الشمس . وبدت مترنحة بعيدا فى الجهة اليمنى من السماء المكفهرة نقطة صغيرة – وهى طائرة الهليكوبتر الموجهة ، التى تتولى قيادة هذه الفيلان المعدنية . كانت «الهاريبدات» تتجه نحو «الموجة» .

لم تكن ممتصات الطاقة قد بدأت عملها ، كما يبدو ، الا ان روبرت ، دفعا للاحتمالات المفاجئة ، ارتفع عاليا ، ولم يبدأ بالهبوط الا بعد ان ظهرت جرينفيلد امامه وسط الدخان – وكانت جرينفيلد تتالف من بضعة بيوت بيضاء صغيرة وبرج مربع الشكل يستخدم لاغراض المراقبة لمسافات بعيدة ، وتحيطها النباتات الارضية الكثيفة . وفى الطرف الشمالى ، القت بثقلها فوق حرش من اشجار النخيل ، «هاريبدة» كالحة السواد بدون حركة ، وقد وجهت فوهات ممتصات الطاقة التى ليس لها قرار باتجاه روبرت تماما . ووقفت اثنتان اخريان من «الهاريبدات» الى يمين ويسار القرية . وحامت طائرتا هليكوبتر فوق البرج ثم توجهتا نحو الجنوب . ولمعت فى الساحة ، وسط رقعات من العشب الاخضر ، الاجنحة الغشائية للمركبات المجنحة . وكان يركض ويتجمع حولها بعض الناس .

واتجه روبرت بالعربة الطائرة الى مدخل البرج ، وخرج الى السقيفة . فابتعد عنه الناس ، وصرخ صوت امرأة تقول : «من هذا ؟» . وقبض روبرت على اكرة الباب الزجاجي وجمد فى مكانه بلا حراك لحظة من الزمن ، وهو يحدق النظر فى انعكاس صورته على الزجاج — فقد كان عاريا تقريبا ، وجسمه معفرا بالتراب ، وعيناه متوحشتان ، وامتد على صدره وبطنه خدش اسود عريض ... وقال لنفسه «لا باس» ، ثم فتح الباب بقوة . وصاح احدهم من خلفه : «انه روبرت !» . وصعد السلم ببطء فوجد نفسه امام باتريك . نظر باتريك نحوه فاغرا فاه ، وقال روبرت : «باتريك .. باتريك ، ايها الصديق ، لقد لقى كاميل مصرعه ...» . فرمش باتريك عينيه ، وفجاة غطى فاه براحة يده . وواصل روبرت سيره . وكان باب غرفة الاشراف والتوزيع مفتوحا على مصراعيه . وكان فى الغرفة مالياييف وشوتا بيتروفيتش باجافا رئيس فيزيائيى المطلق فى المناطق الشمالية ، وكارل هوفمان واناس اخرون يبدو انهم من البيولوجيين . وقف روبرت عند الباب ممسكا بحافته . وتردد وقع خطوات تصعد السلالم ، وصرخ احدهم : «ومن اين له ان يعرف ذلك ؟» .

وقال روبرت بصوت متحشرج «كاميل» . واخذ بالسعال . فنظر الجميع اليه بحيرة . وسأل مالياييف بحدة :

— ما القضية ؟ ماذا حدث لك يا سكليياروف ، ولم انت بهذه الهيئة ؟

اقترب روبرت من المنضدة ، ووضع قبضتيه القذرتين فوق كومة اوراق ، ثم قال له فى وجهه :

— قتل كاميل . لقد تهشم .

وخيم الصمت على المكان . وضاقت عينا مالياييف .

— كيف تهشم ؟ اين ؟

فقال روبرت : — لقد تهشم تحت المركبة المجنحة ، وكل ذلك بسبب اولموتروناتك الغالية . كان بامكانه ان ينجو بنفسه ببساطة ، ولكنه كان يساعدنى على انقاذ اولموتروناتك الغالية فتهشم . اما اولموتروناتك فقد تركتها هناك . ويمكنك التقاطها بعد انحسار الموجة . اتفهم ؟ تركتها . وهى مرمية هناك الان .

وناوله احدهم قدحا من الماء . فتناول القدح وشربه بشراهة . لزم مالياييف الصمت . واصبح وجهه الشاحب ابيض تماما . واخذ كارل هوفمان يقلب بعض الرسومات دون هدف ما ، ولم يرفع بصره . ونهض باجافا ووقف خافضا راسه .

قال مالياييف فى النهاية : — شيء مؤلم جدا . لقد كان رجلا كبيرا . — ومسح جبهته — . رجلا كبيرا جدا . — ونظر الى روبرت مرة اخرى — انك متعب جدا ياسكليياروف ..

— انني غير تعب .

— غيّر هندامك ، وخذ قسطا من الراحة .

فسأل روبرت بمرارة : — وهذا كل ما هنالك ؟

وعاد وجه مالييايف الى حالته الطبيعية — متخذا تعبير اللامبالاة والصرامة .

— اسمح لى بابقائك دقيقة اخرى . هل رأيت «الموجة» ؟

— نعم رايتها . رايت «الموجة» ايضا .

— اى نوع من الموجات هى ؟

وانزاح شىء من دماغ روبرت ، واتخذ كل شىء موضعه الاعتيادى . كان مالييايف قائدا حازما وذكيا ، وكان روبرت سكليياروف يعمل تحت امرته فى شؤون المراقبة .

فقال مستسلما : — اعتقد انها الموجة الثالثة ، من نوع موجات ليو .

رفع باجافا رأسه .

وقال بمرح مفاجئ : — حسنا ! — ثم تغير مزاجه فورا ، واتكا على المائدة ، وسقط فى مقعده منهارا . وغمغم : — آه ، ياكاميل ، آه ، ياكاميل . يالالمسكين ! ... — وامسك باذنيه العريضتين ، واخذ يهز رأسه فوق الاوراق .

ولمس احد البيولوجيين مالييايف من مرفقه وهو يسترق النظر الى روبرت بخوف .

وقال بتردد : — عفوا . وما لشئ الحسن فى موجة ليو هذه ؟ واخيرا توقف مالييايف عن توجيه نظراته الصارمة الثاقبة نحو روبرت . وقال :

— ان هذا يعنى بان التلف سيصيب المحصول فى المناطق الشمالية فقط . على اننا غير واثقين بعد من انها موجة ليو . فالمراقب معرض للخطأ ...

وقال البيولوجى شاكيا : — كيف ؟ الم نتفق وانتهينا ... ولديكم هذه «الهاريبدات» ... فهل من المعقول ان لا يمكن ايقاف «الموجة» . فاى فيزيائيين انتم اذن ؟

قال كارل هوفمان :

— ربما ستتمكن من اخماد قوة القصور الذاتى للموجة فى خط منفصل غير مترابط ...

وصاحت امرأة لا يعرفها كانت تقف الى جانب البيولوجى :

— ماذا يعنى ، «ربما» ؟ اتعلم ، ان هذه فوضى ؟ اين ضماناتكم ؟ اين احاديثكم المعسولة ؟ اتفهمون بانكم سوف تتركون الكوكب بدون خبز ولحم ؟

فقال مالييايف ببرود : — اننى لا يمكن ان اقبل هذه الادعاءات . اننى اشاركك فى مشاعرك بعمق ، ولكن احتجاجاتك هذه يجب ان توجه الى ايتيين لاموندوا . فنحن لا نقوم بتجارب المطلق . نحن نقوم بدراسة الموجة ...

استدار روبرت واتجه ببطء نحو الباب . وفكر في نفسه بان مصير كاميل لا يهم احد ... كلهم يفكرون في الموجة ، والمحاصيل ، واللحم ... لماذا لم يحبوه الى هذا الحد ؟ الأنه كان وحده اذكى منهم مجتمعين ؟ ام انهم لا يحبون احدا مطلقا ؟ ووقف عند المدخل جماعة من الشباب ، وجوههم ليست غريبة بالنسبة له ، وقد بدا عليهم القلق والحزن والاهتمام . وامسكه احدهم من مرفقه . ونظر من الاعلى الى الاسفل ، فتلاقت عيناه بنظرات من عيني باتريك الصغيرتين الحزينتين .

— لنذهب ، ياروب ، ساساعدك على الاغتسال ...

— باتريك ، — قال روبرت ذلك ثم وضع يده على كتفه — ، باتريك . اخرج من هنا . اتركهم اذا ما اردت ان تبقى انسانا ...

وتجهم وجه باتريك بالم . ودمدم :

— ماذا تقول ياروب . لا حاجة لذلك . كل ذلك سيزول .

وكرر روبرت : — سيزول .. كـــل شئ سيزول . الموجة ستزول . والحياة ستزول . وكل شئ ينسى . وهل يهم متى سينسى ؟ فورا او فيما بعد ...

كان البيولوجيون من وراءه يصخبون ويبدون عدم رضاهم ويغلظون في القول بعضهم تجاه بعض . ويطالب ماليايف : «هاتوا نشرة الاخبار .. !» . وصاح شوتا : «لا توقفوا القياسات ولا للحظة واحدة ! . استخدموا

كل الاجهزة الاوتوماتيكية ! والى الجحيم ، ارموها بعد ذلك !» .

ورجا باتريك روبرت قائلا : — لنذهب ياروب .

وفي هذه اللحظـــة حدر صوت ، طغى على اللغط والصراخ ، هو صوت المشرف المالوف والممل :

— انتباه ، رجاء !

التفت روبرت بسرعة . كان قد اصاب الوهن ركبتيه . فرأى على الشاشـــة الكبيرة للتلفون المرئي في غرفـــة السيطرة ، خوذة كاميـــل المشوهة وعينيه المدورتين الذابلتين .

قال كاميل : — لدى فترة قصيرة من الوقت ، — وكان ذلك كاميـــل حيا يرزق — كان راسه يهتز ، وترتعش شفتاه الدقيقتان ، وكانت ارنبة انفه الطويل تتحرك مع تلفظ الكلمات ، — انني لا استطيع الاتصال بالمدير . يجب استدعاء «السهـــم» فورا . يجب اخلاء المنطقة الشمالية باجمعها بدون ابطـــاء ! — والتفت لينظر الى شيء ما في الجانب ، وبدا خده المعفّر بالتراب . — ففي اعقاب موجة ليو تاتي موجة من طراز جديد . هاكـــم اياها ...

ومضى في الشاشة بريق يعمي الابصار ، ودوى شيء ما ، ثم انطفات الشاشة . وساد غرفة السيطرة صمت مطبق ، وفجاة راى روبرت نظرات ماليايف التي يوجهها اليه بعينيه الضيقتين المخيفتين .

الفصل الرابع

كان فى كوكب «قوس قزح» مطار كونى واحد ، ووقفت فيه سفينة الانزال النجمية سيجما ــ د ، المسماة «تاريبل الثانى» . وكان بالامكان رؤيتها من مسافة بعيدة ــ بقبتها البيضاء الزرقاء كالسحابة اللامعة ، والتى يبلغ ارتفاعها سبعين مترا ، وهى تسمو فوق اسقف محطات الوقود المسطحة ذات اللون الاخضر الداكن . ودار جوربوفسكى فوقها دورتين وهو متردد . وكان الهبوط الى جانب السفينة النجمية امرا صعبا : فقد احاطت بالسفينة مختلف الماكينات احاطة السوار بالمعصم . ومن فوق ، بدا الناس الآليون الذين يقومون بتزويد السفينة بالوقود ، وقد تعلقوا بالنتوءات الجانبية الستة للسفينة ، وكذلك لوامس الطوارىء التى تفحص كل سنتيمتر من الواح التغطية ، والانسان الآلى الرمادى الام الذى يقود مجموعة من ماكينات التحليل الصغيرة السريعة الحركة . وكان هذا المشهد اعتياديا ويبعث السرور فى قلب من يهوى النظام .

على انه ظهرت عند فتحة تفريغ وشحن الاحمال مخالفة واضحة لكل التعليمات . فقد تجمع عدد كبير من سيارات الشحن المختلفة الماركات ، بعد ان ابعدت جانبا ماكينات الصيانة التابعة للمطار الكونى . وكان هناك سيارات شحن عادية من طراز «بيندوجا» وسيارات السياحة «ديليجانس» ، وسيارات خفيفة من طراز «تيستودو» «وهيبارد» ، وحتى سيارة حفر ثقيلة تستخدم فى اعمال حفر المناجم وهى من طراز «كروت» . وكانت جميع هذه المكائن تقوم بعمليات معقدة عند فتحة الشحن فى المركبة ، وتزاحم وتدفع احداها الاخرى . وفى جانب من المطار ، حيث اشعة الشمس على اشدها ، وقف عدد من طائرات الهليكوبتر ، وتبعثرت الصناديق الفارغة التى عرف جوربوفسكى فيها صناديق تغليف الاولموترونات . وجلس على الصناديق اناس ارتسمت على وجوههم علامات الحزن .

وبدأ جوربوفسكى الدورة الثالثة فوق المطار وهو يبحث عن مكان ملائم للهبوط ، وعندئذ لاحظ مركبة مجنحة تتبع عربته الطائرة . وكان قائدها ، الذى دلىَ نصف جسمه من الباب المفتوح ، يشير اليه اشارات غير مفهومة . وهبط جوربوفسكى بعربته الطائرة بين طائرات الهليكوبتر والصناديق ، وفى نفس اللحظة حطت المركبة المجنحة الى جانبها .

خرج سائق المركبة منها ، وصاح : —

— ان دورى من بعدك . . .

— لا فائدة من ذلك . فلا علاقة لى بالدور . فانا قائد هذه السفينة .

بدا على وجه سائق المركبة الاندهاش والاعجاب .

وهمس وهو ينظر حواليه بحذر : — رائع ! سنخدع فيزيائيى المطلق هؤلاء . . . ما اسم قائد هذه السفينة ؟

فقال جوربوفسكى وهو ينحنى انحناءة خفيفة : — جوربوفسكى .

— وضابط الملاحة ؟

— فالكنشتين .

فقال سائق المركبة المجنحة : — رائع . وهكذا اذن ، انت جوربوفسكى ، وانا — فالكنشتين . هيا بنا .

وتأبط ذراع جوربوفسكى . فامتنع الاخير عن مصاحبته .

— اسمع يا جوربوفسكى ، لا تخشى شيئا . فهذا النوع من السفن معروف بالنسبة لى كل المعرفة . وقد جئت شخصيا الى هنا فوق سفينة انزال . فلنتسلل الى المخزن ، وليأخذ كل منا اولموترونا واحدا ، ثم تختبىء فى احدى المقصورات . وعندما ينتهى كل هذا ، — واشار بيده اشارة ازدراء الى السيارات ، فعند ذاك نخرج بهدوء .

— واذا ما جاء ضابط الملاحة الحقيقى ؟

فقال ضابط الملاحة المزيف بلهجة خبيثة :

— سينفق ضابط الملاحة الحقيقى وقتا طويلا لاثبات انه هو الضابط الحقيقى .

فقهقه جوربوفسكى وقال : — لنذهب .

سوى ضابط الملاحة المزيف خصلات شعره ، واطلق زفرة طويلة ، وخطا الى الامام بخطوات واثقة . وشقا طريقهما وسط السيارات . وكان ضابط الملاحة المزيف يتحدث بلا انقطاع ، وتحول صوته فجأة الى صوت اجش مهيب وعميق .

وقال بصوت عال : — اعتقد ان تنظيف الناشرات لا يؤدى الا الى تأخيرنا . واقترح الاكتفاء بتبديل نصف الطقوم ، وتركيز الاهتمام بصورة اساسية على فحص الواح التغطية . . ايها الرفيق ، ابعد سيارتك من هنا قليلا ! فانها تضايق الآخرين . . . وهكذا ، يا فالنتين بتروفيتش ، فعند الخروج الى منطقة الفراغ المطلق . . . ابعدوا سياراتكم الى الخلف ايها الرفاق . انا لا افهم سبب تجمهركم ؟ فهناك دور ، وهناك قائمة بالاسماء ، وقانون فى آخر الامر . . . . ارسلوا ممثليكم . . . فالنتين بتروفيتش ، لا اعرف رأيك ، ولكن فظاظة سكان هذا الكوكب تحيرنى . فلم نر ، لا انا ولا انت ، مثلهم حتى فى كوكب باندورا بين التاجوريين . . .

فقال جوربوفسكى مستأنسا :- انك على تمام الحق ، يا مارك .

- ماذا ؟ نعم ، بلا شك ... اخلاق فظيعة .

ومدت فتاة ذات منديل حريرى رأسها من كابينة احدى سيارات «بندوجا» ، وسألت :

- انتما ضابط الملاحة والقائد ، اذا لم اخطىء فى التقدير ؟

فقال ضابط الملاحة بتحد :- نعم ! وكضابط ملاحة اوصيك مرة اخرى بقراءة التعليمات الخاصة بافراغ الشحنات .

- اتعتقد بان هذا ضرورى ؟

- بلا شك . فلا ارى معنى لادخال سيارتك فى منطقة العشرين مترا ...

وصاح صوت شاب مرح :- اتعرفون يا اصدقائى ان خيال ضابط الملاحة هذا اضعف من صاحبيه اللذين سبقاه .

فسأل الضابط المزيف كما لو اهين :- وماذا تقصد بكلامك هذا ؟ وبدا وجهه شبيها نوعا ما بوجه نيرون المزيف .

وقالت الفتاة ذات المنديل بانفعال :- افهم ما القضية ، فهناك على الصناديق الفارغة يجلس ضابطا ملاحة وقائد واحد . اما الصناديق الفارغة فهى اغلفة

الاولموترونات التى اخذتها مهندسة السفينة - وهى فتاة شابة متواضعة . وقد خرج لمطاردتها الآن الممثل المفوض للمجلس .

فصاح الضابط المزيف :- ما رايك فى هذا يا فالنتين بتروفيتش ؟

قال جوربوفسكى وقد استغرق فى التفكير :- لدى شعور باننى سوف لا استطيع دخول سفينتى .

وقالت الفتاة ذات المنديل :- تفكير سليم . ولكن ليس بالجديد .

وهم ضابط الملاحة ان يتقدم الى الامام واثقا ، لو لا ان تحركت سيارة «بندوجا» من الجهة اليمنى نحو اليسار ، بينما تحركت سيارة «ديليجانس» مطلية بالاسود والاصفر الى اليمين قليلا من الجهة اليسرى ، وفى الطريق الى الفتحة المنشودة استدارت فجأة وبشدة ، حفارة من طراز «كروت» مقلبة كتل التراب ، وقد شهرت اسنانها .

و صرخ ضابط الملاحة المزيف ساخطا :- فالنتين بتروفيتش ! انا لا استطيع فى مثل هذه الظروف ضمان استعداد السفينة للتحليق !

فقال سائق سيارة «ديليجانس» بلهجة حزينة :- كلام معاد !

وانطلق صوت مرح رنان يقول :

– اى ضابط ملاحة هذا ! انه ممل يدعو للتثاؤب . اتذكرون ضابط الملاحة الثانى – لقد كان ظريفا حقا ! اتذكرون كيف خلع قميصه الداخلى ليرينا آثار الضربات التى خلفتها النيازك على جسمه !

وقال سائق سيارة «كروت» وهو يلتفت : – كلا ، فالاول كان افضل .

فوافقته الفتاة ذات المنديل قائلة : – نعم ، لقد كان لطيفا . وكيف سار وسط السيارات حاملا امام عينيه صورة فوتوغرافية ، وهو يردد باسى : – جالو ، آه جالو ! يا عزيزتى جالو ! انت بعيدة يا جالو عن بلادك العزيزة !

خفض ضابط الملاحة المزيف رأسه ، واخذ يتشاغل بانتزاع كتل الطين من بين الاسنان اللامعة للحفارة «كروت» .

والتفت سائق سيارة «ديليجانس» الى جوربوفسكى وقال :

– وانت ، ماذا تقول ؟ لم تلتزم الصمت ؟ يجب ان تقول شيئا ما ... شيئا مقنعا .

وانتظر الجميع بفضول .

فقال جوربوفسكى بتامل : – على كل حال ، استطيع الدخول من باب المسافرين .

ورفع ضابط الملاحة رأسه ، وقد بزغ لديه شعاع من الامل ونظر اليه .

فهز السائق رأسه : لن تستطيع . فهو مغلق من الداخل .

وفى لحظة الصمت التى اعقبت ذلك ، سمع بوضوح صوت كائيكو :

– انني لا استطيع ان اعطيك عشر مجموعات . فارجو ان تفهم ذلك ، ايها الرفيق بروزوروفسكى !

– وافهمنى بدورك ايها الرفيق كائيكو ! فلقد قدمنا طلبا للحصول على عشر مجموعات ، فكيف اعود بست فقط ؟ ...

وتدخل احدهم قائلا :

– خذ ، يابروزوروفسكى ، خذ ... خذ الآن ست فقط . وستفرغ لدينا اربع مجموعات بعد اسبوع ، وعندئذ ارسلها لك ...

– اهذا وعد ؟

وقالت الفتاة ذات المنديل :

– مسكين بروزوروفسكى ، فلديهم ستة عشر جهازا يعمل بالاولموترونات .

وتنهد سائق سيارة «ديليجانس» وقال : – يالفاقة ...

قال ضابط الملاحة المزيف بحرقة : – وعندنا خمسة اجهزة واولموترون واحد فقط . ماذا كان يضيرهم لو جلبوا مائتين !

فقال جوربوفسكي : – كان باستطاعتنا ان نجلب مائتين او ثلثمائة . ولكن الاولموتروتات ضرورية اليوم للجميع . وقد انشئت على «الارض» ست سلاسل جديدة من نوع «و» ...

قالت الفتاة ذات المنديل : – ست سلاسل من نوع «و» ! من السهل قول ذلك ! ... اتتصور بنفسك تكنولوجية عمل الاولموترون ؟

– بشكل عام .

– ستون كيلوجراما من العناصر المفرطة في الدقة ... ثم القيادة اليدوية لعمليات التجميع ، ثم وجود عناصر بتجاوز قدره نصف ميكرون ... واي شخص يحترم نفسه يقبل بالعمل في تجميعها ؟ فانت مثلا ، اتقبل بذلك ؟

فقال جوربوفسكي : – يمكن دعوة متطوعين ...

وعلق سائق «كروت» بتقزز : – آهـا ! اسبوع مساعدة الفيزيائيين ! ....

وقال ضابط الملاحة المزيف وهو يبتسم بخجل : – وهكذا يا فالنتين بتروفيتش . يبدو انهم سوف لن يسمحوا لنا بالدخول ...

فقال جوربوفسكي : – اسمي ، ليونيد اندرييفيتش ..

واعترف ضابط الملاحة بكآبة : – واسمي هانز . لنجلس على الصناديق . فلربما يحدث امر ما .

لوحت الفتاة ذات المنديل لهما بيدها . وشقا طريقهما وسط السيارات المحتشدة وجلسا الى جانب ملاحي الكواكب المزيفين الآخرين . وقد استقبلا بصمت تفوح منه السخرية والعطف .

تحسس جوربوفسكي احد الصناديق المصنوع من مادة بلاستيكية خشنة وصلبة . وكانت الشمس متوهجة والحرارة لا تطاق . ولم يكن لجوربوفسكي ما يعمله هناك ، ولكن رغبته في التعرف على هؤلاء الناس كانت ، كالعادة ، شديدة ... من هم ، وكيف توصلوا الى هذه الحياة ، وما هي احوالهم بشكل عام . فصفّ بضعة صناديق سوية ، وسأل : «هل استطيع الاستلقاء ؟» ، واستلقى هناك على قفاه متمددا بطوله ، وثبت بالقرب من رأسه آلة مصغرة لتكييف الهواء . ثم ادار جهاز الحاكي .

وقدم نفسه : – انني ادعى ليونيد جوربوفسكي ... كنت قائدا لهذه السفينة .

وقال رجل بدين اسمر السحنة ، كان يجلس عن يمينه بلهجة بائسة : – انا ايضا كنت قائدا لهذه السفينة . ويدعونني آلبا .

وقدم نفسه فتى نحيف وعار حتى الخصر ، وهو يضع على رأسه قبعة عريضة بيضاء : – اسمي بانين . لقد كنت وسابقى ضابطا للملاحة على كل حال ، الى ان استلم الاولموترون .

— هانز ، — قدم نفسه فالكنشتين المزيف باقتضاب ، وجلس على العشب قريبا من جهاز تكييف الهواء الصغير .

ويبدو ان ضابط الملاحة المزيف الثالث لم يسمعهما ، وجلس وظهره اليهما ، وانشغل فى كتابة شىء ما ، واضعا مفكرته على ركبته .

خرجت من بين حشد السيارات سيارة طويلة من طراز «هيبارد» . وفتح بابها ، وتطايرت منها الصناديق الفارغة للاولموترونات ، واندفعت السيارة الى البرارى .

وقال بانين بلهجة حسودة : — انه بروزوروفسكى .

وعلق آلبا بمرارة : — نعم ، ان بروزوروفسكى لا يضطر الى الكذب . فهو ساعد لاموندوا الايمن . — واطلق زفرة عميقة — لم اكذب ابدا . ولا اطيق الكذب . اى شعور مقرف يتملكنى الآن !

وقال بانين وقد استغرق فى تفكير عميق :

— اذا ما بدأ الانسان بالكذب دون ارادة ، فمعنى ذلك انه حلت به علة ما . وعواقب ذلك وخيمة .

ثم قال هانز :

— القضية تنحصر فى نظام التوزيع . والمشكلة هى المبدأ الذى يتم على اساسه التوزيع ، فمن ينجح فى تجاربه ينال اكثر .

فقال جوربوفسكى : — اقترح اذن نظاما آخر ، مثلا ، اذا لم تنجح فى تجاربك فخذ الاولموترون ، واذا نجحت فاجلس على الصناديق . . دون شىء .

وقال آلبا : — نعم . . يا للفظاعة . من سمع يوما بوجود طوابير لاستلام الاجهزة او الطاقة ؟ كان يكفى فى السابق ان تقدم الطلب ، ليجاب طلبك . ولا يهمك ابدا من اين يحصلون عليه . على ان المرء كان يحدس بشكل واضح بان هناك عددا كبيرا من الناس يعملون بصورة مرضية فى حقل تامين المواد للابحاث العلمية . وبالمناسبة ، فان هذا العمل ممتع جدا . وانا اذكر كيف كنت اقوم ، وبولع شديد ، بعد انهاء المدرسة باعمال تحسين دوائر النيوترونات . . . وهى منسية الآن ، ولكن كان التحليل النيوترونى فى ذلك الوقت من اكثر الطرق شيوعا . واخرج من جيبه غليونا محروقا ، واخذ يحشوه فى حركة بطيئة واثقة . وتابعه الجميع بفضول وهو يقوم بذلك ، ثم مضى يقول — من المعروف جيدا ان العدد النسبى لمستهلكى الاجهزة ومنتجيها لم يتغير تغيرا محسوسا منذ ذلك الحين . ولكن يبدو انه قد حدثت طفرة هائلة فى الاستهلاك . وتشير كل الدلائل — اقول ذلك من ملاحظة ما يدور حولى — الى ان الباحث المتوسط يحتاج الآن للاجهزة والطاقة بعشرين مرة اكثر مما كان الامر فى زمانى . — واخذ نفسا عميقا ، من

غليونه الذى احدث صوتا يشبه الشخير – ان هذا الوضع له ما يفسره . فمنذ اقدم العصور ساد اعتقاد بان اهم مشكلة تستحق الاهتمام هى تلك التى تولد اكبر سيل من الافكار الجديدة . وهذا امر طبيعى ، ولا يمكن ان يكون عكس ذلك . ولكن اذا ما كانت المشكلة الاولية مثلا ، والتى هى فى مستوى البحث الالكترونى ، تتطلب جهازا واحدا للعمل ، فان المشاكل المتفرعة عنها تكون اكثر تعقيدا ، وتتطلب عشرات الاجهزة . ان سيل المشاكل يؤدى الى نشوء سيل من الاحتياجات . وانا اغض النظر عن كون مصالح منتجى الاجهزة لا تتطابق دائما والى حد بعيد مع مصالح المستهلكين .

وقال بانين : – انها حلقة مفرغة ، ولقد فوت الفرصة رجال الاقتصاد عندنا .

فعارضه آليا قائلا : – ان رجال الاقتصاد هم باحثون ايضا . ويجابههم ايضا سيل من المشاكل . وبما اننا تطرقنا الى الحديث عن ذلك ، فبودى الاشارة الى تناقض ظاهرى طريف ، اثار اهتمامى فى الاونة الاخيرة . فلناخذ مشكلة النقل المطلق . وهى مشكلة حديثة العهد ومثمرة وذات مستقبل كبير جدا . ولكونها مثمرة لذا فان لاموتدوا يحصل على الطاقة وامكانيات مادية هائلة . وهو مجبر على الجرى الى الامام – بصورة اسرع واعمق و ... اضيق . وكلما توغل بصورة اسرع واعمق ، كلما

ازدادت حاجاته ، واشتد احساسه بالعوز ، الى ان يبدأ فى نهاية الامر ، بالتوقف من الاندفاع الى الامام . انظروا الى هذا الطابور . يقف اربعون رجلا ويضيعون وقتهم الثمين . ان ثلث الباحثين على كوكب «قوس قزح» يضيعون وقتهم وطاقتهم العصبية ووتيرة افكارهم ! بينما يجلس الثلثان الآخران فى المختبرات دون عمل . ويفكرون فى امر واحد فقط : هل سيجلبون الاولموترونات ام لا ؟ ألسنا بذلك نعرقل عملنا بانفسنا ؟ ان السعى للحفاظ على سيل الموارد المادية يولد التسابق ، وهذا بدوره يولد النمو غير المتكافىء للاحتياجات ، وفى النهاية تتولد حالة عرقلة انفسنا بانفسنا .

صمت آليا ، واخذ ينظف غليونه . وشقت عربة «كروت» طريقها من بين حشد السيارات دافعة اياها ذات اليمين وذات اليسار . وبرز من نافذة كابينة السيارة المرتفعة بشكل غير عادى ، غطاء اولموترون جديد . وعند مرورها بمحاذاة الجالسين لوح سائقها بيده لملاحى النجوم المزيفين .

وغمغم هانز : – لا اعرف ما حاجة قصاصى الاثر للاولموترون ؟

فلم يجبه احد . وودع الجميع بانظارهم عربة «كروت» ، التى نقش على مؤخرتها شعار قصاصى الاثر – وهو مسبع اسود فوق درع احمر .

وقال بانين : — ومع ذلك فانى اعتقد ان الاقتصاديين هـم المسؤولون . كان يجب التنبؤ . كان يجب اجراء تغيير فى المدارس قبل عشرين عاما ، بشكـــل يؤمن الكوادر الكافية لسد حاجات الابحاث العلمية .

وقال آلبا : — لا ادرى ، لا ادرى . وهل يمكن عموما تخطيط مثل هذه العملية ؟ فنحن لا نعرف الا القليل ، ولربما يتكشف ان اقامة توازن بين المقدرة الروحية للباحثين وبين الامكانيـــــات المادية للبشرية هو امر مستحيل عموما . او بكلمة اخرى ستكون الافكار دوما اكثر بكثير من الاولموترونات .

فقال بانين : — ان هذا الامر يحتاج الى برهان اولا .

— انا لم اقل بانه شيء تم اثباته . اننى قلت ذلك على سبيل الافتراض فقط .

قال بانين : — ان هذا الافتراض خاطئ ، — ثم بدأ يتكلم بلهجة حادة — انه يؤكد وجود ازمة خالدة ! هذه هى البلبلة بعينها !

— ولماذا تعتبرها بلبلة ؟ — قال جوربوفسكى ذلك بهدوء . — بل الامر بالعكس .

ولم يسمع بانين ذلك . فقال :

— يجب الخروج من الازمة ! يجب ايجاد مخرج ! مخرج بعيد عن الافتراضات البائسة ، طبعا !

وقال جوربوفسكى : — ولماذا بائسة ؟ — على انه لم يلتفت اليه احد مرة اخرى .

وقال بانين : لا يمكن التخلى عن المبدأ الاساسى فى التوزيع . فسيكون الحال عندئذ مجرد موقف غير نزيه تجاه خيرة العاملين . وستقضون عشرين عاما فى دراسة مسألة جزئية صغيرة ، بينما تتلقون من الطاقة نفس القدر الذى يتلقاه لاموندوا مثلا . وهذا غير معقول ! سخيف ! فهل هذا يعنى ان المخرج ليس هنا ؟ ليس هنا . وهل ترى انت مخرجا آخر ؟ ام تكتفـــى بالمشاهدة البحتة ؟ بالتفرج ؟

وقال آلبا : — اننى اعمل فى الحقل العلمى منذ زمن طويل كما انى رجل عجوز . وقضيت طيلة حياتى فى الدراسات الفيزيائية . حقا ، اننى لم اقدم الا القليل ، فانا باحث بسيط ، ولكن القضية ليست هنا . فبالرغم من جميـــع النظريات الجديدة هذه ، فانى واثق ، بان جوهر الحياة الانسانية — هو الادراك العلمى . ويؤلمنى فى الحقيقة ان مليارات الناس فى ايامنـا هذه يبتعدون عن العلم ، ويبحثون عن رسالتهم فى مناجاة الطبيعـة بصورة عاطفية ، ويسمون ذلك فنا ، ويجدون المتعة فى الانزلاق على سطح ظواهر الحياة ، الذى يسمونه بالادراك الجمالى . وفى اعتقادى ، ان التاريخ قد قسم البشرية مسبقا الى ثلاث فئات : جنود العلم ، والمربون

والاطباء ، الذين هم على اية حال جنود علم ايضا . ويمر العلم الآن بمرحلة عدم الاكتفاء المادى ، وفى الوقت نفسه يقوم مليارات الناس برسم الصور ورص القوافى . . . اى انهم ، بشكل عام ، يخلقون انطباعات . بيد ان من بين هؤلاء الكثير من العاملين العظام ، المملوئين حيوية وذكاء ، والذين لهم قابلية لا تنضب على العمل .

وقال بانين : — هيا ، هيا !

صمت آلبا وبدأ يحشو غليونه .

فقال جوربوفسكى : — اسمح لى بمواصلة الفكرة التى طرحتها . اذ ارى انك متردد فى متابعتها .

فقال آلبا : — حاول .

— سيكون خيرا لو جمعنا كل الرسامين والشعراء فى معسكرات للتعليم ، وجردناهم من فرشاتهم وريشاتهم، واجبرناهم على اخذ فصول دراسية قصيرة ، والزمناهم ببناء خطوط تجميع «و» جديدة ، وتركيب اجهزة «تاو» .

وقال بانين بخيبة أمل : — يا لها من سخافة !

فوافقه آلبا قائلا : — نعم ، هذه سخافة . ولكن افكارنا لا تتوقف على ما نحب وما لا نحب . ان هذه الفكرة ، لا تعجبنى كثيرا ، بل انها تخيفنى ، ومع ذلك برزت الى الوجود . . . وليس لدى فحسب .

وقال جوربوفسكى بكسل وهو يحدق فى السماء: —

انها فكرة عقيمة . وان محاولة حل التناقض بين القدرة الروحية العامة والقوة المادية للبشرية بشكل عام ، تقود الى تناقض جديد ، عتيق ومبتذل ، — هو التناقض بين المنطق الآلى وقواعد التربية والاخلاق . وفى مثل هذا الصدام تكون الهزيمة من نصيب المنطق الآلى دوما .

اوما آلبا برأسه وغرق فى سحب الدخان . و تحدث هانز متأملا :

— فكرة مخيفة . اتذكرون « مشروع العشرة » ؟ عندما اقترحوا على المجلس ان يحول للبحث العلمى جزءا من الطاقة من رصيد الرفاهية . . فيقتطع من البشرية باسم العلم المجرد جزء من متطلباتها الاولية . هل تذكرون شعار : — العلماء مستعدون للجوع ؟ .

و عندها تدخل بانين فى الحديث ، فاعاد الى الاذهان ما جرى آنذاك :

— وعندها نهض ياماكافا وقال : — لكن ستة مليارات طفل غير مستعدين للجوع ، وهم غير مستعدين لذلك ، تماما مثلما انكم غير مستعدين لوضع مشاريع اجتماعية .

وقال جوربوفسكى : — وانا كذلك لا احب القسوة .

قال هانز : — لقد قرأت قبل فترة وجيزة كتاب لورنز « بشر ومشاكل » . . . اقرأتموه ؟

فقال جوربوفسكي : — نعم قرأناه .

وهز آلبا رأسه بالنفى .

—كتاب جيد ، اليس كذلك ؟ وقد اثارتنى فيه فكرة واحدة . والواقع ، ان لورنز لم يتناولهـــا بالشرح المسهب ، بل مر بها مرور الكرام .

قال بانين : — نعم ، نعم ؟

— واتذكر انى فكرت فيها ليلة كاملــة . ولم تكن الاجهزة كافية ، فانتظرنا حتى يأتوا بها ، — وانتم تعرفون توتر الاعصاب المألوف عندئذ . ولقد توصلت الى النتيجة التالية : فلورنز يتطرق فى كتابه الى «الانتخاب الطبيعى» فى العلم . فما هى العوامل التى تحدد اى من الاتجاهات العلمية يكون فى محل الصدارة الآن ، فى الوقت الذى لا يؤثر العلم فيه او لم يعد يؤثر تقريبا على الرفاه المادى ؟

فقال بانين : نعم ، نعم ؟

— وقد توصلت الى هذه النتيجة : سيمضى بعض الوقت تمتص فيه ، تلك الاتجاهات من البحث العلمى التى حققت اكبر نجاح ، جميع الامكانيات المـاديـة ، و تتعمق فى ذلك اكثر فاكثر ، بينما تتلاشى الاتجاهات الباقية لوحدها نهائيا . وسيكون العلم باجمعه من اتجاهين او ثلاثة ، لا يستطيع احد عدا المتضلعين فى العلم تفهمها . اتفهموننى ؟

فعلق بانين قائلا : — هراء !

وساله هانز باستياء : — ولماذا هراء ؟ هاك الحقائق. توجد فى العلم مئات الآلاف من الاتجاهات . ويعمل فى كل منها الاف الناس . وانا اعرف شخصيا اربع مجموعـات من الباحثين الذين تركوا العمـل نتيجـة الاخفاقات المتكررة ، وانضموا الى مجموعات اخرى اكثر توفيقا . وقد فعلت ذلك شخصيا مرتين .

قال آلبـا : —لندع الهزل جانبـا ، خذوا مثلا لاموندوا نفسه . فهو يندفع الى حد المغامرة من اجل التوصل الى غرضه فى تحقيق النقل المطلق . ان النقل المطلق يعطى ، كما هو متوقع ، الكثير من التفرعات الجديدة . الا ان لاموندوا مجبر على اهمالها جميعـا تقريبا بكل بساطة ، لانـه لم تتوفر لديـه الامكانيـة لدراستها بدقة كلا على حدة ، وما يمكن ان تقدمه فى المستقبل . وبالاضافة الى ذلك فان لاموندوا مجبر على اهمال اشياء معروف انها مثيرة و ممتعـة . وهذا ما حدث مثلا مع «الموجة» . هذه الظاهرة غير المتوقعة والمدهشة ، والرهيبة برأيى . اذ ان لاموندوا ذهب من اجل بلوغ غايته الى حد القبول بحدوث انشقاق فى معسكره . فتشاجر مع ارسطوطاليس ، وامتنع عن تزويد العاملين فى ابحاث «الموجة» بما يحتاجونه من مواد . وبقدر ما يندفع الى العمق اكثر فاكثر ، اخذت

المشكلة التى تواجهه تضيق. وغدت «الموجة» بالنسبة له مسألة ثانوية.فهى بالنسبة له امر يبعث على الضيق، ولا يريد سماع شىء عنها . مع انها تحرق المحاصيل...

وهدر فوق المطار الكونى صوت ميكروفون الاذاعة العامة :

— هنا «قوس قزح» ! يتكلم اليكم المدير . ارجو حضور جابا رئيس فرقة رجال التجارب مع جميع رجاله الى فورا .

وقال هانز : — يالهم من سعداء . فهم ليسوا بحاجة الى اية اولموترونات .

فعلق بانين قائلا : — لديهم ما يكفى من المشاكل. ولقد رأيت بعينى مرة كيف يتدربون—كلا، الافضل ان اكون ضابط ملاحة مزيف . . . وبالاضافة الى ذلك ينبغى ان تجلس سنتين دون ان تقوم بعملك وتسمع كل يوم : «انتظر قليلا . ولربما ستطير يوم غد» . . .

وقال جوربوفسكى : — لقد سرنى قولك بانه توجد فى المؤخرة بقع العلم المجهولة . ان هذه المشكلة تهمنى ايضا . فباعتقادى ان الامور عندنا فى المؤخرة ليست على ما يرام . . . فمثلا ، خذ ماكينة ماساشوستس . — واوما آليا برأسه . وتوجه جوربوفسكى بالحديث اليه . — لا بد وانك تذكرها .

والحديث عنها نادر جدا الآن . فقد ولى جنون السيبرنيتيك .

فقال بانين : — اننى لا اذكر شيئا عن ماكينة ماساشوستس . فما هى ؟

— اتعرف الخوف القديم من ان الآلة اصبحت اكثر ذكاء من الانسان ، فجعلته العوبة بيديها . . . فقبل نصف قرن من الزمان صنعت فى ماساشوستس ماكينة سيبرنيتيكية معقدة ، لم يصنع مثلها من قبل . وكانت ذات سرعة فائقة فى العمل ، ولها ذاكرة عجيبة ، وغير ذلك من الصفات . . . وقد عملت هذه الماكينة اربع دقائق بالضبط . ثم اوقفت عن العمل ، واغلقت عليها جميع المداخل والمخارج ، وجردوها من الطاقة ، ووضعوا فيها الالغام واحاطوها بالاسلاك الشائكة . اسلاك شائكة صدئة حقيقية — ويمكنك ان تصدقنى او لا تصدقنى .

وساله بانين : — وما القضية فى واقع الحال ؟

فقال جوربوفسكى : — لقد بدأت تسلك سلوكا خاصا بها .

— لا افهم .

— وانا لا افهم ايضا . ولكنهم بالكاد استطاعوا ايقافها عن العمل .

— الم يفهم احد جلية الامر ؟

— لقد تحدثت مع احد صانعيها . فامسك بى من

كتفى ، ونظر فى عينى ، ثم قال : « ليونيد ، لقد كان ذلك شيئا رهيبا » .

فقال هانز : ــ ياللعجب !

وقال بانين : ــ ها ، هراء . ان هذا لا يثير فى اى اهتمام .

وقال جوربوفسكى : ــ اما انا ، فيثير فى اهتماما عظيما . اذ يمكنهم تشغيل هذه الماكنة من جديد . حقا ، ان « المجلس » وضع الحظر على استعمالها ، ولكن ما الذى يضمن عدم الغاء الحظر ؟

وتمتم آليا : ــ لكل زمان سحرته الاشرار واشباحه . . .

فتابع جوربوفسكى الحديث قائلا : ــ وبمناسبة الحديث عن السحرة والاشرار ، فانا اتذكر فورا حادثة « الثلاثة عشر » .

فومضت عينا هانز فضولا .

وقال بانين : ــ حادثة « الثلاثة عشر » ، معروفة ! فقد كانوا ثلاثة عشر من المتعصبين . . . وبالمناسبة ، اين هم الآن ؟

فقال آليا : ــ اسمحوا ، اسمحوا لى . هل هم نفس اولئك العلماء الذين التحموا بالماكينات ؟ ولكنهم لقوا حتفهم !

قال جوربوفسكى : ــ نعم ، هكذا يقال . ولكن القضية ليست هذه ، بل فى حدوث سابقة .

وقال بانين : ــ وماذا ، انهم يدعون بالمتعصبين والمشعوذين ، ولكن فيهم ، برأيى ، يكمن شئ جذاب . التخلص من كل مظاهر الضعف هذه ، والشهوات وتأجج العواطف . . . والاقتصار على العقل المجرد ، بالاضافة الى امكانيات غير محدودة للكمال . ويخلق الباحث الذى لا يحتاج الى اجهزة ، والذى يؤلف نفسه ماكينة وواسطة من وسائط النقل . ولايقف فى طوابير من اجل استلام الاولموترونات . . . اننى لاتصور ذلك بشكل رائع . الانسان ــ المركبة الطائرة ، والانسان ــ المفاعل ، والانسان ــ المختبر . . الانسان الخالد ، الذى لا تطاله قوة فى الكون . . .

فتمتم آليا : ــ ارجو المعذرة ، ولكن هذا ليس بانسان . انه ماكينة ماساشوستس .

وسال هانز : ــ وكيف لقوا حتفهم ، اذا كانوا خالدين ؟

فقال جوربوفسكى : ــ لقد حطموا انفسهم بانفسهم . ويبدو انه ليس من السهل ان يكون المرء انسانا ــ مختبرا .

وظهر من وراء السيارات رجل قرمزى السحنة وهو ينوء بحمل اسطوانة اولموترون على كتفه . فهب بانين من على صندوقه وركض لمساعدته . وراقب جوربوفسكى كيف كانا يحملان الاولموترون الى متن طائرة هليكوبتر ،

وقد استغرق في التفكير.وتشكى الرجل القرمزي السحنة قائلا : —

— لا يكفيهم ان يعطوك اسطوانـة واحدة بدلا من ثلاث ، ولا يكفيهم ان تضيع بسببهم نصف النهار ، بل وينبغي عليك ان تثبت بان لك الحق في استلام الاولموترونات ! وهم لا يصدقونك ! اتتصور ذلك — لا يصدقونك ! لا يصدقونك ! !

وعندما عاد بانين ، قال آلبا :

— ان كل ذلك صعب التصور . واذا كانت تهمك المؤخرة، فخير لك ان توجه اهتماما زائدا الى «الموجة» فكل اسبوع تجرى تجربة دورية للنقل المطلق . وتولد كل تجربة من تجارب النقل المطلق «موجة» . كما تولد انفجارا كبيرا ام صغيرا . ويمارسون قضايا الموجة بدون خبرة كالهواة . فياترى هل ستتكرر حادثة ماكينة ماساشوستس ، ولكن بدون مفتاح ايقاف التشغيل هذه المرة . وكاميـل — اتعرفون كاميل ؟ — انه يعتبرها كظاهرة ذات اهمية على مستوى المجموعات التجمية ، ولكن البراهين التي يقدمها صعبة الادراك . ان العمل معه عسير جدا .

وقال هانز : — بالمناسبة . اتعرفون وجهة نظر كاميل حول المستقبل ؟ فهو يرى بان الحماسة تجاه العلم حاليا — هو نوع من الامتنان للخيرات الكثيرة ، وهو قصور ذاتي لتلك الازمان ، عندما كانت امكانية

التفهم المنطقي للعالم هي امل الانسانية الوحيد . وهو يقول : بان الانسانية على ابواب الانشقاق . فيصبح دعاة الانفعال ودعاة المنطق—ويبدو انه يقصد رجال الفن ورجال العلم — غرباء عن بعضهم البعض ، فيتوقفون عن تفهم احدهم الآخر ، وتنعدم حاجة احدهم للآخر . والانسان يولد اما انفعاليا او منطقيا . ان هذا يكمن في الطبيعة الانسانية نفسها . وستنقسم البشرية في يوم من الايام الى مجتمعين، غريب احدهما عن الآخر، كما نحن الآن غرباء عن امثال ليونيد . . . »

فقال بانين : — آه ، اى هراء هذا . اى انشقاق ؟ وماذا سيكون مصير الانسان العادي . فباجافا مثلا ينظر الى لوحة جديدة لسورد كما ينظر الخروف الى بوابة جديدة ، بينما قد لا يفهم سورد معنى ان يعيش على وجه البسيطة شخص مثل باجافا،وهنا تعجز عن الكلام — فامامك اثنان ، احدهما من دعاة المنطق والآخر من دعاة الانفعال . فمن انا ؟ نعم ، انا من العاملين في الحقل العلمي . ان ثلاثة ارباع وقتي وثلاثة ارباع اعصابي هي ملك للعلم . ولكنني لا استطيع الحياة بدون فن ! وها هو مثلا صوت الحاكي يصدح عند احدهم ، وانا في اتم السعادة . انني استطيع الحياة بدون الحاكي ، ولكن وجوده يغني حياتي كثيرا . . . وهكذا ، فاتساءل انا ، اذن ، الى اى جانب انحاز ؟

فقال هانز : — ان ذلك يشغل تفكيري ايضا . ولكنه يقول — اولا ، ان عبقري زماننا هو الانسان العادي في المستقبل ، وثانيا — ان هناك رجلان عاديان ، احدهما من اصحاب الانفعال والعاطفة والآخر من اصحاب المنطق . او هكذا فهمت قوله .

قال بانين : — اني لا عجب بك . فباعتقادي انه من المستحيل فهم ما يقوله كاميل .

وقال جوربوفسكي متاملا : — ربما كان ذلك آخر مفارقات كاميل . وهو يحب المفارقات . وعلى اية حال فان هذا النوع من التفكير يعتبر صريحا جدا بالنسبة لاصحاب المفارقات .

قال هانز بفرح : — يا ليونيد اندريفيتش . ومع ذلك ، فخذ بنظر الاعتبار كون هذه الافكار ليست لكاميل ، بل افكاري . فقد استلقيت امس على البلاج تحت اشعة الشمس ، وفجأة ظهر كاميل على الصخور — انت تعرف اسلوبه هذا ؟ — ثم اخذ يكشف بنات افكاره بصوت مسمـــوع ، وهــو يخاطب موجات البحـــر . بينما كنت مستلقيا وانا استمع اليه ، ثم غفوت .

وضحك الجميع .

قال جوربوفسكي : — ان هذا حال كاميـل عندما يتمرّن وانا استطيع ان اتصور بشكل تقريبي ، لماذا تطرق الى مسالة الانشقاق هذه . ويبدو ان ما يشغله

كانت مسالة تطور الانسان ، وهو يخلق نماذج لها . وان البحث التركيبي لدعاة المنطق والانفعال يتمثل له ، كما يبدو ، بهيئة انسان جديد ، كف عن ان يكون انسانا . .

اطلق آلبا زفرة ثم اخفى غليونه . وقال :

— مشاكل ، ومشاكل ، و تناقضات ، وبحث تركيبي، ومؤخرة ، وجبهة . . . الم تلاحظوا من يجلس هنا ؟ انت ، وانت . . وهو . . وانا . جماعة من الخائبين . لفظهم العلم.اما العلم فهو هناك — يستلم الاولموترونات.

واراد ان يواصل كلامـــه ، ولكن انطلق صوت الميكروفون من جديد يقول :

— هنا ، «قوس قزح» ! يتحدث المدير . قائد سفينة النجوم «تاريبل — الثاني» ليونيد اندريفيتش جوربوفسكي . ومنظم توزيع الطاقة في الكوكب الرفيق كاتيكو . ارجو حضوركما اليّ فورا .

واطلت في تلك اللحظة رؤوس سواق السيارات . وظهرت على وجوههم تعابير تعكس سرورا لا يمكن وصفه . وكلهم كانوا ينظرون الى ملاحي النجوم المزيفين. واخفى بانين رأسه بين كتفيه ، وباعد بين يديه علامة الاخفاق . وصاح هانز بمرح : «هذا ليس انا ، فانا ضابط ملاحة !» .وتنحنح آلبا واخفى وجهه براحة يده . بينما نهض جوربوفسكي بسرعة . وقال :

— حان وقت ذهابي . ان لي رغبة شديدة في البقاء .

اذ لم يتسن لي قول ما اريد . ووجهة نظري باختصار هي : يجب على الانسان ان لا يقع فريسة خيبة الأمل فيستسلم . فالحياة رائعة ومع ذلك ، ولهذا السبب ، فان التناقضات والخلافات والانقلابات الجديدة لا تنتهي . اما فيما يتعلق بالمنغصات التي لا بد منها ، فانني احب كثيرا الكاتب كوبرين . واحد ابطال رواياتــه سكير وتعس . واتذكر جيدا ما قاله هذا البطل ـ «اذا ما سقطت تحت عجلات القطار ، وبقرت بطني ، وتطايرت أحشائي ، فاختلطت بالرمال ، والتفت حول عجلات القطار ، واذا ما سألت في آخر لحظة من حياتي هذه «ماذا تقول الآن ، هل الحياة رائعة ؟ » . فسأقول بسرور ممزوج بالامتنان ـ آه ما اروع الحياة ! » ـ وابتسم جوربوفسكي بارتباك ، ودس جهاز الحاكي في جيبه ـ . لقد كتب ذلك قبل ثلاثة قرون ، عندما كانت الانسانية لا تزال تحبو على اربع . فلنترك الشكوى جانبا . وسأترك لكم جهاز التكييف ، فالطقس هنا شديد الحرارة .

الفصل الخامس

لم يكن ماتفي لوحده . فقد جلس على مكتبه رجل وهو يؤرجح ساقيه ، ووضع يديه تحت فخذيه . كان اسود الشعر ذا عينين سوداوين ، سريع الحركة ، ويشبه تلميذ مدرســة على اعتاب التخرج . كان ذلك الرجل ايتيين لاموندوا كبير فيزيائيي المطلق ، «والفيزيائي الحاذق» كما كان زملاؤه يدعونه .

وقال جوربوفسكي : ـ ممكن ؟

فقال ماتفي : ـ واخيرا ، ها هو . اانتما متعارفان ؟

قفز لاموندوا من المكتب بسرعة ، واقترب من جوربوفسكي مصافحا يده بحرارة .

وقال وهو يبتسم ابتسامة عذبة : ـ انا مسرور بلقائك ايها القائد ! لقد كنا نتحدث عنك الآن .

فتراجع جوربوفسكي ، وجلس على أحد المقاعد . وقال : ـ

ـ كما كنا نتحدث عنك بدورنا .

وانحنى ايتيين بحيوية ورجع الى منضدة المدير . وقال : ـ

— وهكذا اذا فلنواصل الحديث . ان «الهاريبدات» ستكافح وتصمد الى النهاية . ويجب انصاف ماليايف — لقد صنع آلات رائعة . ومما يثير الاهتمام هو كون «الموجة» الشمالية من نوع جديد تماما . وقد سارع أولئك الفتيان الى اطلاق تسمية عليها . «موجة — ب»، باسم من ؟ باسم شوتا ذى الانف الكبير . يا للشيطان ، انا مجبر على الاعتراف بأننى فى قمة العجز واليأس . كيف لم انتبه من قبل الى هذه الظاهرة العظيمة؟ ينبغى الاعتذار الى ارسطوطاليس . فقد ظهر انه على حق . وكذلك كاميل . اننى انحنى امامه . لقد انحنيت له من قبل ، ولكننى كما ارى ، افهم الآن قصده . وبالمناسبة ، اتعرف بان كاميل لقى حتفه ؟

جذب ماتفى رأسه الى الخلف ، وقال :

— مرة اخرى ؟

— لقد بلغك النبأ ! قصة غريبة . مات ثم بعث من جديد . لقد سمعت عن مثل هذه الاشياء ، وليس فى الامر من جديد . اذ حدث الشئ نفسه مع المسيح . ولكن ، اتصدق بان سكلياروف يمكن ان يتركه طعمة «للموجة» ؟ اما انا — فلا اصدق . وهكذا ، فان «الموجة» الشمالية قد بلغت منطقة محطات المراقبة. والاولى — وهى «موجة-ليو» ، قد انحسرت . اما الثانية وهى «موجة — ب» ، فانها تضيق الخناق على

«الهاريبدات» بسرعة تصل الى عشرين كيلومترا فى الساعة . ويبدو ان المحاصيل الشمالية سوف تتلف . وارغمنا على أجلاء البيولوجيين بطائرات الهليكوبتر . .

وقال المدير : اعرف. ولقد قدموا شكوى حول ذلك.

— وماذا يمكن ان نفعل غير هذا ! لقد تصرفوا باسلوب يمكن تفهمه ، ولكنه معيب . واوقفت حركة «الموجة» فى المحيط . ولوحظت هناك ظاهرة ، كان ليو على استعداد لاعطاء نصف حياته بدلا منها وهى ظهور التشوهات فى «الموجة» الحلقية . وتنطبق هذه التشوهات على معادلة — كاّبا ، فاذا كانت «الموجة» هى مجال — كاّبا نفسه ، عندئذ يتضح كل شئ فورا ، وما كان يبغيه المسكين ماليايف:—وهو التسرب من نوع «د»، وانبثاق النافورات، و «الاشباح الثانوية».. ياللشيطان ، لقد تسنى لنا ان نعرف فى الساعات الثلاث هذه أكثر مما عرفناه فى عشرة اعوام . ماتفى ، خذ فى الاعتبار ، باننا سنحتاج الى مسجل «و» ، بل اثنين منه ، حالما ينتهى كل هذا . واعتبر باننى قدمت طلبا بذلك . فان الآلات الحاسبة العادية لا تجدى نفعا . وما ينفع هو حساب ليو ، ومنطق ليو فقط !

فقال ماتفى: حسنا حسنا . وكيف الامور فى الجنوب؟

— فى الجنوب المحيط . ويمكنك ان تكون مطمئنا بشأنه. وقد وصلت «الموجة» هناك الى ساحل بوشكين.

واحرقت «الارخبيل» الجنوبي وتوقفت . ولدى انطباع، بانها لن تتقدم اكثر من ذلك ، مع مزيد الاسف ، لان المراقبين غادروا المنطقة بسرعة تاركين كل الاجهزة الاوتوماتيكيــة هناك ، ونحن لا نعرف عن «الموجة» الجنوبية اى شئ تقريبا . — وطقطق اصابعه بأسف — . انا اعرف ان ما يهمك هو شئ آخر تماما . ولكن ما العمل يا ماتفى ! فلننظر للامور نظرة واقعية . فأن «قوس قزح» هو كوكب الفيزيائيين . انه مختبرنا . وقد تهدمت المحطات الكهربائية ، ولا يمكنك اعادتها من جديد . وعندما ستنتهى هذه التجربة فسنعيد بناءهـا مرة اخرى . لأننـا سنحتاج الى المزيد مـن الطاقة! اما فيما يخص الصناعة السمكية فالى الشيطان.. ان فيزيائيى المطلــق على استعداد للامتناع عن أكل حساء الكالمار ! لا تغضب علينا يا ماتفى .

فقال المدير وهو يطلق زفرة ثقيلة عميقة : — انى لست غاضبا . ولكن يوجد فيك ، يا ايتيين ، شئ من طباع الاطفال . فأنت كالطفل تلعب وتحطم كل ما هو عزيز على الكبار . — وزفر من جديد — . حاول انقاذ محاصيل الجنوب على الاقل . فليست لدى رغبة أبدا فى فقدان الاكتفاء الذاتى .

نظر لاموندوا الى الساعة ، وخفض رأسه ، ثم خرج دون ان يقول كلمة . و نظر المدير الى جوربوفسكى . ثم سأله وهو يضحك بغير مرح : —

— ما رأيك بذلك يا ليونيد ! نعم يا صديقى . يا للمسكينة بو ستيشيفا، انها ملاك بالمقارنة مع هؤلاء البرابرة . وعندما افكر بانه ستضاف الى كل همومى مشاغل اعادة بناء جهاز الخدمات والمرافق يقف شعر رأسى من الهول . — وجذب طرف شاربه — . ومن ناحية اخرى فان لاموندوا على حق . — فان «قوس قزح» هو فعلا كوكب الفيزيائيين . ولكن ماذا سيقول كانيكو، وماذا ستقول جينا . . . — وهز رأسه وطوى كتفيه — . نعم ! كانيكو ! اين كانيكو ؟

وقال جوربوفسكى : — ماتفى، هل لى ان اعرف لماذا دعوتنى ؟

فاخذ المدير موليا ظهره له ، فى ادارة ازرار جهاز الاتصال ، وسأله هل انت مرتاح ؟

فقال جوربوفسكى الذى كان قد استلقى فى مقعده : نعم .

— ربما لك رغبة فى شرب شئ ما ؟

— نعم .

— خذ من الثلاجة ما تريد . ربما تريد ان تأكل ؟

— ليس لى رغبة بعد. ولكننى سأريد ذلك بعد قليل.

— وعندها سنتحدث . اما الآن فلا تشغلنى عن العمل.

وتنـاول جوربوفسكى من الثلاجـة عصير الفواكـه وقدح ، ثم مزج لنفسه كوكتيلا ، واستلقى فى مقعده

من جديد ، بعد ان خفض مسنده . كان المقعد ناعما وباردا . وكان الكوكتيل مثلجا ولذيذا . وبقى مستلقيا هكذا وهو يمتص الكوكتيل من القدح ، بواسطة قصبة رفيعة ، وكانت عيناه نصف مغمضتين ، وانصت الى المدير وهو يتحدث مع كانيكو .

وقال كانيكو انه لا يستطيع المجئ ، لان هناك من لا يسمح له بالخروج . فسأله المدير من ذلك الذى لا يسمح له بالخروج . وقال له سارسل جابا اليك الآن. فعارض كانيكو ذلك ، وقال بان لديه بغير جابا الكثير من الناس والصخب. وعندما حدثه المدير عن «الموجة»، وذكره بلهجة فيها اعتذار بان كانيكو رغم كل شئ هو رئيس هيئة صيانة امن الافراد فى كوكب «قوس قزح». وقال كانيكو غاضبا ، بانه لا يتذكر ذلك ، وشعر جوربوفسكى بالتعاطف معه .

كان رؤساء هيئات صيانة امن الافراد يثيرون لديه دائما شعورا بالاسى والعذاب. وقد كان يأتى الى الكواكب المهيئة لمعيشة الانسان ، او التى لم يتم تهيأتها لذلك بعد ان عاجلا او آجلا، اناس غرباء، سياح او اناس فى اجازة (مع العوائل والاطفال) ، او رسامون احرار يبحثون عن انطباعات جديدة ، او فاشلون يبحثون عن الوحدة او عن عمل اكثر صعوبة، والهواة، ممارسو رياضة الصيد وغيرهم من الناس ، الذين لم يسجلوا فى اى مكان ،

وغير معروفين البتة فى الكوكب ، والذين لا تربطهم باحد ما رابطة ، والذين يحاولون عدم التقيد باية قيود . ورئيس هيئة صيانة امن الافراد ملزم بالتعرف شخصيا على كل واحد من هؤلاء الغرباء ، أعطائهم الارشادات ، ومراعاة ان يقدم كل واحد منهم معلومات يومية عن نفسه باللاسلكى الى ماكينة تسجيل خاصة . وقد انقذ رجال هذه الهيئات حياة العديد من الغرباء فى الكواكب الخطيرة مثل «يايلا» و «باندورا» ، التى يلاقى القادم اليها مختلف انواع الاخطار فى كل خطوة يخطوها . ولكن هيئة انقاذ الافراد فى كوكب مثل «قوس قزح» ارضه مسطحة كاللوحة ، ومناخه معتدل ، وعالمه الحيوانى بسيط ، وبحره لطيف وهادئ على الدوام ، لا بد وان تتحول هذه الهيئة ، وهو امر لامفر منه ، ويثبته واقع الحال ، الى هيئة شكلية فحسب . وكان كانيكو الرجل المؤدب النزيه الذى شعر بوضعه غير المحدد ، يقوم طبعا لا باعمال توجيه الارشادات الى الادباء الذين جاءوا الى هنا للعمل فى خلوة ، ولا فى اعداد برامج سفر خاصة للعشاق والمتزوجين حديثا ، بل باعمال التخطيط او اى عمل حقيقى آخر .

وسأل ماتفى : — كم عدد الغرباء فى الكوكب الآن ؟ —

— حوالى الستين شخصا . او اكثر قليلا .

— كانيكو ، يا صديقى العزيز ، يجب البحث فورا عن جميع الغرباء وارسالهم الى العاصمة .

فقال كانيكو بادب : — انني لا افهم مغزى هذا الاجراء. ففي المناطق المهددة بالخطر قلما يوجد الغرباء في الواقع . فهناك سهوب عارية جرداء ذات رائحة غير لطيفة والطقس حار جدا . . فرجاه ماتفي قائلا : — ارجوك ياكانيكو ، دعنا لا نتجادل في الامر . «الموجة» هي «الموجة» . وفي مثل هذا الوقت من الافضل ان يكون قريبا جميع الناس الذين لا علاقة لهم بنا . سياتي الى هنا جابا مع «عاطليه» الآن ، وسارسله اليك . فقم بما يلزم هناك .

وضع جوربوفسكن القصبة ، واخذ يحتسي الكوكتيل من القدح مباشرة . وفكر في نفسه «صرع كاميل . وبعد ان مات بعث من جديد . لقد حدثت معي مثل هذه الاشياء . ويبدو ان هذه «الموجة» المشؤومة اثارت رعبا كبيرا . وغالبا ما يلقى احدهم حتفه اثناء هذا الرعب . وبعد ذلك تصيبك الدهشة الفائقة عندما تلتقي به في مقهى على بعد ملايين الكيلومترات من موضع مصرعه . ويبدو وجهه مملوءا بالخدوش ، وصوته متحشرج ومرح ، وهو يستمع الى النكات ويتناول الطبق السادس من الروبيان المملح مع كرنب سيتشوان» .

ونادى قائلا : — ماتفي . اين كاميل الآن ؟

— آه ، انت لا تعرف بعد . — قال المدير ذلك ، ثم اقترب من المائدة واخذ يمزج لنفسه كوكتيلا من

عصير الرمان ورحيق الاناناس . — لقد قال مالياڤ من جرنفيلد بأن كاميل كان في احد المواقع الامامية ، ولم يستطع مغادرته ، فبقي تحت رحمة «الموجة» . وهي قصة مشوشة غامضة . فالمراقب سكلياروف انطلق اليهم في مركبة كاميل الطائرة ، واثار موجة من الهستيريا واعلن بأن كاميل قد سحق ، وبعد عشرة دقائق اتصل كاميل بجرينفيلد ، كعادته في التنبؤ ثم اختفى . وهل يمكن بعد كل هذه الحيل والالاعيب النظر الى كاميل نظرة جدية ؟

— نعم . ان كاميل انسان كبير وطريف . ومن هو سكلياروف هذا ؟

— هو مراقب يعمل لدى مالياڤ ، لقد قلت لك ذلك . وهو شاب مجد ودؤوب ومحبوب لكنه ضيق الافق جدا . . والافتراض بانه خان كاميل — امر سخيف وغير معقول . . ان مثل هذه الافكار الشاذة تراود ذهن مالياڤ دائما . .

وقال جوربوفسكي : — لا تقسو على مالياڤ . فهو مجرد انسان يحكم منطقه في الامور . على اية حال ، لندع الحديث عن ذلك . لنتحدث عن «الموجة» ، فذلك افضل .

فقال المدير وهو شارد الذهن : — هيا . . .

— هل هي خطيرة جدا ؟

— ماذا ؟

— «الموجة» هل هى خطيرة ؟

وتأفف ماتفى . وقال :

— ان هذه «الموجة» عموما تجلب خطر الموت . ولكن المصيبة هو ان الفيزيائيين لا يعرفون مسبقا كيف ستسير . اذ قد تنحسر فى اية لحظة ، مثلا — وصمت — . وقد لا تنحسر .

— اليس بالامكان الاحتماء منها ؟

— لم يتطرق الى سمعى ان حاول احدهم ذلك . ويقال ان منظرها رهيب جدا .

— هل من المعقول انك لم ترها ؟

فانتصب شارب ماتفى :

— انت ترى ان وقتى ضيق جدا لكى استطيع التجول فى ارجاء الكوكب . فاننى دائما فى انتظار احد ما ، او اهدىء احدهم ، او ينتظرنى احدهم . . واؤكد لك انه حتى لو كان لدى وقت فراغ . . .

وسأل جوربوفسكى بحذر : — ماتفى ، يبدو انك دعوتنى من اجل البحث عن الغرباء ، اليس كذلك ؟

فنظر المدير اليه نظرة صارمة :

— اتريد ان تأكل ؟

— ك . . لا .

واخذ ماتفى يذرع الغرفة ذهابا وايابا .

— سأحدثك عما يقلقنى . فاولا ، تنبأ كاميل بان هذه التجربة لن تكلل بالنجاح . ولم يلق احد منهم اليه بالا. وانا بدورى ايضا. ويعترف لاموندوا الآن بان كاميل كان على حق . . .

فتح الباب، وولج الغرفة زنجى شاب ضخم البنية ، ذا اسنان لماعة مدهشة ، ويرتدى سراويل بيضاء وسترة بيضاء وينتعل حذائين ابيضين بلا جوارب .

واعلن عن نفسه وهو يلوح بذراعيه الضخمتين : — لقد اتيت ! ماذا تريد يا سيدى ومديرى ؟ اتريد ان اهدم المدينة او ابنى قصرا ؟ اردت ، بعد ان حزرت رغبتك ، بان اختطف لك اجمل النساء ، واسمها جينا بيكبريدج ، ولكن ظهر ان سحرها اقوى ، لذا بقيت فى مدينة الصيادين ، وهى ترسل لك تحياتها غير الودية . .

فقال المدير : — لا علاقة لى بالامر . لترسل تحياتها الى لاموندوا .

فهتف الزنجى : — دعها تفعل ذلك !

وقال المدير : — جابا ، اسمعت بخبر «الموجة» ؟

فقال الزنجى بلهجة استخفاف : — وهل هذه «موجة» ؟ انتظر عندما ادخل قمرة الانطلاق ، وعندما يضغط لاموندوا على عجلة الاطلاق ، ستحدث عندئذ «موجة» حقيقية ! اما هذه — فهراء ، انها مجرد رعشة بسيطة ! انى اصغى اليك ، وعلى استعداد لتنفيذ اوامرك .

وساله المدير بصبر :ـ هل فرقتك معك ؟ ـ فاشار جابا بدون ان يتفوه بكلمة الى النافذة ـ . اذهب معهم الى المطار الكونى ، وستتلقى الاوامر من كانيكو .

فقال جابا :ـ على عينى ورأسى .

وفى هذه اللحظة صدحت حناجر جهورية الصوت باغنية بمصاحبة البانجو :ـ

على كوكب «قوس قزح»
«قوس قزح» ، المرح

وبقفزة واحدة كان جابا عند النافذة فصرخ : هدوء !! فخفتت الاغنية . وواصل صوت رفيع واضح الغناء :

احفر لى قبرا عميقا وضيقا
واصنع تابوتى متينا ، نظيفا ، مريحا * . . .

ـ اننى ذاهب ـ قال جابا ذلك ، وقد داخله شعور ببعض الخجل ، وبقفزة عنيفة انطلق عبر النافذة الى الخارج . واستقبل هناك بالصراخ .

تمتم المدير ، وهو يزمجر :ـ عاطلون ، ـ واغلق النافذة ـ ، لقد انتظرهؤلاء الاولاد كثيرا ، لا ادرى ماذا سافعل بدونهم .

وبقى واقفا عند النافذة ، بينما كان جوربوفسكى ينظر اليه من الخلف ، بعد ان فتح عينيه . وبدا ظهره

* من اغنية شعبية اميركية .

عريضا ، وفى الوقت نفسه بائسا ، لسبب ما ، حتى ان جوربوفسكى قلق لامره . فليس من المقبول ان يكون ظهر طيار النجوم ماتفى بهذا الشكل .

قال جوبوفسكى :ـ أ حقا انت فى حاجة الي ، يا ماتفى ؟

فقال المدير :ـ نعم . انا فى حاجة شديدة اليك . ـ وتابع التطلع عبر النافذة .

قال جوربوفسكى :ـ ماتفى ، حدثنى ما القضية ؟

ـ انه الضجر والقلق والمشاغل ـ قال ماتفى ذلك ، ثم التزم الصمت .

فاعتدل جوربوفسكى فى جلسته ، وفتح جهاز الحاكى بهدوء ، وقال بصوت خافت :

ـ حسنا ايها الصديق ، فساجلس هنا معك .

ـ نعم ، اجلس ، رجاء .

وترددت الحان جيتار حزينة وكسولة ، وسادت السماء الحارة الخالية من الغيوم فى الخارج على كل شىء . بينما كان جو الغرفة باردا ومعتما .

ـ الانتظار . لننتظر . ـ قال المدير ذلك بصوت عال ، وعاد الى مقعده . بينما التزم جوربوفسكى الصمت .

ثم قال :ـ نعم ! يالي من رجل قليل الادب ! لقد نسيت نهائيا .

ـ كيف حال جينا ، يا ماتفى ؟

— بخير ، شكرا .

— الم ترجع ؟

— لا . منذ ذلك الحين . واعتقد انها لا تريد حتى التفكير في ذلك الآن .

— اهذا بسبب إليوشا ؟

— طبعا ، انه امر في غاية العجب ، ان تبدو المسألة لها على هذا القدر من الاهمية .

— اتذكر كيف اقسمت : ليولد فقط . . .

— انني اتذكر كل شيء . واذكر اشياء لا تعرفها انت ايضا . فلقد لقيت معه اول الامر صنوف العذاب . وشكت منه كثيرا . وقالت انه ليس لديها عواطف الامومة . واتهمت نفسها بانها وحش .. جماد بدون حس . ثم حدث امر ما . . . حتى انني لم الاحظ كيف جرى ذلك . والحقيقة انه كان صبيا .. رقيقا جدا ، وشاطرا . حدث مرة عندما كنت اتنزه معه في المنتزه مساء ان سألني فجأة : « بابا ، ما هذا الذي يتماوج ؟ » . ولم افهم في اول الامر معنى قوله . ثم رأيت ما كان يشير اليه . . اتفهم ما اقول ، كانت الريح شديدة ، وكان المصباح المعلق هناك يتارجح ، فيترك ظلالا متراقصة على الحائط . « يتماوج » . انه تصوير دقيق للمشهد ، اليس كذلك ؟

وقال جوربوفسكي : حقا . سيكون كاتبا . ومع ذلك

فمن الافضل ارساله الى المدرسة الداخلية .

فلوح ماتفي يده ، مشيرا ان لا فائدة من محاولة ذلك . وقال :

— لا فائدة من الكلام. انها لا تريد ارساله الى هناك. اتعرف ، لقد عارضتها اول الامر ، ثم فكرت : ولم ؟ لم نسلب هذه المرأة معنى الحياة ؟ فهو بالنسبة لها معنى الحياة . — واعترف قائلا : — هذا امر لا استطيع ادراك كنهه ، ولكنني اؤمن به لانني اراه . ولربما انني اكبر منها سنا بكثير . وقد انجبت إليوشا في وقت متاخر جدا بالنسبة لي . وانا افكر احيانا ، لكم كنت ساصبح وحيدا، لو لم اعرف بانني استطيع ان اراه كل يوم . وتقول جينا بانني احبه لا كأب بل كجد . ربما كان الامر كذلك . اتفهم ما اعنيه ؟

— افهم . لكن الامر يثير استغرابي ، لانني لم اكن وحيدا ابدا يا ماتفي .

قال ماتفي : — نعم . انك محاط دائما بأناس هم بامس الحاجة اليك . . منذ ان عرفتك . ان لك طبيعة طيبة ، والكل يحبونك .

فقال جوربوفسكي : — ليس الامر كذلك . لكنني احب الجميع . لقد عشت مائة عام تقريبا . وتصور يا ماتفي ، انني لم التق بشخص كريه ابدا .

واستطرد ماتفي قائلا :ــ انك انسان غني . . .

وتذكر جوربوفسكي امرا ما ، فقال :ــ وبالمناسبة ، لقد صدر في موسكو كتاب « ليس هناك اكثر مرارة من فرحتك » لسيرجي فولكوفوي . انها قنبلة جديدة فجرها الانفعاليون . وقد هبَّ جينكين للتعليق عليه بمقالة مملؤة سخرية . وهي مقالة ذكية لكنها غير مقنعة . فبرأيه ان الادب يجب ان يكون بشكل يجعل تحليله الى اجزائه المكونة امرا ممتعا . وقد ضحك الانفعاليون لذلك بخبث . ويبدو ان النقاش حول ذلك مستمر حتى الوقت الحاضر . وانا لا افهم هذا السلوك ابدا . فلم لا يستطيعون معاملة احدهم الآخر بتسامح ؟

قال ماتفي :ــ ان الامر بسيط جدا . فكل منهم يتصور انه يصنع التاريخ !

وعارضه جوربوفسكي قائلا :ــ ولكنه يصنع التاريخ . فكل فرد يصنع التاريخ فعلا ! فاننا رجال العلم والانتاج واقعون تحت تأثيرهم بهذا الشكل او ذاك .

وقال ماتفي :ــ انني لا اريد محاجحتك حول هذا الموضوع . بل ولم افكر بذلك ابدا يا ليونيد . وانا لست واقعا تحت تأثيرهم .

فقال جوربوفسكي :ــ دعنا لا نتجادل . لنشرب عصير الفواكه . واذا احببت فانني استطيع حتى شرب النبيذ المحلي . شرط ان يخفف ذلك عنك .

ان ما يخفف عني الآن هو امر واحد . هو ان يحضر لاموندوا ليقول لي ان « الموجة » قد اضمحلت .

وصمتا فترة من الوقت ، وهما يحتسيان العصير ، وينظر احدهما الى الآخر من فوق قدحيهما .

ثم قال جوربوفسكي :ــ لقد مضت فترة طويلة دون ان يخابرك احد . ان هذا الامر يبدو غريبا بعض الشيء .

فقال ماتفي :ــ « الموجة » ، وكلهم مشغولون بامرها . ونسيت الخلافات . والجميع يهربون منها .

وفتح الباب الواقع في عمق الغرفة ، وظهر على عتبته ايتيين لاموندوا . كان وجهه يعبر عن التفكير العميق ، وسار ببطء غير اعتيادي ، وبحركات موزونة . فنظر جوربوفسكي والمدير وهما صامتان ، كيف كان يسير . واحسَّ جوربوفسكي بشعور مقرف في بطنه. ولم تكن لديه صورة عما يجري او ما جرى، ولكنه ادرك بانه لا يمكن الاستلقاء اكثر . فاغلق جهاز الحاكي .

اقترب لاموندوا من مكتب المدير ثم توقف . وقال بصوت بطيء ورتيب :

ــ اعتقد ، بانني ساكدرك . ان « الهاريبدات » لم تعد تصمد امام « الموجة » . ــ وغاص رأس ماتفي ما بين كتفيه ــ . ان الجبهة قد تحطمت في الشمال والجنوب . وتنتشر « الموجة » بسرعة تزداد عشرة امتار في الثانية . كما انقطع الاتصال بمحطات المراقبة . وقد اسرعت

باعطاء الامر لاجلاء المعدات الثمينة والارشيفات . — ثم التفت الى جوربوفسكى — ايها القائد ، ان كل املنا فيك . قل لى رجاء ما هى حمولة سفينتك ؟

نظر جوربوفسكى الى ماتفى دون ان يجيب . كانت عينا المدير مغلقتين . وكان يمسّد سطح المنضدة بيديه الضخمتين على غير هدى .

فكر جوربوفسكى وهو ينهض : — حمولة السفينة ؟ — واقترب من لوحة التوجيه التى يستخدمها المدير ، وانحنى على ميكروفون الارسال العمومى ، وقال : — هنا «قوس قزح» ! يرجى صعود ضابط الملاحة فالكنشتين ومهندس السفينة ديكسون الى متنها فورا .

ثم عاد الى ماتفى ووضع يده على كتفه ، وقال :

— ليس هناك ما يخشى منه يا صديقى . سنجد مكانا للجميع . اعطى الامر باخلاء مدينة الاطفال . وساخذ على عاتقى مهمة اخلاء دور الحضانة . — ثم نظر الى لاموندوا وقال : اما عن حمولة سفينتى ، فهى ليست كبيرة يا ايتيين .

كانت عينا ايتيين لاموندوا سوداوين وهادئتين — كانتا عينى انسان يعلم بانه على حق دائما .

الفصل السادس

رأى روبرت كيف حدث ذلك كله .

كان جالسا القرفصاء فوق سطح برج المراقبة البعيدة المدى ، وهو ينتزع بحذر هوائيات اجهزة الاستقبال . وكان عددها ثمان واربعين — وهى عبارة عن قضبان ثقيلة ورفيعة ، مركبة فوق هيكل منحنى الشكل ، منزلق . وكان ينبغى انتزاعها بعناية ووضعها بكل حذر فى حافظات خاصة . كان روبرت فى عجلة شديدة من أمره ، وهو ينظر باستمرار عبر كتفيه الى جهة الشمال .

وخيمت على الافق الشمالى غمامة سوداء كانها جدار عال . وتكونت فى قمتها حلقة ضوئية ساطعة ، وفوقها قليلا ، ومضت فى السماء الخالية من النجوم طبقات بنفسجية شاحبة . كانت «الموجة» تتحرك دون ان يعيقها عائق ، ولكن ببطء شديد . ولم يكن احد ليصدق ان تلك المجموعة الصغيرة من الماكينات الخالية من مسحة اناقة ، والمتناثرة هنا وهناك ، والتى بدت من هنا صغيرة جدا ، هى التى تعطل زحف الموجة . وكان يخيم على

المكان الصمت والقيظ ، وبدت الشمس ساطعة بشكل خاص ، كما هى الحال قبيل انقضاض الصاعقة على «الارض» . . . عندمـا يهدأ كل شئ ، وتصبح الشمس شديدة السطوع ، بينما تغطى الغيوم الثقيلة السوداء المائلة للزرقة نصف السماء . وكان يقترن بهذا الصمت احساس رهيب خاص و طارئ ، وكأنه من العالم الآخر ، لانه تسبق «الموجة» الزاحفة عادة الاعاصير الشديدة وهدير البرق المتواصل .

وخيّم الصمت الآن على المنطقة تماما . ووصلت الى سمع روبرت بشكل واضح اصوات سريعة آتية من الاسفل ، حيث يجرى تحميل الاجهزة الثمينة جدا ، وملاحظات المراقبة اليومية ، وتسجيلات الاجهزة الاوتوماتيكية . وكان يجرى تحميلها بسرعة على متن طائرة هليكوبتر ثقيلة . وسمع بوضوح صوت باجافا وهو يعنف البعض لانهم رفعوا اجهزة التحليل قبل الاوان ، بينما كان مالیایف يتناقش مع باتريك حول مسألة نظرية بحتة هى احتمال توزيع الطبقات فى حاجز من الطاقة فوق «الموجة» . وقد تجمع كل سكان جرينفيلد الآن فى هذا البرج تحت قدمى روبرت وفى الساحة . و ارسل البيولوجيون الثائرون ومجموعتان من السياح، الذين توقفوا للمبيت عشية ذلك فى القرية، الى ما وراء المنطقة الزراعية . و ارسل البيولوجيون

على متن مركبة مجنحة مع موظفى المختبر ، وامرهم باجافا بتجهيز نقطة مراقبة جديدة وراء المنطقة الزراعية . وقد حمل السياح اتوبيس طائر جاء خصيصا من العاصمة . وكان البيولوجيون والسياح غير راضين ابدا ، وعندما غادروا جرينفيلد لم يبق فيها سوى من رضى بالحالة .

كان روبرت يعمل بصورة ميكانيكية تقريبا ، وكما هى حاله عندما يقوم بعمل يدوى ما، اخذ يفكر بمختلف الاشياء . واحس بألم شديد فى كتفه . امر غريب ، فهو لم يصطدم بكتفه باى شئ . واحس بألم فى بطنه ، وهو امر مفهوم ، فقد اصطدم بالاولموترون . وفكر بانه من الطريف معرفة حال الاولموترون الآن . وكذلك حال المركبة المجنحة . وكذلك حال . . . ومن الطريف معرفة ما سيحدث هنا بعد ثلاث ساعات . اننى آسف لمصير حديقة الازهار . . . اذ قضى الاطفال صيفا كاملا فى العمل فيها ، وابتدعوا اكثر انواع الزهور غرابة . وفى ذلك الوقت تعرفت على تاتيا . وصاح بصوت منخفض — «تا . . نيا» . . كيف حالك الآن؟ وتصور المسافة بين جبهة «الموجة» ومدينة الاطفال. وفكر بارتياح بانها فى مامن . ربما لا يعرفون هناك بحدوث «الموجة»، وتمرد البيولوجيين ، و باننى كنت على حافة الموت ، وبان كاميل . . .

اعتدل فى جلسته ، ومسح وجهه بقفا يده ، ونظر باتجاه الجنوب . . الى حقول الحنطة الخضراء التى لا نهاية لها. وحاول التفكير فى قطعان البقر الهائلة التى تربى من اجل لحومها ، والتى تساق الآن الى اعماق القارة ، وفى العمل الكبير الذى يجب القيام به لاعادة تعمير جرينفيلد من جديد عندما تنحسر «الموجة» ، وكم هو مزعج الانتقال الى الغذاء الاصطناعى بعد سنتين من سنوات الخير الوافر ، فيأكل البفتيك الاصطناعى ، والكمثرى التى يشبه مذاقها مذاق معجون الاسنان . و «الحساء الريفى» المصنوع من الكلوروفيل، والكستليتة التى تشبه تلك المصنوعة من لحم الغنم، لكنها فى الواقع مصنوعة من مواد شبه حية، وغيرها من عجائب المركبات الاصطناعية ، عليها اللعنة . . . ودار فى خلده مختلف الافكار ، لكنه لم يستطع عمل شئ .

لم يكن هنالك من مهرب من عينى باجافا الذاهلتين ، ومن لهجة مالايف الباردة، ومن اسلوب باتريك الشديد التادب الى حد المبالغة . واكثر الامور ازعاجا هو انه لم يكن بالمستطاع عمل شئ . وانه لو نظر شخص غريب الى الامر لوجده غريبا ، اذا ما اردنا التعبير بلباقة . ولماذا اللباقة فى التعبير ؟ ان ذلك يبدو بكل بساطة وحيد المعنى . مراقب مذعور ، يطير فى عربة طائرة ليست له ، ليعلن عن مصرع رفيقه . ثم يتضح فيما بعد

ان هذا الرفيق لا يزال حيا . يتبين ايضا بان هذا الرفيق لقى مصرعه فيما بعد ، بعد ان هرب المراقب على متن عربته الطائرة . وكرر روبرت لنفسه للمرة العاشرة — لكنه قتل مسحوقا حتى الموت . ولكن قد يكون الامر مجرد هذيان . ربما ذعرت حتى الهذيان ؟ اننى لم اسمع ابدا بمثل هذه الاشياء . غير اننى لم اسمع ابدا ايضا عن حدوث شئ يشبه الذى حدث — ان كان قد حدث فعلا — وفكر بيأس : ليكن الامر كذلك . دعهم لا يصدقونني . فان صغيرتى تانيا ستصدقني . آه ، لو صدقتنى ! اما بالنسبة لهم فالامر سيان ، فهم قد نسوا كل شئ عن كاميل فورا . وسيتذكرونه عندما يروننى فقط . وسيتطلعون الي بعيون نظرية، وهم يحللون الامور ويقيسونها ويزنوها. وسيضعون اقل الفرضيات تناقضا ، ولكنهم سوف لا يعرفون الحقيقة ابدا .. وانا ايضا ، سوف لا اعرف الحقيقة ابدا .

وانتزع آخر هوائى ، ووضعه فى الحافظة ، ثم جمع كل الحافظات فى صندوق مستو من الكارتون ، وفى هذه الاثناء سمع من الناحية الشمالية صوتا داويا ، كما لو انفجر بالون هوائى فى صالة فارغة . التفت روبرت فرأى كيف ترتفع السنة اللهب البيضاء امام «الموجة» السوداء الاردوازية.كانت احدى «الهاريبدات» تحترق.

فخفتت الاصوات تحته فورا ، وعوى ثم خمد صوت محرك طائرة هليكوبتر كان يعمل بكل طاقته . ويبدو انهم هناك كانوا ينصتون ويشاهدون ما يجرى فى الناحية الشمالية . ولم يدرك روبرت بعد حقيقة ما حدث، عندما اهتزت «هاريبدة» احتياطية من تحت البرج ، وهى تسحق فى طريقها اشجار النخيل المنتصبة هناك، وترفع اثناء سيرها فوهات ممتصات الطاقة . و هدرت فى الارض الفضاء بشكل يصم الاذان، واندفعت نحو الشمال لتشغل المكان الشاغر فى سلسلة «الهاريبدات» هناك . وقد غطتها سحابة من الغبار الاحمر .

كان ما حدث امرا معتادا هناك : فان احدى الهاريبدات لم تستطع ان تحول الى «البازلت» فائض الطاقة ، وانحنى روبرت ليحمل الصندوق الكارتونى، واذا بوميض ساطع آخر ينطلق فى اسفل جدار السحابة السوداء ، وحلقت فى الجو من جديد السنة لهب مختلفة الالوان على شكل مروحة ، وظهر عمود آخر من الدخان الابيض ، الذى كان يتجمع ويزداد كثافة ، وهو يطاول عنان السماء . وسمع صوت انفجار آخر. وصاح البعض فى الاسفل فى صوت واحد ، ورأى روبرت فورا بضعة السنة من اللهيب بعيدا فى الجهـة الشرقيـة . كانت «الهاريبدات» تحترق الواحدة تلو الاخرى، وبعد دقيقة اصبح جدار «الموجة» الذى يبلغ طوله عدة مئات من

الكيلومترات يشبه لوحة الدراسة وقد خطت عليها خطوط بيضاء بالطباشير ، وهى تتارجح وتزحف الى الامام ، نائرة امامها فى السهب بقعا ملتهبة سوداء . وابتلع روبرت ريقه من بلعومه الذى اصابه الجفاف ، واختطف الصندوق ، وهرول فى السلم نازلا الى الاسفل.

كان الناس يهرولون فى الممرات . وركضت مارة به زينا وقد اصابها الذعر، وهى تضم الى صدرها لفة من علب الافلام . وكان غسان على زاده ذو الانف المعقوف وكارل هوفمان يجران بسرعة مذهلة نحو المخرج صندوقا ضخما يعود لاحد اجهزة المختبر ــ وكانما حملتهما الرياح . ونادى احدهم قائلا : «تعال الى هنا ! انا لا استطيع وحدى ! غسان ! . . .» . وسمع صوت تكسر زجاج فى الردهة . وهدرت المحركات فى الساحة . وفى غرفة التوجيه ، كان باجافا يقفز امام الشاشة وهو يطأ بقدميه الخرائط والاوراق المبعثرة هناك ، وهو يصرخ بنفاذ صبر : «لماذا لا تسمع ؟ ان «الهاريبدات» تحترق ! اقول ان «الهاريبدات» تحترق ! وقد تسربت «الموجة» ! اتعرف ، اننى لا اسمع ما تقول ! . . ايتيين ! اذا فهمتنى فاومئ برأسك ! . .» .

واخذ روبرت يهبط الى الردهة ، وقد تغضن وجهه بسبب الالم ، وهو يحمل الصندوق على كتفه . وكان احدهم يتنفس بصوت مسموع خلفه ينزل السلم محدثا

صريرا مسموعا . كانت الردهة مغطاة باوراق التغليف وحطام احد الاجهزة . وانشرخت الباب المصنوعة من الزجاج غيرالقابل للكسر طوليا . شق روبرت طريقه الى سقيفة الباب، ووقف هناك. فرأى كيف تطير المركبات المجنحة الى السماء وهي ممتلئة بالحمولات . ورأى كيف كان مالبايف يحشر الفتيات العاملات في المختبر في آخر مركبة مجنحة ، وهو صامت ووجهه جامد كانه قدّ من حجر . ورأى كيف كان غسان وكارل هوفمان يعضان على شفاههما بتأثير الثقل الشديد ، وهما يحاولان حشر صندوقهما في باب طائرة الهليكوبتر ، بينما كان يحاول شخص من الداخل مساعدتهما ، ولكن كلما كان يحاول ذلك كانت اصابع يده تنحشر ما بين الصندوق والباب . كما رأى باتريك الهادئ تماما والناعس ، وقد استند بظهره الى المصباح الخلفي للطائرة ، ودلّ مظهره على التركيز والاغراق في تفكير عميق . وعندما ادار رأسه ، رأى فوق رأسه تقريباً جدار «الموجة» السوداء الفاحمة ، وكأنها ستارة من القطيفــة السوداء تغطي السماء .

وصرخ باجافا بالقرب من اذنه : — كفى تحميلا ! عودوا الى رشدكم ! واتركوا هذا الصندوق جانبا !

واصطدم الصندوق بالارض محدثا رنينا عند اصطدامه بالخرسانة .

وصرخ باجافا وهو يترك السقيفة : — اتركوا كل شئ ! الجميع الى طائرة الهليكوبتر فورا ! الا تروننا ، ها ؟ مع من اتحدث ، انت يا سكليياروف ! باتريك ، هل انت نائم ؟

فلم يتحرك روبرت من مكانه . وكذلك باتريك . وفي هذا الاثناء كان مالبايف الذي انهى التحميل يغلق باب المركبة الطائرة ، ثم لوح بيده. فنشرت المركبة الطائرة جناحيها ، وقفزت بصعوبة ، ثم مالت على جانبها ، وحلقت الى ما وراء السقف . وتطايرت الصناديق من داخل طائرة الهليكوبتر . وتوسل احدهم بلهجة باكية : «لا يمكنني اعطاؤه يا شوتا بتروفيتش ! لا يمكنني اعطاؤه لهم ! » . وجاء صوت باجافا كالرعد ، وهو يقول : «ستعطيني اياه يا عزيزي ، لا بد وان تفعل ذلك ! » . وهرع اليه مالبايف وهو يصرخ قائلا شيئا ما ومشيرا الى السماء . فرفع روبرت عينيه . كانت طائرة المراقبة الهليكوبتر الصغيرة المغطاة كالقنفذ بقضبان الهوائيات ، تطير محدثة ضجيجا حادا من محركها الساخن فوق الساحة. ثم انطلقت بسرعة متجهة نحو الجنوب . ولوح باجافا بقبضتيه نحوها متوعدا ، وهو يصرخ :

— الى اين ؟ ارجع ! ارجع ايها الاحمق ! اوقفوا «موجة» الرعب هذه ! اوقفوه !

كان روبرت واقفا طيلة الوقت تحت السقيفة حاملا فوق كتفه التي تؤلمه الصندوق الكارتوني . وكان يشعر كمالوكان في السينما. واخذوا يفرغون طائرة الهليكوبتر، وبكلمة اخرى كانوا يرمون منها كل ما يقع تحت ايديهم من اشياء.فقد شحنت الطائرة باكثر مما تتحمل في الواقع، وقد بدا ذلك واضحا من انحناء هيكلها . وكان الناس يتدافعون حولها . تدافعوا اول الامر صارخين ، اما الآن فقدلزموا الصمت . ووقف غسان وهو يمص مفاصل اصابع يده ، — يبدو انه اصيب بجرح . واغلب الظن ان باتريك قد غفا . وقد وجد الزمان والمكان الملائمين للنوم . . . اما كارل هوفمان ، وهو رجل دقيق في عمله (من اولئك الذين يطلق عليهم تسمية «عالم مفكر وحذر ») ، فقد اخذ في التقاط الصناديق المتطايرة من طائرة الهليكوبتر وهو يحاول تصفيفها بعناية ، وربما لتاكيد وجوده. وكان باجافا يقفز حوالي طائرة الهليكوبتر بنفاذ صبر ، وهو ينظر طيلة الوقت تارة الى «الموجة» وتارة الى برج المراقبة. وبدا جليا انه لا يريد الطيران، ويأسف لكونه الرئيس هنا . وكان مالياييف يقف جانبا و هو يتطلع الى «الموجة» ايضا ، دون ان يبعد عنها نظراته، وبحقد يشوبه البرود . . . ووقفت في الظل قرب الكوخ الذي كان يسكنه باتريك عربتان طائرتان . يا ترى من سحبها الى هناك ، ولم؟ ولم يكن يعيرها احد اي

اهتمام ، فلم يكن يحتاجها احد ، اذ بقي حوالي العشرة اشخاص لا اكثر . وكانت طائرة الهليكوبتر جيدة وقوية من طراز «جريف» ، ولكنها سوف لن تستطيع الطيران بحمولتها هذه الا بنصف سرعتها . . . وضع روبرت الصندوق على درج السلم .

وقال مالياييف : — سوف لن تستطيع اللحاق بانقاذ كل شيء . — كان في صوته كثير من الحزن والمرارة ، حتى ان ذلك اثار عجب روبرت . ولكنه كان يعرف مقدما بان الجميع سيلحقون وينجون بانفسهم . فاقترب من مالياييف ، وقال :

— توجد «هاريبدة» اخرى.اتكفيكم مدة ربع ساعة؟

نظر مالياييف اليه دون ان يفهم شيئا . وقال ببرود بعد ان ادرك فجاة ما عناه روبرت :

— لدينا «هاريبدتان» احتياطيتان .

فقال روبرت : — حسنا . لا تنسوا باتريك . انه في الجانب الآخر من طائرة الهليكوبتر .

واستدار ثم ركض . وصاح بعضهم من خلفه ، لكنه لم يلق لهم بالا . هرول بكل ما لديه من قوة ، قافزا فوق الاجهزة المبعثرة ، واحواض نباتات الزينة ، واغصان قصّت بعناية وتدلت منها ازهار بيضاء ذكية الرائحة . وركض باتجاه الغرب ، وبدا الى اليمين ، فوق

السطوح ، الجدار المخملى الاسود ، المائل باتجاه كبد السماء ، وبدت الى اليسار شمس بيضاء ساطعة . وحالما تجاوز البيت الاخير شاهد مؤخرة «هاريبدة» ضخمة. ورأى حزمة من الاعشاب الخضراء وقد انحشرت ما بين مفاصل الجنازير العملاقة، كما التصقت بها اوراق ازهار ممزقة صارخة اللون، وبدا عدد من القرود معلقة من ذيولها بجذع نخلة فتية . وصعد روبرت الى اعلى «الهاريبدة» دون ان يرفع بصره فوق سلم ضيق ، واحرقت يديه العوارض الساخنة تحت اشعة الشمس المحرقة . ثم انزلق على ظهره الى داخل الكابينة دون ان يرفع بصره ، وجلس فى مقعد القيادة اليدوية ، وحرك باب الحماية الفولاذية امام وجهه ، وتحركت يده من جديد بصورة ميكانيكية . فقامت يده اليمنى بايصال التيار ، بينما قامت يده اليسرى فى الوقت نفسه بشد ذراع نقل السرعات ، وتحول نظام القيادة الى نظام يدوى . ثم امتدت يده اليمنى الى الخلف باحثة عن زر التشغيل . وعندما بدأ كل ما حوله بالهدير والضجيج والاهتزاز ، قامت يده اليسرى دون اى وازع بتشغيل جهاز تكييف الهواء . ثم ادار ، بوعى ، ذراع ادارة ممتصات الطاقة ، باتجاهه الى اقصاه . وعند ذلك فقط قرر ان ينظر خلال فتحة باب الحماية المفتوحة على مصراعيها .

كانت «الموجة» امامه تماما . وربما لم يقترب شخص من «الموجة» الى هذا الحد بعد ليو . كانت سوداء تماما ، بدون اية عروق . وبدت من خلفها السهب واضحة حتى الافق تحت اشعة الشمس . كان يمكن رؤية كل عشبة وكل غصن . وشاهد روبرت حيوانات صغيرة تشبه الفئران ، واقفة عند مداخل جحورها وكأنها اعمدة صغيرة .

وسمع فوق رأسه عويلا جافا ذا رنين ، اخذ يزداد شدة باستمرار – كان ذلك عويل ممتصات الطاقة التى بدأت بالعمل . وكانت «الهاريبدات» تتأرجح فى حركتها الانسيابية . وظهرت فى المرآة بيوت القرية ، وهى تتراقص وسط الغبار . ولم يكن بالمستطاع مشاهدة طائرة الهليكوبتر . وينبغى السير مسافة مائة متر ، كلا ، خمسين مترا . وتطلع الى اليسار ، فتراءى له بان جدار «الموجة» قد بدأ بالانحسار قليلا . على ان اثبات ذلك كان من الامور الصعبة جدا . وفكر فجأة – «ربما سوف لا استطيع النجاة» . ولم تفارق بصره اعمدة الدخان البيضاء ، التى كانت ترتفع فيما وراء الافق . وكان الدخان يزول بسرعة حتى اصبح من المتعذر رؤيته . ترى ماذا يمكن ان يحترق فى «الهاريبدات» . . .

وجال فى ذهنه وهو يضغط على ذراع الفرملـــة ان يكفى ، والا فسوف لا يستطيع الهرب . ونظر فى المرآة من جديد . وفكر فى دخيلته بانهم امضوا وقتا طويلا جدا فى الاستعداد للهرب . وخيمت العتمة على السهب المقابل «للهاريبدة» ببطء وبشكل مثلث تكون ممتصات الطاقة زاويته الراسية . واخذت الحيوانات الشبيهة بالفئران تقفز بقلق ، وسقط احدها فجاة على بعـد عشرين خطوة على ظهره وهو يحرك ساقيـــه بصورة تشنجية .

فصرخ روبرت :— اهربى ، ايتهـا الحمقــاء ! فباستطاعتك ذلك . . .

وعندئذ شاهد «هاريبدة» ثانية . كانت واقفة على بعد نصف كيلومتر ناحية الشرق ، وقد مدت اعناق ممتصات الطاقة السوداء بشراهة . وكان العشب امامها قد تحول الى السواد ايضا ، نتيجة البرودة الشديدة .

غمر روبرت فرح لا يوصف . وفكر فى نفســه . . رائع . ياله من شاطر ! مقدام ! احقا هو مالياييف ؟ ولم لا ؟ فهو انسان ايضا ، وليس الشعور الانسانى بالامر الغريب عليه . . . ربما كان باجافا ؟ الا انه من العسير ان يتركوه يفعل ذلك . اذ سيربطونه بالحبال ويضعونه تحت احد المقاعد ، ويضغطون فوقه باقدامهم ، حتى لا يرفس . . . لا ، انه انسان رائع ، رائع ! ودفع باب

نافذة كابينة القيادة ، واخرج جسمه منه وصاح :

— هي . . . ـه ! اصمد يا صديقى ! اننا يمكننا ان نصمد سوية هنا مدة عام كامل ! . . . .

وعندما نظر الى الاجهزة نسى كل شيء فورا . كانت الكمية التى يمكن ان تستوعبها الهاريبدة من الطاقة قد بلغت اقصاها : فان المؤشر المضيء تحت الزجاج المغطى بالغبار قد توقف عن الحركة فى الدرجة النهائية . ونظر فى المرآة بسرعة ، فعـادت الطمانينة الى قلبه قليلا . كانت تخيم فوق بيوت القرية بقعة معتمة سريعة الحركة. وفكر فى نفسه — امامى عشر دقائق اخرى . وغدا واضحا الان، بان جبهة «الموجة» التى تقابل القرية قد تراجعت. وقد انحرفت «الموجة» عن منطقة تاثير «الهاريبدات» من جهتى الشرق والغرب .

جلس روبرت هنيهة صاكا اسنانه . وحاول عبثا ان يبعد عن تفكيره منظر الجثة المحروقة فى مقعد القيادة . من الخير للمرء ان يتعلم كيف يبعد عن ذهنه مثل هذه التصورات متى ما اراد ذلك . . . وعاد الى نفسه ، واخذ يفتح جميع المخارج التى يتذكرها . وهى باب ثقيل فوق رأسه ، وباب الى اليسار — قريب جدا منه ! وآخر الى اليمين وقد تم فتحه — وهو قريب منه ايضا . . . وهناك باب خلفه يؤدى الى قسم الآلات . . . كلا ، من الافضل اغلاقه — فان الانفجار يحدث كما يبدو هناك فى خزانات

الطاقة ... يجب غلقه بالمزلاج ، بالمزلاج ... وفى هذه اللحظة بالذات انفجرت «الهاريبدة» المجاورة .

سمع روبرت صوت رعد قاصف قصير يصم الاذان . واحس بدفعة هواء حار . وعندما مد راسه من النافذة ، شاهد مكان جاره سحابة صفراء هائلة من التراب ، تغطى السهب ، والسماء ، و «الموجة» ، وومض فى داخل السحابة ضوء متوهج يتارجح باستمرار ... وصفر شىء ما فى الهواء ، واصطدم بجدار الماكينة بصوت مسموع . ونظر روبرت الى الاجهزة ، وبحركة واحدة رمى بنفسه خارج الممر الايسر .

سقط على وجهه فى العشب اليابس الحار ، ونهض فورا ، وانحنى وركض نحو القرية . لم يركض فى حياته ابدا بمثل هذه السرعة . وانفجرت «هاريبدته» عندما وصل الى حديقة البيت الواقع فى الطرف الآخر . حتى انه لم يلتفت ، بل اخفى راسه ما بين كتفيه وانحنى اكثر ، وانطلق بسرعة اكبر . واكد قائلا – المجد لك ، المجد لك ... ثم ادرك انه يردد هذه الكلمات منذ اللحظة التى راى فيها مكان «الهاريبدة» المجاورة ذلك العمود الاصفر من التراب ...

كانت الساحة خالية ، وقد داست الاقدام المناطق المزروعة منها ، وتبعثرت على الارض فى كل مكان الاجهزة الثمينة الفريدة من نوعها ، والصناديق الحاوية على

مبتعدة خلفهما . – آه ، يا باتريك – ، قال روبرت ذلك لنفسه كمن لا يصدق .

واعلن باتريك قائلا : – ان ماكينتى ارعدت بقوة اكبر . ما رأيك يا روبرت ؟

فساله روبرت : – الى اين تطير ؟

قال باتريك : – الى «الجداول الباردة» ، فستكون قاعدتنا الجديدة هناك .

الفصل السابع

نظر روبرت الى الوراء . فلم ير شيئا سوى السماء الضاربة الى البياض والحقول الخضراء . لقد ابتعدت عنها اليوم مرتين ، قال ذلك لنفسه ، فلابد ان تحـــل الثالثة . وسأل باتريك قائلا :

— ماذا سيكون الآن ؟

مدّ باتريك شفتيه الغليظتين .

— سيكون الامر سيئا . فان «للموجة» احتياطى لا ينضب من القصور الذاتى .

— هل حاولت القيام بحسابات حولها ؟

— نعم .

— وماذا ؟

تنهد باتريك ولم يجب . ونظر روبرت الى الامام وقد قطب حاجبيه . ثم فتح جهاز اللاسلكى فى العربة الطائرة، واداره باتجـــاه مدينة الاطفـــال . وضغط على زر الاستدعاء عدة مرات ، لكن مدينة الاطفال لم تستجب لنداءاته . وفكر فى نفسه : — لا داعى للقلق . فالوقت

الآن هو عيد الصيف وما اليه . ياللغرابة ، انهم هناك لا يعرفون شيئا . دعهم لا يعرفون شيئا . ولاعرف ذلك انا وحدى فقط .

وسأل مرة ثانية :

— الى اين نطير ؟

— لقد اجبت على هذا السؤال .

— آه نعم ... باتريك . ايها الصديق العزيز . هل انت فى حاجة الى ذلك المكان المسمى «بالجداول» ؟

— طبعا ، والى اين تذهب اذن ؟

مال روبرت فى جلسته على المقعد . وقال :

— نعم ، كان من العبث بقاؤك هناك .

— ماذا تقصد بذلك ؟

— هل يمكنك الطيران اسرع ؟

— نعم ...

— واسرع من ذلك ؟

صمت باتريك ، وفرقع المحرك وهو ينفث الهواء . ودمدم باتريك :

— اننا فى عجلة من امرنا دائما . فهناك دائما شيء او شخص يدفعنا الى الاسراع . بسرعة ، بسرعة اكثر ... الا يمكن الاسراع اكثر ؟ فنجيب نحن : ممكن ، حاضر !... وليس هناك وقت لمراجعة الامر . ليس هناك وقتـــا للتفكير . ليس هناك وقتا للنظر فيما اذا كانت المسالة تستحق ذلك . ثم تظهر «الموجة» فنسرع من جديد .

— اعط المزيد من الوقود ، — قال روبرت ذلك بينما كان يفكر في شيء آخر تماما . — والتزم الاتجاه نحو اليمين .

صمت باتريك . واندفعت من تحتهم حقول الحنطة الناضجة الخضراء ، وبيوت متناثرة هنــا وهناك هي محطات الارصــاد الجوى . وبدا بوضوح كيف سيقت قطعان الماشية نحو الجنوب عبر حقول القمح . وبدا الرعاة الآليون من العلو الشاهق وكأنهــم نجوم صغيرة لامعة . على ان كل ذلك لم يكن ليهم احد . .

وسأل روبرت :

— ألم تسمع شيئا حول سفينة «السهم» ؟

— كلا . ان «السهم» بعيدة . وسوف لن تلحق لمد يد المساعدة . اترك التفكير فيها يا روب .

فدمدم روبرت : — وفي اى شئ يجب ان افكر اذن ؟

— فكر في لا شيء . اجلس بشكل اكثر راحة ، وتطلع الى ما حواليك . لا اعرف كيف الامر معك ، الا انني لم الاحظ كل هذا من قبل . واعتقد انني لم أر ابدا هذه «الموجة» الخضراء فوق حقول القمح والتي تسببهــا الرياح . . . «الموجة» ! يااللعنة . اتعرف متى رأيت كل هذا لاول مرة ؟ اتعرف ؟ كان ذلك عندما نظرت خلال نافذة الحماية الحديدية في «الهاريبدة» . فقد نظرت الى تلك العتمة الطاغية ، وفجاة رأيت السهب وادركت ان

كل شيء قد انتهى . وقد اسفت كل الاسف عليهــا . وكانت اشباه الفئران تنظر الى «الموجة» وهي لا تدرك من الامر شيئا . . . اتعرف ماذا اكتشفت يا روب ؟ لقد اخطأنا الحساب في كل مكان .

التزم روبرت جانب الصمت . وفكر في دخيلة نفسه «لقد ادرك ذلك متأخرا . كان يجب النظر من قبل ، حتى ولو من النافذة» .

وبدت تحتهم اسقف البنايات المستطيلة ، والساحات المبلطة بالخرسانة ، والابراج المخططة لهوائيات الطاقة — كانت هذه احدى محطــات الطاقة الكهربائية الكثيرة في المنطقة الشمالية .

وقال روبرت : — اهبط .

— الى اين ؟

— الى هذه الساحة ، اتراها ؟ — هنــاك حيث تقف المركبات المجنحة .

نظر باتريك من على متن العربة الطائرة وقال :

— حقا ، ولماذا ؟

— خذ لنفسك مركبة مجنحــة ، واترك العربــة الطائرة لى .

فسأل باتريك : — ماذا تود ان تفعل ؟

— ستواصل الطيران لوحدك . وليس لى ما اعمله في «الجداول» . . اهبط .

واتجه باتريك مطيعا الى مدرج الهبوط . وكان يقود العربة الطائرة مع ذلك بصورة رديئة جدا . وتطلع روبرت الى الساحة متفحصا .

وتمتم ساخرا : ـ ياله من تنظيم رائع . فنحن فى ضيق ، ونترك كل شىء ، بينما تخصص هنا ثلاث مركبات مجنحة لاستعمال رجلين فقط من رجال المناوبة .

وهبطت العربة الطائرة بطريقة فجّة بين المركبات المجنحة . وعضّ روبرت طرف لسانه . وقال :

ـ اوه ، هيا اخرج ، اخرج .

فترك باتريك المقعد ببطء وبدون رغبة . وقال بلهجة غير واثقة :

ـ روبرت ، ربما كانت المسالة لا تخصنى ، ولكن مع ذلك قل لى ماذا تريد ان تفعل ؟

انتقل روبرت بسرعة الى مقعده . وقال :

ـ لا تقلق ، فليس هناك ما يخيف . هل تستطيع قيادة المركبة المجنحة ؟

وقف باتريك وقد دلى ذراعيه ، وبدا على وجهه تعبير بائس وقال :

يوجد فوق «الموجة» حاجز من البلازما ارتفاعه مائة كيلومتر . ومن المستحيل عليك اجتيازه .

فنظر روبرت اليه بدهشة . وقال باتريك :

ـ لقد مات منذ فترة طويلة . ربما اخطات فى المرة الاولى ، ولكن «الموجة» اجتازت المنطقة الآن .

وساله روبرت : ـ عم تتحدث ؟ اننى غير عازم على اجتياز «الموجة» ، عليها اللعنة . لدى مسالة اكثر اهمية . وداعا ، ابلغ مالبايف باننى لن أعود . وداعا يا باتريك .

وقال باتريك : ـ وداعا .

ـ ولكنك لم تقل هل تستطيع قيادة المركبة المجنحة ام لا ؟

فقال باتريك بحزن : ـ استطيع قيادتها . اننى اعرف المركبات المجنحة جيدا . آه ، يا روبرت ...

جذب روبرت المقود نحوه بشدة ، وعندما حدق الى الاسفل بعد خمس دقائق ، كانت المحطة قد اختفت وراء الافق . كان التحليق الى مدينة الاطفال يستغرق ساعتين او ثلاث . وفحص روبرت الوقود ، وانصت الى المحرك ، ثم ضبطه باكثر انظمة الحركة اقتصادا ، وشغّل جهاز الطيران الآلى . وحاول الاتصال بمدينة الاطفال مرة اخرى . ولكن مدينة الاطفال كانت صامتة . واراد روبرت ان يغلق جهاز اللاسلكى ، ولكنه عدل عن ذلك وفتح جهاز الاستقبال الذاتى .

ـ ... وجد اسمودى بارو طالب الصف التاسع اثناء التجول احياء متحجرة ، تشبه قنافذ البحر ، ويبعد المكان الذى وجدها فيه كثيرا عن ساحل البحر ...

— .... اجتماع لدى المدير . وتدور هنا اشاعات غريبة ، تقول بان «الموجة» قد وصلت الى جرينفيلد . هل اعود الى القاعدة ؟ الوقت الآن برايى هو ليس وقت الاولموترونات . «كلا ، فاصبر ايها الصديق الى النهاية. فعلى كل حال ، لقد ضاع النهار» .

— ... لن نتمكن من اخراج المسرحية اعتمادا على انفسنا . فليس لدينا من يقوم بدور عطيل . وبصراحة فان فكرة اخراج شكسبير تبدو لى غير معقولة . لا ادرى ان كنا قادرين على تقديم تفسير جديد له . ولننتظر الى ان ...

— ... فيكتور ، كيف تسمعنى ؟ فيكتور ، هناك نبا سار ! لقد فك بوليت رموز هذا «الجين» . خذ ورقة واكتب . ستة .. احد عشر .. اقول احد عشر ...

— انتباه ، «قوس قزح» ! الى رؤساء جميع فرق البحث . ابدأوا عملية الاجلاء . يرجى الانتباه بشكل خاص الى ضرورة جلب جميع وسائل النقل الجوى من طراز ارقى من «ميدوزا» الى «العاصمة» .

— ... كوخ صغير ازرق اللون على ساحل البحر . الهواء هنا نقى ، والشمس بديعة . اننى لم احب «العاصمة» ابدا ، ولم افهم ابدا لم شيدوها فى المنطقة الاستوائية . ماذا ؟ طبعا ، الجو شديد الحر ...

— صوير ! صوير ! انا كانيكو . غيّر الاتجاه فورا . لقد عثرنا على الرسامين . اذهب الى الجنوب . ابحث عن طائرة الهليكوبتر الثالثة . ان طائرة الهليكوبتر الثالثة لم تصل ...

— انتباه ، الى رجال التجارب ! سيتم اليوم فى الساعة الرابعة عشرة اطلاق مطلق غير اعتيادى لارسال انسان الى الارض . يرجى الحضور الى المعهد قبل الساعة الثالثة عشرة ...

— ... انا لا افهم شيئا . اننى لا استطيع الاتصال بالمدير . فجميع القنوات مشغولة . الا تعرف ماذا يجرى هناك ؟

— ادولف ! ادولف ! اتوسل اليك ان تجيبنى ! اتوسل اليك ان تعود حالا ! فلا تزال هناك فرصة لركوب سفينة النجوم ... (واخذ الصوت بالتشوش، ولكن روبرت بقى ممسكا بمفتاح الضبط) .

— انها لنكبة فظيعة ! ولسبب ما لم يعلنوا شيئا عن ذلك ، ولكن قيل لى ، بان كوكب «قوس قزح» يؤول الى الدمار ! ارجع حالا ! اريد ان اكون معك الآن ...

اقفل روبرت مفتاح الجهاز .

— ...كما هى الحال دوما . عند فيسيلوفسكى . لا ، ان سينيتسا يقرأ قصائد جديدة . وهى برأيى ممتعة . واعتقد بانها يجب ان تحوز على اعجابك . كلا ، انها طبعا ليست من الروائع الادبية ، على انها ...

— ولكن احكم بنفسك فان «تاريبل – الثانى» – هى سفينة انزال نجمية . . . هل حاولت ان تتصور عدد الافراد الذين يمكنها ان تحملهم ؟ كلا ، خير لى ان ابقى هنا . ان فيرا قررت البقاء ايضا . اليس الأمر سواء اين سنكون . . .

— يا قصاصى الاثر ! ياقصاصى الاثر ! ان مكان التجمع هو «العاصمة» . على الجميع ان يتوجهوا الى «العاصمة» . خذوا معكم عربات «كروت» اذ سنقوم بحفر المخابىء . ربما ستتسنى لنا النجاة .

— ... ماذا تقول ، «تاريبل» ؟ اعرفه طبعا – جوربوفسكى . نعم ، ان حمولته للأسف غير كبيرة . ولكن ما العمل .. اننى اقترح القائمة التالية بصورة تقريبية : باجافا – من جماعة ابحاث المطلق ، ارسطوطاليس من جماعة دارسى «الموجة» ، وربما مالييف ، اما من جماعة دارسى الحاجز فاوصى باخذ فورستر ... وماذا يهم ان يكون عجوزا ؟ انه رجل عظيم ! فانت يا ايها العزيز تبلغ الاربعين من العمر ، وانت كما ارى لا تتصور جيدا سيكولوجية الشيخ ... فكل ما تبقى له من الحياة خمس او عشر سنوات ، وتريدون حرمانه منها ...

— جابا ! جابا ! هل سمعت عن الاطلاق المطلق ؟ ماذا ؟ مشغول ؟ يالك من رجل غريب ... اننى اطير

الى المعهد . لماذا انا مجنون ؟ نعم اننى اعرف ذلك ، اعرفه ... الآن بالذات ! واذا ما نجحنا ؟ حسنا ، وداعا ابحث عن بقايا جسدى ، فى مكان ما قرب بروتسيون ...

— لقد فجّر الفيزيائيون شيئا ما فى القطب الشمالى مرة اخرى . كان من الواجب الطيران الى هناك للاطلاع ، ولكن جاءت طائرة هليوكوبتر ، ويدعوننا جميعا للطيران الى العاصمة ... آه ، وانتم ايضا ؟ غريب ... سنلتقى هناك اذن .

اغلق روبرت جهاز اللاسلكى . «تاريبل الثانى» سفينة انزال ...

واستلم القيادة من جهاز القيادة الآلى ، وادار المحرك باقصى سرعته . انتهت حقول القمح فى الاسفل ، وبدأت مناطق الغابات الاستوائية . ولم يكن بالمستطاع رؤية شىء فى تلك المنطقة المشوشة المؤلفة من الخطوط الخضراء والصفراء ، ولكن روبرت كان يعرف بانه تمر تحت ظلال الاشجار الضخمة طريق مستقيمة ، وانه تسير على هذه الطريق الآن على اغلب الظن السيارات التى تحمل الهاربين مندفعة باقصى سرعتها . ومرت باتجاه الجنوب الغربى عدة طائرات هليكوبتر ضخمة وهى تحلق بمحاذاة الافق . ثم توارت عن الانظار . وبقى روبرت وحيدا من جديد . فاخرج التليفون

اللاسلكي وادار رقـم باتريك . ولم يجب باتريك على النداء فترة طويلة . ثم سمع صوته اخيرا :

— هالو ؟

— باتريك ، هذا انا ، سكلياروف . باتريك ما هي اخبارك عن «الموجة» ؟

— كل شيء على حاله ، يا روبرت . لقد غرق ساحل بوشكين واحترقت منطقـة اودزورا . وتحترق الآن مدينة الصيد . وقد سلمت من الدمـار بضـع «هاريبدات» . ويجرى الآن نقلها الى «العاصمة» على متن قاطرة . . . اين انت ؟

فقال روبرت : — هذا لا يهم . كم تبعد «الموجة» عن مدينة الاطفال ؟

— عن مدينة الاطفال ؟ وماذا تريد من مدينة الاطفال ؟ انها بعيدة عنها . اسمع يا روبرت ، اذا لم يحدث لك شيء فاذهب الى «العصمة» فورا . سنكون هناك جميعا بعد نصف ساعة . — وقهقه فجأة ، ثم صمت — . لقد حاولوا ادخـال مالياپف الى سفينة النجوم . مع الاسف انك لم تكن هنـاك . لقد هشم انف غسان . اما باجافا فقد اختفى .

— الم يحاولوا ادخالك ، الى السفينة ؟

— لم تقول ذلك يا روب . . .

— حسنا ، ارجو المعذرة . اذن ، «فالموجة» لا زالت بعيدة عن مدينة الاطفال ؟

— ليست بعيدة جدا . . . فهي تبعد عنها حوالى الساعة والنصف . . .

— شكرا يا باتريك ، الى اللقاء .

حاول روبرت الاتصال بتانيا مرة اخرى ، ولكن بواسطة التليفون اللاسلكى هذه المرة . وانتظر خمس دقائق . ولكن تانيا لم تجب على النداء .

* * *

كانت مدينة الاطفال خالية . وخيم الصمت على غرف النوم الزجاجية والحدائق والاكواخ الصغيرة الملونة . . . ولم تلاحظ هنا تلك الفوضى التى اثارها الرعب ، والتى خلفها الفيزيائيون وراءهم فى جرينفيلد . فكانت الدروب الرملية قد كنست بعناية ، وانتصبت المقاعد الدراسية فى الحدائق فى صفوف منتظمة ، كما هى الحال دائما ، وكانت الاسرة قد رتبت بعناية . لكن كانت هناك عروسة منسية ملقاة على الرمل فى الطريق المؤدية الى كوخ تانيا . وقبع الى جانب العروس «قيلام» وهو حيوان كثيف الشعر ذو عينين كبيرتين ، واخذ يتشمم العروسة ، ثم نظر الى روبرت بفضول . . .

دخل روبرت الى غرفة تانيا . كانت ، كشأنها دوما، نظيفة يغمرها النور وتفوح منها رائحة طيبة . وشاهد على المنضدة دفترا مفتوحا . وعلقت على ظهر الكرسى منشفة كبيرة . وتلمسها روبرت فوجدها لا زالت رطبة.

وقف روبرت عند المدخل،ثم مرّ بنظره على صفحات الدفتر . فقرأ اسمه فيه مرتين ، قبل ان يدرك فحوى الامر. وكان اسمه مكتوبا بحروف كبيرة شبيهة بحروف الطباعة .

« عزيزى روبرت ! لقد تم اجلاؤنا بسرعة الى « العاصمة » . ابحث عنى فى « العاصمة » . ويجب ان تجدنى. لم يقولوا لنا شيئا، ولكننى اظن بانه من المرتقب حدوث شئ رهيب.اننى فى امس الحاجة اليك يا روبرت. يجب ان تجدنى . المخلصة لك . . . ت » .

انتزع روبرت الورقة من الدفتر، وطواها اربع مرات ووضعها فى جيبه.ومر ببصره فى ارجاء غرفة تانيا للمرة الاخيرة . وفتح دولاب الحائط ، وتلمس فساتينها، ثم اغلق الدولاب ، وخرج من الكوخ .

كان الكوخ يطل على البحر الهادئ الذى يشبه الزيت البارد الاخضر . كانت هناك عشرات الدروب التى تؤدى الى البلاج الاصفر وعبر الحشائش . والقيت على البلاج بصورة مبعثرة المقاعد والاسرة الخشبية . وانكفأت بضعة زوارق بمحاذاة المياه. وكان الافق الشمالى مضاء

باشعة الشمس المحرقة . واسرع روبرت الى العربة الطائرة . وخطا الى داخلها ثم خرج من الجانب الاخر ، واخذ يتطلع الى البحر من جديد . وادرك فجأة بان هذه لم تكن الشمس بل هالة الضوء المنبعثة من « الموجة » .

فارتمى متعبا فى مقعد القيادة وانطلق بالعربة الطائرة . وفكر فى دخيلته « بان الحالة هى نفسها فى الجنوب. انها تضيق علينا الخناق من الشمال والجنوب. مصيدة فئران . درب يحف به الموت من الجانبين » .

وحلقت العربة الطائرة مرة اخرى فوق الغابات الاستوائية . وفكر فى نفسه : « كم بقى لنا . ساعتان ام ثلاثة ؟ مكانان فى سفينة النجوم ، ام عشرة ؟ » .

انتهت على حين غرة منطقة الغابات تحت العربة الطائرة ، ورأى روبرت وسط روضة واسعة اتوبيسا طائرا لنقل الركاب تحيط به ثلة من الناس . ابطأ طيران العربة بصورة ميكانيكية ، وبدأ بالهبوط . ويبدو ان الاتوبيس الطائر قد اصيب بعطب ، ووقف كل هؤلاء الناس الى جانبه - ياللغرابة .. انهم صغار الاجسام - وهم بانتظار ان يقوم الطيار باصلاح العطب . ورأى الطيار ، وهو زنجى ضخم الجثة ، وقد انشغل فى اصلاح المحرك . ثم فهم بعد ذلك ، بان هؤلاء اطفال ، وعندئذ رأى تانيا . كانت واقفة الى جانب الطيار وهى تتناول منه بعض الادوات .

هبطت العربة الطائرة على مسافة عشر خطوات من الاتوبيس الطائر . وتحول الجميع ناظرين اليه . ولكن روبرت لم يكن ينظر سوى الى تانيا ، الى وجهها المتعب، ويديها الدقيقتين اللتين تحتضنان الى صدرها قطع الحديد الملوثة بالزيت ، وعينيها الواسعتين اللتين تعبران عن الدهشة .

وقال روبرت : — هذا انا . ماذا حدث يا تانيا ؟

نظرت تانيا اليه صامتة ، وعندها التفت الى الطيار الزنجي فعرف فيه جابا . واتسمت ابتسامة عريضة على وجه جابا ، وصاح :

— ها ، روبرت ! تعال الى هنا لمساعدتنا ! ان تانيا فتاة مدهشة ، لكن ليس لديها معرفة بالاتوبيسات الطائرة ! وكذلك انا ! ومحركه يتوقف باستمرار !

وكان الاطفال — وهم اولاد وبنات في سن السابعة — ينظرون الى روبرت بفضول . واقترب روبرت من الاتوبيس الطائر ، وعند مروره بتانيا مس خصلات شعرها بخده ملاطفا ، ثم القى نظرة على المحرك . وطبطب جابا على ظهره . كانا يعرفان بعضهما البعض جيدا . وكان هناك انسجام تام بين روبرت ورجال تجارب المطلق الضجرين الى حد اليأس ، والذين جلسوا هناك سنتين دون اى عمل بعد التجربة الفاشلة التى اجريت على الكلبة «فيمكا» .

كان ما رآه روبرت فى المحرك جعله يتوقف عن التنفس للحظة من الزمن . فقد كان جابا كما يبدو فعلا لا يفقه شيئا من امور الاتوبيسات الطائرة . ولم يكن هناك ما يستطاع عمله ، فقد نفذ الوقود . وفك جابا اجزاء المحرك جميعا تقريبا دون جدوى . ان مثل هذا الامر ممكن الحدوث . فهو يحدث حتى مع اكثر الطيارين خبرة .. فان الوقود لا ينفذ من الاتوبيسات الطائرة فى احوال كثيرة . واسترق روبرت نظرة الى تانيا . كانت تحتضن الى صدرها اسطوانات التفجير الملوثة بالزيت ، وهى تنتظر .

وسأل جابا بلهجة مرحة : — وماذا ؟ هل صحيح ما فعلناه بهذا الذراع ، لا اعرف ماذا يسمونه ؟

فقال روبرت : — ماذا استطيع القول . ان هذا امر محتمل جدا . — وقبض على الذراع ، وحركه من مكانه . — ايعرف احد انكم هبطتم هنا ؟

فاجاب جابا : — لقد اخبرتهم بذلك . ولكن ليس لديهم العدد الكافى من وسائل النقل . تعرف قصة الاجنة الآلية ؟

— ما هى ؟ — قال روبرت ذلك على غير هدى ؛ وهو منهمك بتنظيف شقب ذراع التغذية فى المحرك بعناية . وانحنى بشكل يجعل وجهه غير مرئى .

— كانت هناك حاجة ماسة لوسائل النقل . فاخذ كانيكو يستنبت «ميدوزات» ، ثم تبين بعد ذلك انه

حصل لا على «ميدوزات» بل على مطابخ سيبرنيتيكية . كان هناك خطأ من جانب قسم التموين ، ها ؟ — وقهقه جابا — . ما رأيك بذلك ؟

— هزل متواصل — ،قال روبرت ذلك من بين اسنانه . ورفع رأسه وتطلع الى السماء . فرأى الزرقة التي يشوبها البياض في الناحية الشمالية ايضا ، وشاهد فوق قمم الاشجار البعيدة هالة «الموجة» الساطعة التي تعمى الابصار . وانزل الغطاء المفتوح بخفة ، ودمدم : «هكذا اذن ، لنرى !» . وسار حول الاتوبيس من الجانب الاخر ، والذي لم يكن فيه احد . وجلس القرفصاء ضاغطا جبهته الى الواح هيكل الاتوبيس الصقيلة اللماعة . بينما اخذ جابا في الجانب الاخر من الاتوبيس ينشد اغنية اطفال مرحة بصوت جهوري حنون .

فتح روبرت عينيه فرأى ظل جابا المتراقص على العشب . وظل يديه المرفوعتين الى اعلى ، وقد نشرت اصابعهما . وكان جابا يقوم بتسلية الاطفال . نهض روبرت ، وفتح باب الاتوبيس الطائر ، ثم ولج الى داخله . وكان يجلس في مقعد القيادة صبي ماسكا بمقبض القيادة بقوة . ورتّب المقابض في اشكال عجيبة ، وهو يصفر ويزمر .

فقال روبرت : — احذر الاتقتلع شيئا . ولم يعره الصبي اى اهتمام. اراد روبرت ان يشعل اشارة النجدة،

فوجد انها قد انيرت . وعندئذ تطلع الى السماء من جديد . وبدت السماء زرقاء في ضوء مصباح الاتوبيس الملون ، وكانت صافية تماما . ودار في خلده : «لا بد من اتخاذ قرار ما» . ورمق الصبي بنظرة . كان الصبي يقلد بحماس صوت عويل الريح .

— تعال الى هنا يا روبرت ، — قال جابا ذلك ، وهو يقف عند الباب . فخرج روبرت اليه .

قال جابا : — اغلق الباب . — كان صوت ثانيا مسموعا وهى تحدث الاطفال في الجانب الاخر من الاتوبيس الطائر ، وكذلك صوت الصبي وهو يصفر ويزمر من مقعد القيادة .

فسأل جابا روبرت قائلا : — متى ستصل «الموجة» الى هنا ؟

— بعد نصف ساعة .

— ماذا جرى للمحرك ؟

— لقد نفذ الوقود .

فشحب وجه جابا . وسأله شارد الذهن :

— لماذا ؟ — التزم روبرت الصمت — ، وفى عربتك الطائرة ؟

— ان ما فيها لا يكفى مثل هذا «الصندوق» لمدة خمس دقائق .

لطم جابا جبهته بقبضة يده ، وجلس على العشب .

وقال بصوت متحشرج :ـ انت ميكانيكى . فكر فى حل للمشكلة .

فاتكا روبرت على الاتوبيس الطائر .

ـ اتتذكر حكاية الذئب والعنزة والكرنبة ؟ ... فهنا دستة اطفال وامرأة هى الشخص الذى احبه اكثر من كل الناس فى العالم . وسانقذ المرأة مهما كان الثمن . وهاك قرارى . ان عربتى الطائرة تتسع لشخصين ...

هزّ جابا رأسه ...

ـ انا افهم . وليس هناك مجال للحديث عن ذلك ، طبعا . فلتجلس تانيا فى العربة الطائرة وتأخذ معها ما يمكن ان تتسع لهم العربة من الاطفال ...

قال روبرت :ـ كلا ...

ـ ولم لا ؟ فبعد ساعتين سيكونون فى «العاصمة» .

وكرر روبرت قـائلا :ـ كلا . ان هذا لا ينقذها . فستكون «الموجة» فى «العاصمة» بعد ثلاث ساعات . وتقف هناك فى الانتظار سفينة نجوم . ويجب ان تحلق تانيا على متن هذه السفينة . لا تجـادلنى ! ـ وهمس، بلهجة حادة :ـ هناك حلاّن للمسألة ـ وهما اما ان اطير انا مع تانيا ، واما ان تطير انت معها ، على ان تقسم لى بكل المقدسات بان تانيا ستحلق على ظهر سفينة النجوم هذه ! ولك الاختيار .

فقال جابا :ـ هل فقدت عقلك ، ـ ثم نهض واقفـا من على العشب ، ـ ان هؤلاء اطفال ! عد الى رشدك !

ـ واولئك الذين سيبقون هنا ـ ، اليسوا اطفالا ؟ ومن سيختار الثلاثة الذين سيطيرون الى «العاصمـة» ومنها الى «الارض» ؟ انت ؟ اذهب واختر !

اخذ جابا يفتح فمه ويغلقه دون ان يخرج منه صوتا ما . ونظر روبرت الى جهة الشمال . كانت «الموجة» قد ظهرت بشكل واضح كل الوضوح . وارتفع الجزء المتالق منها اعلى فاعلى ، متبوعة بستار اسود قاتم .

وقال روبرت :ـ ها ، اتقسم ؟

وهز جابا رأسه ببطء علامة النفى .

وقال روبرت :ـ اذن ، وداعا .

وخطا الى الامام خطوة واحدة ، الا ان جابا سدّ عليه الطريق . وقال بصوت غير مسموع تقريبا :ـ الاطفال !

وقبض روبرت على طرفى سترته بيديه وقرّب وجهه الى وجهه ، وقال :

ـ تانيا !

مضت عدة دقائق وهما ينظران بعضهما الى بعض بصمت .

وقال جابا بصوت خفيض :ـ انها ستكرهك .

فتركه روبرت وشانه وضحك . ثم قال :

ـ ساموت انا ايضا بعد ثلاث ساعات . وعندها لا يهمنى الامر البتة . وداعا يا جابا ـ وافترقا .

قال جابا فى اعقابه :ـ انهـا سوف لا تطير معك .

لم يجبه روبرت.وفكر في نفسه قائلا : انا نفسي اعرف ذلك.ودار حول الاتوبيس ثم هرول نحو العربة الطائرة بقفزات كبيرة . ورأى وجه تانيا متوجها نحوه، وكذلك وجوه الاطفال الضاحكة ، الذين كانوا يحيطون بتانيا ، فلوح لهم بيده بمرح ، وشعر بالم شديد في عضلات وجهه ، وتحول الى ابتسامة بصورة تشنجية . . . ابتسامة لا معنى لها وركض الى العربة الطائرة ، ونظر الى داخلها ، ثم اعتدل في وقفته وصاح :

— تانيا ، تعالي لمساعدتي !

وفي نفس اللحظة ظهر جابا من الجانب الآخر للاتوبيس . ثم اخذ بالقفز على اربع . وصرخ قائلا : — هيا ، لم انتم ضجرين هكذا ! من سيصيد شيرخان — نمر الادغال العظيم ؟ !

ثم اطلق زئيرا متواصلا ، ورفس قدميه في الهواء ، ثم اندفع راكضا على اربع الى داخل الغابة . ونظر الاطفال اليه لعدة لحظات فاتحين افواههم من الدهشة ، ثم زعق احدهم مسرورا ، بينما اطلق آخر صرخة حرب، وركضا سوية في جمع محتشد وراء جابا . وكان جابا يبدو بين فينة واخرى من بين الاشجار مطلقا زئيره .

نظرت تانيا اليهم وابتسمت بدهشة ،ثم توجهت نحو روبرت . وقالت :

— يالغرابة . كما لو انه ليست هناك اية كارثة .

تابع روبرت جابا بنظراته . ولم يكن بالمستطاع رؤية احد ، غير انه سمع بوضوح الضحك والصراخ ، وخشخشة الاغصان وزئير شيرخان الرهيب .

وقالت تانيا : — انك تبتسم بشكل غريب يا روبرت.

فقال روبرت : — ان جابا هذا غريب الاطوار .

وقد ندم فورا على ما قال . كان ينبغي عليه ان يلتزم الصمت . فلم يطاوعه لسانه .

فسألته تانيا : — ماذا حدث يا روبرت ؟

نظر بحركة غير ارادية الى ما فوق رأسها . والتفتت بدورها واخذت تنظر في نفس الاتجاه ، وتمسكت به خائفة وسألته قائلة :

— ما هذا ؟

كانت «الموجة» قد بلغت الشمس . وقال روبرت :

— يجب الاسراع.اصعدي الى الكابينة وارفعي المقعد.

فقفزت الى كابينة العربة بخفة ،وتبعها بقفزة كبيرة ، وقبض على كتفها بيده اليمنى بقوة بحيث لم تستطع الحركة ، وارتفع بالعربة الطائرة الى عنان السماء .

وهمست تانيا قائلة : — روبرت ! ماذا تفعل ؟

لم يكن ينظر اليها . وانطلق بالعربة الطائرة باقصى سرعتها . ورأى بطرف عينيه الارض تحته وكذلك الاوتوبيس واقفا بمفرده ووجها صغيرا كان يتطلع بفضول من داخل كابينة السائق .

الفصل الثامن

كان قيظ النهار قد بدأ ينحسر ، عندما اخذت آخر المركبات المجنحة ، المملوءة بما فوق طاقتها من الركاب والاحمال ، تهبط في الشوارع المؤدية الى الساحة المقابلة «للمجلس» وهي تنوء بحملها الثقيل . واحتشد في هذه الساحة الواسعة الآن جميع سكان الكوكب تقريبا .

وتتابعت ، متوجهة ببطء الى المدينة ، قوافل هادرة من حفارات «كروت» القبيحة الشكل ، وعليها العلامات المميزة لقصاصي الاثر وعلامة البرق الصفراء اللون لبناة المحطات الكهربائية . . من الشمال والجنوب . وتمركزت في وسط الساحة ، وبعد الاجتماع الخاطف الذي تحدث فيه شخصان فقط ــ تحدث كل منهم لمدة ثلاث دقائق فقط ، بصوت خافت ــ ، اخذت الحفارات في حفر مخبأ عميق تحت الارض . وكان هدير حفارات «كروت» يصم الآذان ، وهي تكسر الخرسانة التي تغطي ارض الساحة ، ثم اخذت تنطوي بشكل عجيب ، وتدخل باطن الارض . وتراكم حول الحفرة بسرعة تل حلقي

الشكل من التربة المطحونة . خيمت على الساحة ، وبقيت عالقة في الجو ، رائحة البازلت المتفكك الحامضية الثقيلة .

شغل فيزيائيو المطلق الطوابق الخالية من المسرح المقابل لبناية «المجلس» . وكانوا قد تقهقروا طيلة النهار ، وتمسكوا بكل مركز للمراقبة ، وبكل محطة للسيطرة لمسافات بعيدة ، مستخدمين فصائل الطوارئ من «الهاربيدات» . وحاولوا انقاذ كل ما يمكن انقاذه من الاجهزة والوثائق العلمية ، وخاطروا بحياتهم في كل ثانية ، الى ان وصلهم أمر لاموندوا والمدير القاطع الذي يدعوهم فيه الى المجئ «للعاصمة» . وكان من الممكن التعرف عليهم بمظهر التأثر والشعور بالذنب البادي عليهم ، وباصواتهم الحيوية بشكل غير طبيعي ، وبنكاتهم التي لا تضحك احدا ، والتي يلمحون فيها الى الظروف الراهنة ، وبضحكاتهم الصاخبة التي تكشف حالتهم العصبية . وهم يقومون الآن ، بقيادة ارسطوطـاليس وباجافا ، بفرز اثمن المواد وتصويرها على الميكروفيلم ، من اجل اجلائها عن الكوكب .

وخرجت جماعة كبيرة من الميكانيكيين والاختصاصيين في الارصاد الى اطراف المدينة ، واخذت تبني ورشات اتوماتيكية لانتاج الصواريخ الصغيرة . والفرض منها هو تحميلها باهم الوثائق وارسالها الى خارج المجال الجوي لكوكب «قوس قزح» كاقمار اصطناعية يمكن

التقاطها فيما بعد وارسالها الى «الارض» . وقد انضم الى رجال الصواريخ قسم من الغرباء ، منهم اولئك الذين شعروا بصورة غريزيـــة بانهم لا يستطيعون الانتظار مكتوفى الايدى ، ومنهم اولئك الذين كانوا يرغبون فعلا فى مدّ يد العون ، ومنهم اولئك الذين آمنوا حقا بضرورة انقاذ الوثائق الهامة للغاية .

الا انه بقى عدد كبير من الناس فى الساحة الغاصة بعربات «هيبارد» ، «ميدوزا» و«بندوج» و«ديليجانس» و «كروت» و «جريف» . فقد كان هناك البيولوجيون والاختصاصيون فى ابحاث الكواكب ، الذين فقدوا معنى الحياة لما بقى من ساعات ؛ والغربــاء ــ الرســامون والفنانون ــ ، الذين كانوا مبهورين من هول المفاجأة ، وقد امتلأوا غيظا ، و الضائعين الذين لا يعلمون ما يجب عمله ، والى اين يتوجهوا ، والى من يقدمون شكواهم . وكان هناك بعض الافراد الهادئين الرابطى الجاش الى حد كبير ، يتحدثون حول مختلف الموضوعــات ، وقــد تجمهروا فى مجموعات وسط السيارات والماكينات . وكان هناك ايضا بعض الافراد الذين التزموا الصمت والهدؤ وقد نكسوا رؤوسهم ، وهم جالسون فى كابينات السيارات او يتكئون على الجدران .

خلا الكوكب من ساكنيه.وتم استدعاء جميع السكان، فردا فردا ، او نقلوا او عثر عليهم ؛ من اقاصى واعماق

الكوكب الى «العاصمة» ، الواقعة فى المنطقة الاستوائية . واصبحت جميع اجزاء الكوكب شمالها وجنوبها خالية من الناس . ولم يبق هناك الا بضعة افراد اعلنوا بان الامر لديهم سيان ، كما فقد اتوبيس طائر يحمل اطفالا ومربيهم فى الغابات الاستوائية ، وفقدت ايضا عربة «جريف» ضخمة كانت قد ارسلت للبحث عنهم.

وكان «المجلس» يواصل اجتماعاتــه تحت القبــة الفضية بلا انقطاع . وكان يسمع ، من وقت لآخر ، صوت المدير او كانيكو فى ميكروفون الارســال العمومــى ، داعيا شتى الافراد باسمائهم . وكان هؤلاء يهرولون الى بناية «المجلس ويختفون وراء بابه ، ثم يخرجون منه راكضين ليجلسوا فى العربات الطائرة او المركبات المجنحة ، ويقلعوا بها محلقين الى خارج المدينة . وكان الكثيرون من الجالسين بدون عمل يودعونهم بنظرات تفيض حسدا . ولم تعرف القضايا التى يبحثها «المجلس» ، ولكن عرفت اهم الاشياء من محطة الارسال العمومية : وهو ان خطر الكارثــة ماثل فعلا ؛ وانه لا توجد تحت تصرف «المجلس» سوى سفينة انزال نجمية واحدة ذات حمولة صغيرة . وقد اخليت مدينة الاطفال ، ووضع الاطفال فى منتزه المدينة تحت اشراف الاطباء والمربين، وان السفينة النجمية للركاب «السهم» على اتصال دائم بالكوكب، وهى فى طريقها اليه . . ولكنها سوف لا تصل

الا بعد عشر ساعات . وقد كان الشخص المناوب في «المجلس» يذيع ثلاث مرات في الساعة، على المتجمهرين في الساحة انباء حالة جبهات «الموجة» . وكان الميكروفون يهدر : «انتباه ، «قوس قزح» ! نذيع عليكم آخر الانباء . .» وعندها كان الصمت يخيم على الساحة ، ويصغي الكل باهتمام شديد ، وهم يتطلعون باسى الى النفق الجاري حفره . والذى ينبعث منه هدير حفارات «كروت» المدوى . كانت «الموجة» تتحرك بشكل غريب . اذ ان سرعتها كانت تتضاعف تارة – وعندها كان الناس يعبسون ويطرقون برؤوسهم، و تارة تقل – وعندها تضئ امارات الامل فى الوجوه ، وتظهر عليها ابتسامات غير واثقة . ولكن مع كل هذا كانت «الموجة» تتقدم ، فتحترق المزروعات ، وتلتهب الغابات ، وتضطرم النيران فى القرى المهجورة .

كانت البيانات الرسمية قليلة جدا ، ربما لانه لم يكن هناك من يقوم باذاعتها او ليس لديه الوقت لذلك ، واصبحت الاشاعات هى الشكل الرئيسى للاعلام ، كما هى الحال دوما فى مثل هذه الحالات .

وكان قفاة الاثر والبناؤون يتعمقون اكثر فاكثر فى حفر الارض ، ويخرج من الحفرة بعدها اناس ملوثون بالتراب ومتعبون وهم يهتفون مكشرين عن اسنانهم بسرور ، بانه تكفيهم ساعتين او ثلاث من اجل انهاء حفر مخبأ

عميق وواسع الى درجة كافية بحيث يتسع للجميع .
وكان الناس ينظرون اليهم ببعض الامل ، وقد زاد هذا الامل قوة بظهور اشاعات متواصلة عن الحساب الذى اجراه ايتيين لاموندوا وباجافا وشخص اسمه باتريك. وبموجب هذا الحساب فان «الموجتين» القادمتين من الشمال والجنوب ستصطدمان حتما فى خط الاستواء ويجب عندئذ ان «تختزل فيهما كمية الطاقة بصورة متبادلة ، ثم تتراجعان» بعد ان تمتص منهما كمية كبيرة من الطاقة . وقيل انه سيتساقط بعد ذلك الجليد على الكوكب مكونا طبقة سمكها متر ونصف .

وقيل كذلك بانه تم بنجاح آخر الامر ، و قبل نصف ساعة ، فى معهد ابحاث الفضاء المطلق الذى يمكن مشاهدة جدرانه البيضاء الصماء من الساحة ، لمن يريد ذلك ، تحقيق الطيران المطلق لانسان الى المجموعة الشمسية. كما ذكر حتى اسم الطيار ، وهو اول طيار مطلق فى العالم، والذى يقدر ان يصل فى اللحظة الراهنة وبنجاح الى كوكب بلوتون .

كما جرت الاحاديث عن الاشارات التى التقطت من مناطق واقعة خلف «الموجة» الجنوبية . وكانت الاشارات مشوشة جدا ، الا انه امكن فكّ رموزها ، وعلم منها بان هناك بعض الاشخاص ظلوا برغبتهم فى احدى محطات الطاقة الكهربائية فى طريق «الموجة» ،

قد بقوا على قيد الحياة ، وحالتهم مرضية ، مما يشهد على ان «موجة ـ ب» تختلف عن انواع «الموجات» المعروفة سابقا في انها لا تمثل خطرا حقيقيا على الحياة. وحتى ذكرت اسماء اولئك السعداء ، ووجد اناس يعرفونهم شخصيا . وتأكيدا لذلك رويت قصة شاهد عيان ذكر فيها كيف تخلص كاميل من «الموجة» طائرا على متن مركبة مجنحة ملتهبة بسرعة خاطفة كانه مذنب هائل رهيب ، وصرخ قائلا شيئا ما ، وهو يلوح بيده .

وقد لقيت رواجا كبيرا اشاعة مفادها بان طيار نجوم طاعن في السن ، يعمل حاليا في حفر المخبأ قال ما يلي على وجه التقريب : «انني اعرف قائد سفينة النجوم «السهم» منذ مائة عام . فهو اذا قال بانه لن ياتي قبل عشر ساعات ، فمعنى ذلك انه سياتي في وقت لا يزيد عن ثلاث ساعات . ولا ضرورة للاعتماد على اقوال «المجلس» . ففيه يجلس اناس عديمو الخبرة ، وليست لديهم فكرة عن ماهية سفينة النجوم الحديثة وامكانياتها عندما تقودها ايدى خبيرة» .

وفقد العالم فجاة البساطة والوضوح . واصبح من المتعذر فصل الحقيقة عن غيرها. وصار بامكان اكثر الناس صدقا، والذى تعرفه منذ الطفولة،ان يكذب عليك بكل بساطة لمجرد ان يظهر لك التاييد والمواساة ، وبعد

عشرين دقيقة ستراه منطويا على نفسه حزينا بسبب اشاعة صعبة التصديق تقول انه بالرغم من كون «الموجة» لا تشكل خطرا على الحياة ، الا انها تشوه للابد حالة الانسان السيكولوجية ، وتجعلها في مستوى اهل الكهوف .

ورأى الناس في الساحة كيف دخلت بناية المجلس امرأة طويلة القامة،ضخمة الجثة، بوجه ملأته الدموع، وهي تقود طفلا في الخامسة من عمره يرتدي سروالا احمر اللون . وتعرف عليها الكثيرون ـ فقد كانت جينيا فيازينتسيبنا زوجة مدير كوكب «قوس قزح».وخرجت بعد قليل بصحبة كانيكو ، الذى كان يقودها من مرفقها بادب وصرامة. كانت قد كفت عن البكاء ، ولكن ظهر على وجهها الحزم بشكل جعل الناس يفسحون لها الطريق خائفين . وكان الصبي يقضم الكعك بهدوء .

كان الامر اسهل احتمالا لدى من كان مشغولا بعمل ما . ولهذا فان جماعة كبيرة من الرسامين والممثلين، الذين بحت اصواتهم من الجدال ، اتخذوا آخر الامر قرارا ، وتوجهوا الى اطراف المدينة حيث يعمل رجال الصواريخ . وكان من الامور البعيدة الاحتمال ان يستطيعوا تقديم مساعدة جدية لهم ، الا انهم كانوا واثقين من ايجاد عمل هناك . ونزل بعضهم الى المخبأ حيث بدأت اعمال شق فروع النفق . وركب بعض

الطيارين ذوى الخبرة ، المركبات المجنحة ، وانطلقوا الى الشمال والى الجنوب، للانضمام الى مراقبى «المجلس» ، الذين كانــوا يلعبــون لعدة ساعات خلت لعبـــة «الاستغماية» مع الموت .

وشاهد الباقون كيف هبطت عند مدخل «المجلس» عربة طائرة لفحتها النيران ، وبدت عليها البقع والانبعاجات . وخرج منها بصعوبة رجلان . ووقفا على ارجلهما المرتعشة ، وتحركا نحو الابواب يسند احدهما الآخر . وكان وجهاهما شديدى الاصفرار ومتورمين، وتعرف الواقفون بصعوبة فيهما على الفيزيائى الشاب كارل هوفمان ورجل التجارب المطلقة تيموثى صوير، الذى اشتهر بمهارته فى العزف على آلة البانجو . وكان صوير يهزّ رأسه ، ويغمغم فقط ، اما هوفمان فقد اخذ يبح بحنجرته لبعض الوقت . ثم روى بصوت غيرواضح بانهما كانا يحاولان القفز فوق «الموجة» ، واقتربا منها على مسافة عشرين كيلومترا ، ولكن ساءت عندئذ حالة عينى تيموثى ، الامر الذى اضطرهما للرجوع . وتبين انه طرحت فى «المجلس» فكرة نقل السكان الى الجانب الآخر من «الموجة» . وكلف صوير وهوفمان بالاستطلاع . وعندها قال احدهم بان اثنين من قفاة الاثر حاولا السير تحت «الموجة» فى عرض البحر بواسطة غواصة للابحاث ، لكنهما لم يعودا بعد ، ولم يعرف شىٴ عنهما .

وكان عدد الباقين حتى ذلك الحين يبلغ حوالى المائتى شخص.اى اقل من نصف عدد السكان البالغين فى كوكب «قوس قزح» . وحاول الناس التجمهر فى مجموعات . كانوا يحدثون بعضهم البعض على مهل ، دون ان يبعدوا ابصارهم عن نوافذ بناية «المجلس» . وساد الصمت الساحة : اذ توغلت حفارات «كروت» عميقا فى باطن الارض ، ولم يعد يسمع هديرها تقريبا . كانت احاديث الناس غير سارة .

– مرة اخرى تضيع عطلتى . ويبدو ان ذلك سيكون لفترة طويلة هذه المرة .

– المخبأ . . تحت الارض . . الاختفاء . . وسيهجم الجدار الاسود من جديد ، وسيلتجأ الناس الى باطن الارض . . .

– مع الاسف ، ليس لدى مزاج للرسم.انظر ما أجمل بناية «المجلس» . يالعمق الالوان . لكنت رسمتها بكل سرور . . ولعبرت فيها عن مزاج التوتر والانتظار هنا ، الا اننى . . . لا استطيع . شىٴ مقرف .

– ومع ذلك فانه لامر غريب . فنحن ، كما اعتقد، لم ننتخب «مجلسـا» سريا . انهـا عادات كهنوتيـــة نموذجيـــة . ان يغلقوا على انفسهـــم الابواب ، ويبحثون مصير الكوكب . . . ففى نهاية الامر ، لا يهمنى كثيرا عم يتحدثون هناك ، غير ان هذا امر غير لائق . .

— انانيف . . لا يعجبنى ابدا. انظروا، ها هو يجلس هنا ساعتين من الزمن ، دون ان يتحدث مع احد ، وهو يشحذ سكينه فحسب . . . ساذهب لاتحادث معه . . . لنذهب سوية ، الا تريد ؟

— احترقت اوزورا . . . اوزورتى . لقد بنيتها بنفسى ، وعلى ان ابنيها من جديد . . . ثم سيحرقونها مرة اخرى .

— اننى ارثى لحالهم . فها نحن نجلس انا وانت سوية، واقسم باننى لا اخاف شيئا ! اما ماتفى سيرجيفيتش ، فلا يستطيع حتى فى الساعات الاخيرة الجلوس مع زوجته. ان هذا كله شىء سخيف . ولماذا ؟

—انا اجلس هنا واثرثر ، لاننى ارى بان المخرج الوحيد هو سفينة النجوم . وكل ما عداها فهو هراء وتخبط وعبث صبيانى . . .

— لماذا قدمت الى هنا ؟ ما الذى كان يعوزنى على الارض ؟ آه ، يا «قوس قزح» ، يا «قوس قزح» ، لكم سببت لنا من خيبة آمال . .

وهدر فى هذه اللحظة ميكروفون الارسال العمومى :

— انتباه ، «قوس قزح» ! يتكلم «المجلس» ! يدعى سكان الكوكب الى اجتماع عام! وسيعقد الاجتماع فى ساحة «المجلس» بعد عشرين دقيقة . اكرر . . .

* * *

عندما شق جوربوفسكى طريقه الى بناية «المجلس» اكتشف بانه يتمتع بشهرة غير عادية لدى الناس . فقد افسحوا له الطريق للمرور ، واشاروا اليه بنظراتهم وحتى باصابعهم ، وحيّاه البعض وسالوه : «كيف الاحوال يا ليونيد اندريفيتش ؟» . وتلفظ احدهم خلف ظهره بصوت خافت اسمه واسماء النجوم والكواكب المرتبطة باسمه ، وكذلك اسماء السفن التى تولى قيادتها .

كان جوربوفسكى الذى نسى منذ زمن بعيد هذه الشهرة، ينحنى لهم ، ويحييهم بيده ، ويبتسم، ويجيب : «نعم كل شئ على ما يرام حتى الآن» ، وكان يفكر فى نفسه : «ليقل لى احدهم الآن بان الجماهير لم تعد تعبأ بالتحليق بين النجوم» . وفى الوقت نفسه شعر بجسده تقريبا بالتوتر العصبى الفظيع الذى يسيطر على الناس فى الساحة . لقد كان ذلك يشبه الدقائق الاخيرة التى تسبق امتحانا صعبا وهاما . وقد انتقل التوتر اليه شخصيا . كان يحاول وسط الابتسام والمداعبة ، تحديد المزاج والفكرة الجماعية لهذا الحشد،وان يتكهن بما سوف يقولونه عندما يعلن قراره . وفكر فى نفسه بالحاح : «اننى اؤمن بكم . اؤمن واؤمن . . مهما جرى. اؤمن بكم خائفين وقلقين ، وعندما تخيب آمالكم،وعندما تكونوا متعصبين . يايها الناس !» .

ولحق به واوقفه رجل غريب عند الباب.كان يرتدى بزة العمل الخاصة باعمال المناجم . وقال وهو يبتسم بقلق :

— ليونيد أندريفيتش. دقيقة . دقيقة واحدة فقط.

فقال جوربوفسكى : — تفضل . تفضل .

واخذ الرجل يتفحص جيوبه . وقال :

— عندما تصل الى «الارض»،اصنع معروفا لى . . . اين اختفت ؟ . . . ولا اعتقد ان ذلك سيكون عسيراً جدا بالنسبة لك . . . آها ، ها هى . . . — واخرج مظروفا مطويا طويتين — . العنوان موجود هنا ، وهو مكتوب بشكل واضح . . . آمل ان لا ترفض ايصالها .

فاومأ جوربوفسكى رأسه بالايجاب . وقال بلهجة ودية للغاية : — انني ساخذها حتى ولو كان العنوان مكتوبا بخط اليد . . . . — واخذ المظروف من الرجل — .

— ان خط يدى ردئ . وحتى انا نفسى لا استطيع قراءته ، كما انني كتبت الرسالة بعجلة الآن . . . — وصمت ، ثم مديده لجوربوفسكى قائلا : — رحلة سعيدة . واشكرك مقدما .

وسأله جوربوفسكى : — كيف حال مخباكم ؟

فاجابه الرجل : — كل شئ يسير على ما يرام . لا تقلق من اجلنا .

دخل جوربوفسكى بناية «المجلس» ، واخذ يرتقى

السلم ، وهـو يفكر باول عبارة سيتوجـه بهـا الى «المجلس». ولم يختمر فى فكره تماما شكل هذه العبارة. وقبل ان يصل الى الطابق الثانى راى ان اعضاء «المجلس» يهبطون السلم امامه . وكان فى مقدمتهم لاموندوا الذى سار بخفة،وهو يمرر اصبع يده على سياج السلم . وبدا هادئا تماما ، وحتى شارد الذهن نوعا ما . وابتسم ابتسامة غريبة شاردة عندما رأى جوربوفسكى، ثم اشاح عنه ببصره بسرعة . وافسح جوربوفسكى له الطريق . وتبع لاموندوا المدير بسحنة حمراء ، وبدا عليه الغضب . وقال بلهجة خافتة غاضبة : «هل انت مستعد ؟» ، ودون ان ينتظر الجواب ، مرّ بجانبه نازلا الى الاسفل . ثم سار فى اعقابهما باقى اعضاء «المجلس» ، الذين لم يكن يعرفهم جوربوفسكى . وكانوا يناقشون بحيوية وبصوت عال مسالة بناء المدخل فى المخبأ الارضى.وكان يحسّ بالزيف والتصنع فى اصواتهم العالية ، وفى حيويتهم ، بشكل واضح . وكان جليا ان افكارهم كانت مشغولة بقضايا اخرى تماما . وكان آخرهم ، والذى نزل بعد الآخرين ببعض الوقت ، هو ستانسلاف بيشتا ، وهو رجل عريض المنكبين ، وقد لفحت الشمس وجهه الى حد السواد ، اشعث الشعر كما كان قبل خمس وعشرين سنة مضت ، عندما كان يقود السفينـة «عباد الشمس» ، وغزا مع جوربوفسكى

كوكب «البقعة العمياء» .

وقال جوربوفسكى : — ها ، من ارى !

فقال ستانسلاف بيشتا : — اوه !

— ماذا تفعل هنا ؟

— اتبادل الشتائم مع الفيزيائيين .

فقال جوربوفسكى : — خيرا تفعل . وساحذو حذوك. اما الآن فقل لى ، من يترأس هنا معسكر الاطفال .

فاجابه بيشتا : — انا .

نظر جوربوفسكى اليه بشك . واستغرق بيشتا فى الضحك :

— انا، انا ! . . . الا اشبه رئيس معسكر للاطفال؟ ستتاكد من ذلك الآن.فى الساحة.عندما تبدأ المناقشات الحامية . اؤكد لك ، بان المشهد سيكون غير تربوى .

واخذا يهبطان السلم سوية متوجهين الى الخارج .

قال جوربوفسكى : — مناقشات حامية ، حامية . ان هذا امر لا يتعلق بك . اين الاطفال ؟

— فى المنتزه .

— حسنا جدا . اذهب الى هناك فورا . اتسمع ! — وابدأ حالا بنقل الاطفال الى متن «تاربيل» . وينتظرك هناك مارك وبيرسى . لقد اتممنا نقل الاطفال الصغار من دور الحضانة . اذهب ، بسرعة .

فقال بيشتا : — انت رائع .

وقال جوربوفسكى : — طبعا ، والآن اسرع .

ربت بيشتا على كتف جوربوفسكى ، وانطلق الى الاسفل وهو يتهادى فى مشيته . وتبعه جوربوفسكى الى الخارج . فراى مئات الوجوه تتطلع اليه . وسمع صوت ماتفى الجهورى وهو يتحدث بالميجافون :

— . . . وفى الواقع اننا نقرر الآن مسألة ذات قيمة كبيرة بالنسبة للبشرية ولنا ، باعتبارنا جزءا منها . وسيكون اول المتكلمين الرفيق ستانسلاف بيشتا رئيس معسكر الاطفال .

فقال جوربوفسكى : — لقد ذهب .

واخذ المدير يتطلع حواليه . وسأل بهمس :

— كيف ذهب ؟ الى اين ؟

وخيم الصمت المطبق على الساحة . وقال لاموندوا :

— اذن ، اسمح لى بالكلام .

واخذ الميجافون . رأى جوربوفسكى كيف كانت اصابعه الدقيقة البيضاء تقبض باحكام على اصابع يد ماتفى البدينة المتشنجة بقوة . ولم يسلمه المدير الميجافون فورا . وبدأ لاموندوا كلامه :

— كلنا نعرف ما هو كوكب «قوس قزح» . ان «قوس قزح» هو كوكب أفرد للعلم ، وخصص لاجراء التجارب الفيزيائية . وتنتظر البشرية جمعاء نتائج هذه التجارب . وكل من يأتى هذا الكوكب ويعيش فيه يعرف

الى اين هو آت ، واين يعيش . — كان لاموندوا يتحدث بلهجة حادة وبثقة ، وبدا لطيفا جدا في شحوب وجهه واستقامة قامته واعصابه المشدودة كالوتر . انناكلنا جنود للعلم. وقد كرسنا حياتنا كلها للعلم. واعطيناه كل حبنا واعظم ما عندنا. وما عملناه هو في حقيقة الامر ليس ملكا لنا . انه ملك للعلم وللعشرين مليار نسمة من سكان كوكب الارض ، المنتشرين في ارجاء الكون . ان الحديث حول الموضوعات الاخلاقية هو من الامور الصعبة والمؤلمة دائما.وفي غالب الاحيان فان رغباتنا العاطفية المحضة في « اريد » و « لا اريد » و « يعجبني » و «لا يعجبني» تعيق ارادة العقل والمنطق ، في هذه الاحاديث . ولكن هناك قانون موضوعي يحرّك المجتمع البشري . وهو لا يخضع لعواطفنا . وينصّ هذا القانون على : ان البشرية ملزمة بان تجدّ في طلب المعرفة . و هذا هو اهم شيءٌ بالنسبة لنا — صراع المعرفة ضد اللامعرفة . واذا ما اردنا الا تبدو اعمالنا عديمة المعنى في ضوء هذا القانون ، فيجب علينا التمسك به ، حتى ولو اضطررنا للتخلي عن بعض الافكار الموروثة او التي اكتسبناها بالتربية . — وصمت لاموندوا وفكّ ياقة قميصه — وان اثمن شيءٌ في كوكب «قوس قزح» — هو عملنا . فلقد درسنا الفضاء المطلق مدة ثلاثين عاما. وجمعنا هنـــا خيرة فيزيائيي المطلق الموجودين على «الارض» . وان الافكار التي انبثقت عن عملنا ، والتي لا

زالت في مرحلة الاكتشاف،هي عميقة جدا ولها مستقبل كبير ، ولكنها متناقضة كما هي العادة . ولا اخطئُ اذا ما قلت بانه هنا فقط ، على كوكب «قوس قزح» ، يوجد الاشخاص الذين يحملون المفهوم الجديد حول الفضاء،وبانه على هذا الكوكب فقط تتوفر مادة التجارب التي ستستخدم في التحديد النظري لهذا المفهوم.ولكننا حتى نحن — الاخصائيين — لسنا قادرين على التنبؤ الآن بمدى السلطة الهائلة التي لا يدركها العقل ، والتي سوف تجلبها نظريتنا للبشرية ، على العالم . وسوف يقفز العلم بها لا ثلاثين سنة ، بل مائة او مائتين . . . وثلثمائة عام . . .

وتوقف لاموندوا عن الكلام ، وظهرت على وجهه بقع حمراء ، وتهدل كتفاه . وساد المكان صمت قاتل .

وقال لاموندوا فجاة : — ان لي رغبة شديدة في الحياة . اما الاطفال . . فان لدي طفلين ، ولد وبنت ، وهما هناك في المنتزه . . . لا اعرف . . . قرروا انتم.

وخفض الميجافون ، ثم بقي واقفا امام الجماهير ، متراخي الجسم ، وبدت عليه علائم الشيخوخة ، وكان مظهره يبعث على الرثاء .

ولزم المحتشدون في الساحة الصمت . وصمت فيزيائيو المطلق الواقفون في الصفوف الاولى ، اولئك التعساء الذين يحملون المفهوم الجديد حول الفضاء ،

والوحيدون فى الكون اجمع . كما لزم الصمت الرسامون والكتاب والممثلون ، الذين كانوا يعرفون معنى العمل مدة ثلاثين عاما ، وبان العمل الفنى الرائع لا يمكن ان يبعث من جديد . وصمت كذلك البناؤون الواقفون على اكوام التراب والحجارة التى تراكمت بعد اعمال الحفر هناك ، اولئك الذين عملوا ثلاثين عاما كتفا الى كتف مع فيزيائيي المطلق و من اجلهم . ولزم الصمت ايضا اعضاء «المجلس» — اولئك الافراد الذين اعتبروا اكثر الناس ذكاء ومعرفة وطيبة ، ويتحملون بالدرجة الاولى مسؤولية ما يمكن ان يحدث هناك .

ورأى جوربوفسكى مئات الوجوه ، وجوه شباب وشيوخ ، رجال ونساء ، وبدوا له جميعا متشابهين ، ويشبهون لاموندوا الى حد بعيد . وتصور بشكل دقيق ما تدور فى رؤوسهم من افكار . فالشاب يريد ان يحيا باقصى ما لديه من رغبة فى الحياة ، لانه عاش فترة قليلة من الزمن ، والشيخ يريد ان يحيا لانه بقيت لديه فترة قصيرة من الحياة . ويمكن التخلص من هذه الافكار، بقوة الارادة التى تدفنها فى الاعماق او تبعدها عن الطريق . ومن لا يستطيع ذلك، فهو لا يفكر فى شئ آخر، وتوجه كل طاقته نحو اخفاء ذعره الشديد . اما الباقون . . . . فهم يأسفون على الجهد المبذول.ويرثون كل الرثاء للاطفال . حتى ان هذا الشعور لم يكن شعور

رثاء — فمن بين هؤلاء الناس يوجد الكثيرون ممن لا يعباون بالاطفال ، ولكن من الدناءة والخسة التفكير فى أمر آخر . ولا بد من اتخاذ قرار . آه ، ما اصعب اتخاذ قرار ! كان من الضرورى الاختيار،وقول ذلك بصراحة، وبصوت عال ، . . بانك قد اتخذت قرارا . وبذلك تأخذ على عاتقك مسؤولية كبرى ، مسؤولية ثقيلة للغاية امام نفسك ، من اجل ان تحيا ثلاث ساعات من الحياة تشعر فيها بانك انسان ، ولا تتلوى الما من العار الذى لا يطاق ، وتصرف آخر نفس فى الزعيق لنفسك : «يالك من احمق.!يالك من نذل !».وفكر جوربوفسكى فى نفسه بانه لا بد من التمسك بالرحمة .

فاقترب من لاموندوا واخذ منه الميجافون . ويبدو ، فى اغلب الظن ، ان لا موندوا حتى لم يلاحظ ذلك .

قال جوربوفسكى فى الميجافون بصوت يطغى عليه التأثر والانفعال :

— اتعرفون ، اننى اخشى ان يكون هناك شئ من سوء الفهم . ان الرفيق لاموندوا يقترح عليكم اتخاذ قرار . ولكن ليس هناك ما يجب ان يتخذ قرار بشأنه . لان كل شئ قد تقرر . فاطفال دور الحضانة والامهات المرضعات ، هم الآن على متن سفينة النجوم . (وتنفس المحتشدون الصعداء) . ويجرى الآن تحميل باقى الاطفال . واعتقد ان المكان يتسع لجميعهم . حتى اننى

لا اعتقد ذلك ، بل انا واثق منه . ارجو منكم المعذرة ، ولكنني اتخذت هذا القرار بنفسي . ولي الحق في ذلك . كما ان لي الحق ان اوقف جميع المحاولات التي ستقف حائلا دون تنفيذي لهذا القرار . ولكنني اعتقد بان لا ضرورة للجوء الى استعمال هذا الحق . وبشكل عام ، فقد اورد الرفيق لاموندوا هنا افكارا تثير الاهتمام . وكان بودي مناقشته بشأنها ، ولكن على ان اذهب . ايها الرفاق ، الاباء والامهات ، ان الدخول الى المطار الكوني مفتوح امام الجميع . غير ان الصعود الى متن السفينة النجمية غير مسموح به، وارجو المعذرة لذلك.

وقال احد المحتشدين بصوت عال : – انتهى الامر. قرار صائب . ياعمال الحفر ، هيا اتبعوني !

حدث ضجيج وحركة وسط المجتمعين . وحلقت بعض المركبات المجنحة .

قال جوربوفسكي : – من اين يجب ان نبدأ ؟ ان اثمن ما لدينا ، هو المستقبل . . .

وقال صوت يتسم بالصرامة من بين المجتمعين : – ولكن ليس لدينا مستقبل . . .

– بالعكس، لدينا مستقبل! ان مستقبلنا هم الاطفال. اليست هذه فكرة نيرة ، حقا ! وبشكل عام ، يجب ان نكون منصفين . ان الحياة رائعة ، ونحن نعلم ذلك . ولكن الاطفال لا يعلمون ذلك بعد. فكم من الحب ينتظرهم في المستقبل ! وانا لا اريد الحديث عن مشاكل المطلق. (وصفق له بعض المجتمعين) . والآن ، عليّ ان اذهب .

تناول جوربوفسكي الميجافون الى احد اعضاء «المجلس» ، واقترب من ماتفي . فطبطب ماتفي على ظهره بقوة عدة مرات . ونظر الى الحشد الذي اخذ يتفرق ، والى الوجوه التي شاعت فيها الحياة ، والتي سرعان ما اصبحت متباينة ، ودمدم جوربوفسكي وهو يطلق تنهدة :

– ومع ذلك ، فانه لامر طريف . فها نحن نسير نحو الكمال ، والكمال ، فنصبح افضل واكثر ذكاء وطيبة . . ومع ذلك نكون في غاية الارتياح عندما يتخذ احدهم قرارا بدلا منا . . .

الفصل التاسع

كانت «تاريبيل الثانى» سفينة انزال نجمية «د ــ سيجما» ، صممت خصيصا لنقل مجموعات صغيرة من الباحثين مع اقل كمية من المعدات والاجهزة المختبرية الى مسافات بعيدة . وكانت تصلح جدا للهبوط على الكواكب ذات الاجواء غير المستقرة ، وكانت لها قابلية عظيمة على الحركة ، كما انها قوية ومتينة البناء ، ومؤلفة بنسبة خمسة وتسعين بالمائة من خزانات الطاقة . وبالطبع ، فقد كان فى السفينة قسم خاص للسكن مؤلف من خمس مقصورات صغيرة ، ومطعم صغير ، ومطبخ مصغّر ، وكابينة القيادة المليئة بمقابض واذرع اجهزة القيادة والمراقبة . كما كان فى السفينة قسم خاص للشحن ــ وهو مكان واسع عارى الجدران ، ذو سقف واطئ ، وينعدم فيه تكييف الهواء اللازم ، ويصلح (فى حالة الطوارئ) لاقامة مختبر صغير . وكانت سفينة «تاريبيل الثانى» تتسع عادة لما لا يزيد عن عشرة اشخاص ، بضمنهم رجال طاقم السفينة .

وقد جرى تحميل الاطفال من مدخل السفينة : الصغار جداً منهم ادخلوا عبر مدخل المسافرين ، والكبار عبر مدخل الاحمال . وتجمهر عند المدخلين عدد كبير من الناس ، وكانوا اكثر مما كان يتوقعه جوربوفسكى . وتبين من النظرة الاولى ، انه لم يكن هناك المربون والاباء والامهات فقط . وتكدست على مسافة من السفينة صناديق الاولموترونات التى لم توزع ، والاجهزة التى كان ينبغى نقلها الى الكشافين فى «لالاندا» . وكان الكبار صامتين ، غير أن السفينة احيطت بضجيج غير عادى ، من صراخ وضحك وغناء ينطلق من حنجرة رقيقة غير مصقولة،وتلك الضوضاء التى تتميز بها فى جميع الازمان المدارس الداخلية وساحات لعب الاطفال والمستوصفات . ولم يكن هناك اشخاص من معارف جوربوفسكى ، وعرف من الموجودين الكسندرا بوستيشيفا فقطوالتى كانت تجلس جانبا. وبدت مختلفة تماما عن ذى قبل ــ فقد كانت مطرقة الرأس وحزينة ، وكانت ترتدى لباسا انيقا وحسن الهندام . وجلست على صندوق فارغ ، واضعة يديها على ركبتيها ، وهى تحدق فى السفينة . كانت تنتظر .

خرج جوربوفسكى من المركبة المجنحة ، وتوجه الى السفينة النجمية . وعندما مرّ بجانب الكسندرا ، ابتسمت له ابتسامة حزينة وقالت : «اننى انتظر

مارك» . — «نعم ، نعم . . . سيخرج عما قليل» ، — قال لها جوربوفسكى بلهجة لطيفة وواصل طريقه . ولكنه اوقف فورا،وادرك عندها بان الوصول الى مدخل السفينة سوف لن يكون امرا سهلا .

قطع عليه الطريق رجل ملتح ، يلبس قبعة عريضة بيضاء . وقال :

— ايها الرفيق جوربوفسكى . ارجوك ، خذ هذا معك . ومد له رزمة طويلة ثقيلة .

فسأله جوربوفسكى قائلا :

— ما هذا ؟

— هذه آخر صورة رسمتها . انا يوهان سورد .

فردد جوربوفسكى : — يوهان سورد . . . لم اكن اعرف انك هنا .

— خذها . انها ليست ثقيلة . انها خير ما رسمت فى حياتى . وقد جلبتها معى من أجل المعرض هنا . انما «الريح» . . .

وشعر جوربوفسكى بشئ يعتصر احشاءه .

— هاتها ، — قال جوربوفسكى ذلك وهو يتناول الرزمة بعناية .

فانحنى سورد له ، وقال :

— شكرا ، يا جوربوفسكى ، — ثم اختفى فى الزحام.

وامسك احدهم بذراع جوربوفسكى بقوة ، وبشكل يبعث على الألم . فالتفت ورأى امرأة شابة.كانت شفتاها

ترتجفان ، ووجها مبلل بالدموع . وسألته بصوت متهدج :

— هل انت قائد السفينة .

— نعم ، نعم . انا هو القائد .

وقبضت على ذراعه بشكل يؤلم اكثر من السابق ، وقالت :

— هناك ابنى ، على متن السفينة . . . — وانحرفت شفتاها — ، انا خائفة . . .

وبان على وجه جوربوفسكى تعبير عن دهشته .

— ولماذا ؟ انه هناك فى امان تام .

— هل انت واثق ؟ . . . هل تعدنى ؟

فكور جوربوفسكى بحزم : —

— انه هناك فى امان تام. ان هذه السفينة جيدة جدا!

قالت وهى تنشج : — ما اكثر الاطفال ، ما اكثرهم ! . .

وتركت ذراعه ، والتفتت مبتعدة عنه . وتابع جوربوفسكى مسيرته المتعثرة ، وهو يحمى لوحة سورد النفيسة بذراعيه وجنبيه، ولكنهم امسكوا به من مرفقيه فورا من الجانبين .

وقال رجل شاحب اللون حاد المزاج : — انها تزن ثلاثة كيلوجرامات فحسب . . . ولم اسال احدا ابدا معروفا . . .

— ارى ذلك ، — قال له جوربوفسكى ، وهو يظهر موافقته على اخذها ، — يمكن ملاحظة ذلك حقا .

— هنا تقرير عن اعمال مراقبة «الموجة» خلال عشرة اعوام.ويتألف من ستة ملايين صورة فوتوغرافية.

— انه شيء مهم جدا ! — قال الشخص الثاني مؤكدا ، وهو يمسك بمرفق جوربوفسكى الايسر . كانت له شفتان غليظتان ، تعبران عن الطيبة ، وكان وجهه غير حليق ، وعيناه صغيرتان متوسلتان . — اتعرف ان هذا هو مالييف ... — واشار باصبعه الى الشخص الاول — يجب ان تاخذ هذه الرزمة ...

وقال مالييف : — اسكت ياباتريك . ليونيد اندريفيتش ، اتفهم . . . انها من اجل الا يتكرر ذلك مرة اخرى ... من اجل الا يتكرر ابدا ... — ثم تنهد — من اجل الا يوضع امامنا ابدا ومطلقا هذا الاختيار المشين ...

فقال جوربوفسكى : — احملها ، واتبعنى . ان يداى مشغولتان .

فاخلوا سبيله ، بينما خطا جوربوفسكى الى الامام ، ولكن ركبته اصطدمت بشىء كبير ملفوف بالقماش المشمع ، وقد امسك به شابان يرتديان قبعتى بيريه زرقاء ، بصعوبة كبيرة .

وقال الاول متوسلا : — ايمكنك ان تاخذ هذا معك ؟

وقال الثانى : — اذا كان هذا ممكنا طبعا ...

— لقد قضينا سنتين فى صنعه ...

— ارجوك .

فهز جوربوفسكى رأسه بالسلب . واخذ يبتعد عنهما بحذر .

وقال الاول متوسلا : — ياليونيد اندريفيتش . اننا نتوسل اليك .

فهزّ جوربوفسكى رأسه بالسلب من جديد .

— لا تكن ذليلا ! — قال الثانى ذلك بغضب . وترك فجاة الطرف الذى يحمله ، فسقط الشيء الملفوف على الارض وهو يرن . — لم لا تمسك به جيدا .

وركل الجهاز بقدمه فجاة بغضب ، ثم ابتعد وهو يعرج بشكل ملحوظ .

فصاح الاول منذرا وهو يتبعه : — فولودكا ! لا تكن مجنونا .

تحول جوربوفسكى عنهما وواصل سيره .

وردد صوت متحشرج بالقرب من اذنه : — ليس للنحاتين ما يأملون فيه .

فهزّ جوربوفسكى رأسه فحسب . ولم يكن ليستطيع الحديث . فقد كان مالييف يتنفس خلفه بحشرجة ، وهو يدوس على كعبيه .

وكانت هناك جماعة اخرى من الناس ، يحملون لفائف ورزم وحزم فى ايديهم ، وقد تركوا اماكنهم مرة واحدة، واخذوا يسيرون الى جانبه .

وقال احدهم بعصبية وبعبارات متقطعة :

ــ ربما يمكن ان نفعل هكذا ... ربما نضع ... نضع كل شيء في مدخل الحمولات ... نحن نعرف ، بان الفرص امامنا قليلة ... ولكن قد تبقى اماكن خالية ... ففي نهاية الامر هذه حاجيات لا اشخاص ... ويمكن حشرها في مكان ما .. بشكل ما ...

فقال جوربوفسكي : ــ نعم ... نعم ... انني ارجوك القيام بذلك ــ وتوقف ، ثم وضع اللوحة الفنية على كتفه الآخر ــ . ارجو ابلاغ الجميع بذلك . ليضعوا حاجاتهم عند مدخل الحمولات . على مسافة عشر خطوات منه ... حسنا ؟

دبت الحركة في حشد الناس المتجمهرين هناك ، وخفت وطأة الازدحام . واخذ الافراد الذين يحملون اللفائف والرزم يتفرقون ، ووصل جوربوفسكي في نهاية الامر الى المنطقة الخالية قرب مدخل المسافرين ؛ حيث اصطف الاطفال ازواجا ، بانتظار يديّ بيرسى ديكسون، اللتين ستحملانهم الى متن السفينة .

وكان الاطفال الصغار ذوى السترات والسراويل والقبعات المختلفة الالوان قد وصلوا الى هنا في حالة من السرور والمرح ، بعثتها فيهم الرحلة المنتظرة بين الكواكب . وكانوا منشغلين بالتطلع الى بعضهم البعض والى السفينة الضخمة التي يميل لونها الى الزرقة، ومنحوا

امهاتهم وابائهم الذين تجمعوا من حولهم نظرات شاردة. فلم يكن لديهم وقت للانشغال بالاباء والامهات . ووقف في فتحة المدخل بيرسى ديكسون ، وقد ارتدى بزة ملاحيّ النجوم الرسمية القديمة ، والتي نسيت منذ زمن بعيد . كانت ثقيلة وضيقة ، ومزينة بصفوف من الازرار الفضية ، واشارات وشرائط الزينة اللامعة . وكانت قطرات العرق تتساقط من وجهه الكثيف الشعر كالمطر، ومن حين الى آخر كان يصيح كما يفعل البحارة : « الى الدفة . مكانك قف . ارفعوا المرساة ! » . وبعث كل ذلك جوا من المرح ، وكان الاطفال المسرورون لا يحولون عنه نظراتهم الممتلئة اعجابا . وكان هناك اثنان من المربين : احدهما رجل يحمل بيده قائمة الاسماء ، والثاني امرأة كانت تغني مع الاطفال اغنية مرحة عن الخرتيت الشجاع . وكان الاطفال الذين لم تفارق ابصارهم ديكسون ينشدون الاغنية بحماس كبير ، وكل منهم يغني اللحن كما يحلو له .

وفكر جوربوفسكي بانه اذا ما وقف المرء وظهره الى الحشد ، لامكن الاعتقاد حقا بان العم الطيب بيرسى قد نظم لتلاميذ المدرسة رحلة مرحة ممتعة للطيران حول الكوكب ، على متن السفينة النجمية . وفي هذه اللحظة حمل ديكسون على ذراعيه طفلا ، ثم التفت مناولا اياه الى شخص يجلس في الفتحة . وعندئذ صرخ صوت

امرأة واقفة وراء جوربوفسكي بصورة هستيرية : «يا صغيرى توليا ! توليا !» ، فالتفت جوربوفسكي ورأى وجه مالييف الشاحب ووجوه الاباء المتوترة ، ووجوه الامهات وقد ارتسمت عليها ابتسامات ملتوية حزينة ، واغرورقت عيونهن بالدموع ، وهن يقضمن شفاههن ، وبدت عليهن امارات اليأس ، ومن بينهن المرأة التى اصابتها «موجة» من الهستيريا فاسرع رجل يرتدى بزة العمل الملطخة بالتراب الى ابعادها عن الحشد . واشاح البعض بنظره عن المشهد ، وانحنى البعض الاخر وهرول مبتعدا بسرعة ، وهو يصطدم بمن يلقـاه فى طريقه ، وجلس البعض على الارض الخرسانية ضاغطا على رأسه براحتيه .

ورأى جوربوفسكي جينيا فيازانيتسينا ، التى ازدادت امتلاء وجمالا ، بعينيها الواسعتين غير المبللتين بالدموع وشفتيها المضغوطتين بصرامة ، وقد امسكت بيد طفل ممتلىء ، هادىء ، يرتدى سراويل حمراء . وكان الطفل يمضغ تفاحة ، وهو ينظر بملء بصره الى يدى ديكسون الساحر .

وقالت : ــ مرحبا ياليوتيد .

فقال جوربوفسكي : ــ مرحبا ، ياجينيا .

ووقف مالييف وباتريك جانبا .

فقالت : ــ انك نحيف جدا . نحيف كما كنت ، بل ازددت نحافة .

ــ اما انت فقد ازددت جمالا .

ــ امل ان لا اشغلك عن العمل كثيرا ؟

ــ كلا ، فكل شىء يسير كما يجب . وعلىّ ان القى نظرة على السفينة فقط . اننى اخشى كثيرا الا تتسع الاماكن الموجودة لدينا للجميع .

ــ هنالك امر سىء واحد . هو ان ماتفى مشغول ، ومشغول ، ومشغول ... ويبدو لى احيانا ، ان الامر لديه سيان ...

فقال جوربوفسكي : ــ ان الامر لديه ليس سيان ابدا . لقد تحدثت معه ، واعرف ان الامر لديه ليس سيان البتة . ولكنه لا يستطيع عمل شىء . فكل الاطفال فى «قوس قزح» هم اطفاله . ولا يمكنه ان يتصرف بشكل آخر .

فلوحت بيدها الطليقة بضعف وقالت :

ــ لا ادرى ماذا سيكون حال اليوشا . لقد تلقى تربية بيتية محضة ، حتى انه لم يدخل روضة الاطفال ابدا .

ــ سيعتاد على ذلك . فالاطفال يعتادون بسرعة على كل شىء . ولا تخافى عليه . فسيكون فى حال جيدة .

ــ ولا ادرى الى من اتوجه .

ــ ان جميع المربين هنا طيبين . وانت تعرفين ذلك . وكلهم سواسية . وسيكون اليوشا فى خير حال .

ــ انك لا تفهمني . فاسمه غير مدرج في اية من قوائم الاسماء .

ــ وماذا يهم ذلك ؟ اذا كان اسمه مدرجا في القوائم ام لا ، فلن يبقى في كوكب «قوس قزح» اى طفل . والغاية من وضع القوائم هو تجنب ضياع الاطفال . اتريدين ، ساذهب واطلب منهم ادراج اسمه في القوائم ؟

فقالت :ــ نعم ... كلا .. انتظر . ايمكنني ان اصعد معه الى السفينة ؟

فهز جوربوفسكي رأسه بالرفض آسفا .

وقال بلطف :ــ يا عزيزتي جينيا ، لا ضرورة لذلك . لا داعي لاقلاق الاطفال .

ــ سوف لا اقلق احدا . اريد فقط ان ارى كيف ستكون حاله هناك ... ومن سيكون معه .

ــ اطفال مثله .. اطفال مرحون وطيبون .

ــ ايمكنني ان اصعد معه ؟

ــ لا ضرورة لذلك يا جينيا .

ــ هناك ضرورة .. ضرورة ملحة . وسوف لا يستطيع البقاء وحده هناك . كيف سيعيش بدوني ؟ انت لا تفهم شيئا . كلكم لا تفهمون شيئا من الامر . سافعل كل ما ترونه واجبا ... اى عمل . فانا استطيع القيام باى عمل . لا تكون متحجر القلب هكذا ...

ــ جينيا ، انظرى حواليك . كلهن امهات .

ــ انه ليس كالآخرين . فهو ضعيف ، ونزق . وقد اعتاد على الرعاية المستمرة . ولن يستطيع العيش بدوني . لن يستطيع ! فانا اعرف ذلك خيرا من الاخرين ! هل من المعقول ان تستغل فرصة عدم وجود شخص اشتكي اليه ؟

ــ وهل من المعقول ان تشغلي مكان طفل ، يجب عندئذ ابقاؤه هنا ؟

فقالت باندفاع :ــ سوف لن يبق احد هنا . انا واثقة من ذلك ! فسيتسع المكان للجميع ! وانا لست في حاجة الى مكان مطلقا ! فلا بد وان توجد عندكم اماكن خاصة للماكينات ، او مقصورات ما ... يجب ان اكون معه !

ــ لا استطيع ان اعمل شيئا من اجلك . ارجو المعذرة .

ــ انك تستطيع ! فانت القائد . انك تستطيع عمل كل شيء . لقد كنت دوما رجلا طيبا ياليونيد !

ــ وانا طيب الآن ايضا . ولا يمكنك ان تتصورى مدى طيبتي .

فقالت :ــ سوف لا افارقك ، ولزمت الصمت .

قال جوربوفسكي :ــ حسنا ، دعينا نتفق على الآتي : ساحمل اليوشا الى السفينة الان ، لاريه المكان ، ثم اعود اليك . حسنا ؟

وحدقت فى عينيه بنظرات ثاقبة .

ـ انك لا تخدعنى . انا اعرف ذلك . انا اصدقك . فانك لم تخدع احدا ابدا .

ـ اننى لا اخدعك . فعندما ستقلع السفينة ، ستكونين الى جانبى . هات الصبى .

دفعت اليه اليوشا ، وهى لا تكف عن النظر الى وجهه .

وقالت : ـ اذهب ، يا اليوشا ، اذهب . اذهب مع العم ليوتيد .

فسأل الصبى : ـ الى اين ؟

قال جوربوفسكى وهو ياخذ بيده : ـ الى السفينة . الى اين يمكن الذهاب ايضا . الى هذه السفينة . الى هذا العم . اتريد الذهاب الى هناك ؟

واعلن الطفل قائلا : ـ اريد الذهاب الى هذا العم . ـ ولم ينظر الى امه مرة اخرى . واقتربا سوية من السلم الذى كانت ترتقيه آخر مجموعة من الاطفال . وقال جوربوفسكى للمربى :

ـ اكتب فى القائمة . الكسى ماتفييتش فيازانيتسين .

نظر المربى الى الصبى ثم الى جوربوفسكى ، وانحنى على اوراقه ليدرج الاسم . وصعد جوربوفسكى السلم ببطء ، وقاد الكسى ماتفييتش من يده عبر المدخل . وقال للصبى : ـ ان هذا يسمى باب الدخول .

فسحب الطفل يده ، محررا نفسه من قبضة جوربوفسكى ، واقترب من بيرسى ديكسون ، واخذ يتطلع اليه عن كثب . ورفع جوربوفسكى لوحة سورد عن كتفه ووضعها فى الزاوية . وفكر فى دخيلة نفسه : «وماذا هناك ايضا ؟» ، وعاد الى فتحة المدخل ، مدّيده لاستلام الحزمة من مالبايف .

قال مالبايف مبتسما : ـ شكرا . لم تنسنى . . . اتمنى لكم « بلازما » هادئة .

وابتسم باتريك ايضا . وعادا الى الحشد وهما يودعانه بهز رأسيهما . ووقفت جينيا فى اسفل المدخل مباشرة ، فلوح لها جوربوفسكى بيده . ثم التفت الى ديكسون ، وسال :

ـ الجو حارّ ؟

ـ حرّ فظيع . ووددت لو اخذ دوشا الآن . ولكن هناك اطفال فى الحمامات .

فقال جوربوفسكى : ـ اخل الحمامات .

ـ من السهل قول ذلك . ـ وتنهد ديكسون بعمق ، وقطب وجهه ، وسحب ياقة بزّته الضيقة ، وغمغم ـ ان لحيتى تدخل تحت الياقة . فتوخزنى بشكل لا يطاق ، حتى ان كل جسمى يحكّنى .

قال الصبى اليوشا : ـ ايها العم ، هل لحيتك حقيقية ؟

ـ يمكنك التاكد من ذلك ، ـ قال له بيرسى ذلك بعد ان اطلق زفرة ، وانحنى مقدما له لحيته .

وشدّ الصبي اللحية . ثم قال :
ــ ومع ذلك فهي غير حقيقية .
وامسك به جوربوفسكي من كتفيه ، الا انه تخلص من قبضته . وقال :ــ
ــ انني لا اريد ان اكون معك . اريد الذهاب مع القائد .
فقال جوربوفسكي :ــ هذا شيء حسن . بيرسي ، اذهب به الى المربي .
وانحنى عند الباب للولوج الى الممر . فقال ديكسون في اعقابه :
ــ لا تعجب مما سترى .
دفع جوربوفسكي الباب على مصراعيه . نعم ، ان السفينة لم تشهد مثل هذه الحالة من قبل . ضجيج وضحك ، وصفير ، وزقزقة عصافير ، وهديل حمام ، وصرخات حرب ، وطرق ، ورنين ، ودبدبة اقدام ، وصرير طرق معدن بمعدن آخر ، وصراخ الاطفال الرضع ... وكذلك الروائح المتميزة للبن والعسل والادوية ، واجسام الاطفال المدثرة ، والصابون ، بالرغم من تكييف الهواء ، وبالرغم من عمل مراوح التهوية الاحتياطية بصورة متواصلة ... وسار جوربوفسكي في الممر ، وهو يبحث عن موطىء لقدميه ، ويتطلع بحذر الى الباب المفتوحة ، حيث كان اربعون من الصبيان والبنات الذين

تتراوح اعمارهم ما بين سنتين وست سنوات ، يقفزون ويرقصون و يهدهدون عرائسهم ، ويصوبون بنادقهم ، ويرمون على بعضهم البعض الحبال ذات الانشوطات ، ويتدافعون فى زحمة المكان الخانقة ، ويجلسون ويزحفون على الاسرة الخالية ، وعلى الموائد وتحتهــا ، وتحت الاسرة . وكان يهرول من مقصورة الى اخرى المربون الطيبون . وفى قاعة المطعم التى اخليت من كل الاثاث تقريبا ، كانت الامهات الشابات يرضعن ويغيرن لفائف اطفالهن ، وفى القاعة نفسها كانت دار حضانة ــ وخمسة اطفال صغار يزحفون على اربع فى ركن من المكان ، احيط بسياج ، ويخاطبون بعضهم البعض بلغة الطيور . وتصور جوربوفسكى حالهم جميعا فى ظروف انعدام الوزن ، فقطب حاجبيه ، ودخل الى غرفة القيادة .

ولم يتعرف جوربوفسكى على غرفة القيادة المعهودة . فقد كانت خالية . فاختفى منها جهاز المراقبة الذى يشغل ثلث المكان ، واختفت لوحة القيادة ، واختفى مقعد الطيار الاحتياطى ، واختفت شاشة المراقبة ، واختفى المقعد من امام العدّاد . اما العداد نفسه ، الذى تم تفكيك نصفه ، فقد كانت تلمع فيه لوحات التوصيل العارية . ولم تعد السفينة سفينة نجمية ، بل تحولت الى صندل ذاتى الحركة للسفر بين الكواكب ، وقد

احتفظ بقابلية جيدة على العمل ، ولكنه لا يصلح الا للتحليق فى مسارات القصور الذاتى .

دسّ جوربوفسكى يديه فى جيبه . اما ديكسون فكان يلهث فوق اذنه تماما . فقال جوربوفسكى : ــ حسنا ، حسنا . اين فالكنشتين ؟

ــ هنا ، ــ وبرز فالكنشتين من داخل العداد . وبدا عليه الجد والصرامة .

قال جوربوفسكى : ــ احسنت فعلا يا مارك . وانت يا بيرسى رائع . شكرا لكما .

ــ لقد سأل عنك بيشتا ثلاث مرات . ــ قال مارك ذلك ثم اختفى من جديد داخل العداد . ــ وهو الآن عند مدخل الحمولات .

اجتاز جوربوفسكى غرفة القيادة ، وخرج الى قسم الحمولات . ففوجىء بمنظر عجيب . فقد وقف هناك فى المكان الطويل الضيق المضاء بمصباحين غازيين ضعيفين فتيات وفتيان هم التلاميذ ، وقد التصقوا بعضهم مع البعض الاخر . كانوا يقفون صامتين ، دون حراك تقريبا ، اذ كانوا يبدلون مواقع اقدامهم فقط ، وينظرون الى باب المدخل المفتوحة حيث بدت السماء الزرقاء وسقف ابيض منبسط لاحد عنابر الشحن . ونظر جوربوفسكى بضع ثوان الى الاطفال وهو يعض شفتيه . وقال :

ــ يجب نقل تلاميذ السنة الاولى الى الممر . اما تلاميذ السنتين الثانية والثالثة فالى غرفة القيادة ، فورا .

فقال ديكسون بهدوء :

ــ ولكن هؤلاء ليسوا هم كل التلاميذ . اذ فقد عشرة اشخاص فى الطريق من مدينة الاطفال الى هنا . . . ويبدو انهم قضوا نحبهم . كما ان مجموعة من تلاميذ الصف النهائى يرفضون الصعود الى السفينة . وهناك مجموعة من الاطفال الغرباء ، الذين وصلوا الآن فقط . . . وعلى كل حال ، فسترى بنفسك .

وقال جوربوفسكى : ــ ومع ذلك ، فاعمل كما قلت لك . ضع تلاميذ السنوات الاولى الثلاث فى الممر وفى غرفة القيادة . واوصل النور الى هنا وعلق الشاشة ، وليشاهدوا الافلام . الافلام التاريخية . ليروا كيف كان الناس يعيشون سابقا . هيا الى العمل يا بيرسى . وهناك امر آخر ــ ليقف التلاميذ مكونين سلسلة تنتهى عند فالكنشتين ، وليقوموا بايصال الادوات اليه بواسطة الخط الاتوماتيكى ، فان ذلك سيشغلهم نوعا ما .

وشق طريقه الى المدخل بصعوبة ، ثم هرول راكضا الى الاسفل . ووقفت فى اسفل السلم مجموعة كبيرة من الاطفال من مختلف الاعمار يحيط بهم المربون . والى اليسار تبعثرت اكوام من مختلف المواد ذات القيمة الثقافية فى كوكب «قوس قزح» كالحزم ولفائف

الوثائق والماكينات ونماذج الماكينات والتماثيل الملفوفة بالقماش ولفائف قماش لوحات الرسم . والى اليمين وقف على بعد عشرين خطوة فتيان وفتيات عابسى الوجوه ، وانتصب امامهم ستانسلاف بيشتا ، الرجل الجدى ، واضعا يديه وراء ظهره ، وقد اطرق برأسه . وكان يتحدث اليهم بصوت خفيض ولكنه واضح :

ــ . . . اعتبروا المسالة كامتحان . وفكروا فى انفسكم بدرجة اقل ، وفى الاخرين اكثر . وماذا يعنى انكم تشعرون بالخزى ؟ سيطروا على مشاعركم ، وتغلبوا على هذا الاحساس !

صمت تلاميذ السنة النهائية بعناد . وصمت الكبار ، الذين تجمعوا عند مدخل الحمولات ، مرغمين . واسترق بعض الاحداث النظر لما حولهم ، وبدا واضحا ، بانهم يودون الهرب ، ولكنه كان مستحيلا ــ اذ احاط بهم الاباء والامهات . ونظر جوربوفسكى الى باب الدخول . وحتى من هذا المكان بدا جليا ان السفينة كانت مزدحمة براكبيها . ففى الفتحة الواسعة كان الاطفال يقفون فى صف متراص . وكانت وجوههم لا تشبه وجوه الاطفال ، فقد كان يبدو عليها الجد والحزن الشديد .

واقترب من احد الجوانب شاب ضخم الجثة ، وسيم الملامح ، ذو عينين كئيبتين يشيع فيهما التوسل ، متجها نحو جوربوفسكى . وكان مظهره هذا لا ينسجم مع ضخامة جسمه كل الانسجام .

وقال بصوت متهدج : ـ كلمة واحدة ، ايها القائد . كلمة واحدة فقط . . .

فقال جوربوفسكى : ـ لحظة واحدة .

اقترب من بيشتا واحتضنه من كتفيه .

وقال الاخير : ـ ان المكان يتسع للجميع . لا تقلق لذلك . . .

قال جوربوفسكى : ـ ستانسلاف ، اعمل على تحميل الآخرين .

فعارضه بيشتا قائلا فى تناقض شديد : ـ ليس هناك مكان. لقد كنا ننتظرك. كان خيرا لو اخليت مقصورة ـ د الاحتياطية .

ـ لا توجد على متن «تاريبل» مقصورات ـ د احتياطية . ولكن سيكون هناك مكان كاف الآن . هيا الى العمل .

واصبح جوربوفسكى وتلاميذ الصف النهائى وجها لوجه .

فقال احدهم ، وهو فتى طويل القامة ، اشقر الشعر ، ذو عينين خضراوين : ـ

ـ اننا لا نريد ان تطير . يجب ان يطير المربون .

وقالت صبية صغيرة ترتدى سراويل رياضية: ـ هذا صحيح !

وصاح صوت بيرسى ديكسون من الخلف :

ـ ارموها ! الى الارض مباشرة !

فتطايرت من فتحة المدخل صفائح لوحات التوصيل . وبدأت سلسلة الاطفال المصطفين عملها . . .

وقال جوربوفسكى : ـ اسمعوا ، يا ابنائى ، وبناتى . اولا ، انتم لا تتمتعون بحق التصويت ، لانكم لم تنهوا المدرسة بعد . وثانيا ، يجب ان يكون لديكم ضمير . حقا ، انتم لا زلتم فى مقتبل العمر وتندفعون للقيام بالاعمال البطولية ، ولكن المسالة انه ليست هناك حاجة لكم هنا ، بينما هناك حاجة لان تكونوا على متن السفينة . فيجب ان يكون فى كل مقصورة للاطفال الصغار دون سن الدراسة اثنان منكم ، كما ان هناك حاجة لثلاث فتيات شاطرات على الاقل ، فى قسم حضانة الاطفال ولمساعدة الامهات المرضعات . وباختصار ، فنحن بحاجة الى بطولاتكم هنا .

فقال الفتى ذو العينين الخضراوين هازئا : ـ ارجو المعذرة ايها القائد ، ان هذه الاعمال يمكن ان يؤديها المربون بشكل رائع .

قال جوربوفسكى: ـ اسمح لى ، ايها الفتى ، ولكننى اعتقد بان حقوق القائد معروفة لديك . فانا كقائد اعدكم بان يطير من المربين اثنان فقط . والمهم ـ هو ان تفكروا وحاولوا ان تتصوروا كيف سيعيش مربوكم اذا ما شغلوا اماكنكم فى السفينة . انتهى وقت اللعب ،

يا ابنائى وبناتى ، فامامكم الحياة ، وهكذا يكون شأنها احيانا – ولكن لحسن الحظ ان ذلك يحدث نادرا . والآن ارجو المعذرة ، فانا مشغول . ولكننى استطيع القول ، تهدئة لخواطركم ، بانكم ستدخلون الى السفينة آخر الجميع . وهذا كل ما لدى .

واستدار معطيا ظهره ، وسار مندفعا فاصطدم بالشاب ذى العينين الحزينتين .

فقال له : اوه ، ارجو المعذرة . لقد نسيت امرك تماما .

وقال الشاب بصوت متحشرج: – لقد قلت انه سيطير مربيان . فمن هما ؟

فسأله جوربوفسكى: – ومن انت ؟

– انا روبرت سكلياروف ، من فيزيائيى المطلق . ولكنى لا اتحدث عن نفسى . سأحدثك بالامر الآن . ولكن قل لى اولا ، من من المربين سيطير ؟

– سكلياروف ... سكلياروف ... اسم معروف لى بشكل عجيب . اين سمعت به ؟

فقال سكلياروف وهو يصطنع ابتسامة: – كاميل .

قال جوربوفسكى وهو يتفحص سكلياروف بنظراته : – آه ، اذن فانت تريد ان تعرف من سيطير ؟ ساقول لك وحدك . سيطير رئيس مدينة الاطفال ورئيس الاطباء . وهما لا يعرفان ذلك بعد .

قال سكلياروف وهو يقبض على ذراع جوربوفسكى:
– كلا ، فهناك شخص آخر ... امرأة اخرى . انها تاتيانا تورتشينا ، وهى مربية . والاطفال يحبونها كثيرا . انها مربية مجربة ...

وخلّص جوربوفسكى يده من قبضة سكلياروف ، وقال :

– لا يمكن ، لا يمكن ذلك يا عزيزى روبرت ! اذ سيطير الاطفال والامهات المرضعات فقط . مفهوم ؟

فقال سكلياروف فورا : – وهى ايضا ! انها ام ايضا ! سيكون لديها طفل ... طفل انا! يمكنك ان تسألها .. فهى ام ايضا !

ودفع احدهم جوربوفسكى فى كتفه بقوة . فترنح ورأى كيف ابتعد سكلياروف خائفا ، بينما كانت تسير نحوه امرأة صغيرة الجسم ، نحيفة ، هيفاء ، وقد وخط خصلات شعرها الذهبية المشيب بشكل ملحوظ . وكان وجهها رائعا ، ولكنه كان كأنما قدّ من حجر . ومسح جوربوفسكى جبهته براحة يده ثم عاد الى حشد الواقفين .

كان قد بقى هنـاك تلاميذ الصف النهائى والمربون فقط . اما الكبار الآخرون – الاباء والامهات ، واولئك الذين جاءوا باعمالهم الابداعية ، واولئك الذين بدا كما لو انهم اندفعوا نحو السفينة النجمية بامل غامض

غير مفهوم ، فقد تفرقـوا مبتعدين ببطء زرافـات ووحدانا . ووقف في فتحة المدخل ستانسلاف بيشتا ملوحا بذراعيه ، وهو يصيح :

ــ تراصوا قليلا يا اولاد ! مايكل ، اصرخ في غرفة القيادة ، بان يتراصوا ! قليلا !

فاجابته اصوات الاطفال بلهجة يشيع فيها الجد :

ــ كيف نتراص اكثر، لا نستطيع! ان الجميع يقفون متلاصقين جدا !

وهدر صوت بيرسي ديكسون الاجش ، قائلا :

ــ كيف لا تستطيعون ؟ وهناك ، وراء اللوحة ؟ لا تخافي يا صغيرتي، فان التيار سوف لا يصعقك، اذهبي ، اذهبي ... وانت ايضـا ... وانت ، يــا ذا الانف الافطس ... بحيويــة اكثر ! وانت ... هكذا ... هكذا ...

وجاءهم صوت فالكنشتين ذي اللهجة الباردة والرنين كانه قطعة من الحديد :

ــ تراصوا ، يا اولاد ... دعوني امر ... ابتعدي يابنية ... دعني امر يا ولد ...

ابتعد بيشتا جانبـا ، وظهر الى جانبه فالكنشتين واضعا سترته على كتفه . فقال :

ــ انا سابقى في كوكب «قوس قزح». اذهب بدوني يا ليونيد اندريفيتش .ــ واخذت عيناه تتطلعان في الحشد بحثاً عن شخص ما .

هزّ جوربوفسكي رأسه ، بالموافقة . وسال :

ــ هل الطبيب على متن السفينة ؟

فاجابه مارك :ــ نعـم . هناك من الكبـار الطبيب وديكسون فقط .

انطلق من فتحة المدخل فجاة صوت ضاحك .

وجاء صوت ديكسون وهو يقول باجهاد :ــ آه ، يالكم من عفاريت ... هكذا ... واحد ، اثنان ... واحد ، اثنان ...

ظهـر ديكسون في فتحة المدخل . ظهر فوق راس بيشتا ، وكان وجهه المقلوب يتصبب عرقا ، وهو شديد الاحمرار . وقال بصوت متحشرج :

ــ امسكني يا ليونيد ، فساهوى الى الارض الآن !

فقهقه الاطفال ضاحكين . كان ذلك مضحكا حقاــ فقد كان مهندس السفينـة البدين معلقــا في السقف كالذبابة ، وهو يحاول ان يتمسك بيديه ورجليــه بهيكل تثبيت الحمولات . كان ثقيلا ، ويتصبب عرقا ، وعندما سحبه بيشتـا وجوربوفسكي الى الخـارج ، ووضعاه على قدميه ، قال وهو يتنفس بصعوبة :

ــ عجوز .. اصبحت عجوزا .

ونظر الى جوربوفسكي وهو يرفّ بعينيه كالمذنب .

ــ انني لا استطيع البقـاء هناك ياليونيد . المكان خانق ومزدحم وحارّ ... وهذه البدلة التعيسة ...

سابقى هنا ، ويمكنك ان تطير مع مارك . وفى الواقع انى ضقت بكما ذرعا .

قال جوربوفسكى :ــ وداعا يا بيرسى .

وقال ديكسون متأثرا :ــ وداعا ايها الصديق .

فضحك جوربوفسكى وربتّ على شرائط الزينة التى تزين صدره . وقال :

ــ ما العمل يا ستانسلاف . اخشى انه يجب عليك الاستغناء عن مهندس السفينة . واعتقد انه يمكنك الاستغناء عنه . وتتلخص مهمتك فى الخروج الى مدار تابع اصطناعى استوائى ، وانتظار قدوم «السهم» . والباقى سيتولى امره قائد «السهم» .

صمت بيشتا بضعة لحظات ساهما . ثم ادرك حقيقة الامر .

ــ ما معنى ذلك ؟ ــ قال ذلك بصوت منخفض جدا ، وهو يلقى نظرة الى وجه جوربوفسكى ، ــ ما معنى ذلك ؟ انت ملاّح انزال ! فما معنى هذه المعميات ؟

فقال جوربوفسكى :

ــ معميات ؟ انا لا استطيع قولها . اما انت فاذهب . ستكون مسؤولا عن الجميع حتى النهاية . ــ والتفت الى تلاميذ السنة النهائية وصاح قائلا :ــ الى متن السفينة سرّ ! وقال لبيشتا :ــ سرّ فى المقدمة ، والا فسيصعب عليك الدخول .

نظر بيشتا الى التلاميذ المكتئبين ، الذين كانوا يسيرون ببطء نحو السلم ، ونظر الى فتحة المدخل ، التى بدت منها وجوه الاطفال . ثم قبّل جوربوفسكى فى خده بخفة ، وحيّا مارك وديكسون بايمائة من رأسه . وبعد ان شبّ على قدميه ، امسك بذراع هيكل التثبيت . فدفعه جوربوفسكى الى اعلى . وكان التلاميذ قد بدأوا بالتراص فى الداخل الواحد بعد الآخر ، وقد بدت عليهم مظاهر الاعتزاز بالنفس وعدم العجلة ، وهم يصيحون ببسالة :ــ «هيا اسرعوا ! ارفعوا رؤوسكم عاليا !» .وكانت الفتاة ذات السراويل الرياضية آخر من دخل . وقد توقفت للحظة وهى تنظر بأمل الى جوربوفسكى . ولكن الاخير كان جامد السحنة .

وقالت بصوت خافت :ــ ولكن ليس هناك متسع من المكان . الا ترى ذلك ؟ ليس لى مكان هناك .

ــ ستصبحين نحيفة ، ــ قال لها جوربوفسكى ذلك ، وامسك بكتفيها ودفعها بحذر الى حشد التلاميذ . ثم سأل ديكسون :ــ واين السينما ؟

فاجابه بيرسى بفخر :ــ لقد حسب لكل شىء حسابه . وسيبدأ العرض السينمائى فى لحظة الانطلاق . ان الاطفال يحبون المفاجئات .

وصاح جوربوفسكى :ــ بيشتا ! انت جاهز ؟

فاجابه بيشتا بصوت مخنوق :ــ جاهز !

— انطلق يا بيشتا ! اتمنى لكم «بلازما» هادئة ! اغلق المداخل ! ايها الفتيان ، ايتها الفتيات ، اتمنى لكم «بلازما» هادئة !

وتحرك غطاء المدخل الثقيل بهدوء من فتحة في هيكل السفينة . وابتعد جوربوفسكي عن المدخل ، وهو يلوح بذراعه مودعا . وفجأة تذكر امرا ما . وصاح :

— ها ! والرسالة ؟

لم تكن الرسالة في جيب صدره ، ولا في الجيب الجانبي . وكان باب المدخل قد بدأ ينغلق . وتبين ان الرسالة كانت لسبب ما ، في الجيب الداخلي . فناولها جوربوفسكي الى الفتاة ذات السراويل الرياضية ، وسحب يده بسرعة . واغلقت باب المدخل . ومسح جوربوفسكي بيده المعدن الازرق ، بحركة غير ارادية ، ودون ان يلتفت الى احد ، نزل الى الارض . وعندئذ سحب ديكسون ومارك السلم بعيدا . ولم يبق حول السفينة الا عدد قليل جدا من الناس ، على انه حامت في السماء فوقها عشرات طائرات الهليكوبتر والعربات الطائرة .

استدار جوربوفسكي حول كومة النفائس المادية ، واصطدم بتمثال نصفي القى هناك ، والتف سائرا حول السفينة متجها الى مدخل المسافرين ، حيث كان يتوقع

ان تنتظره جينيا فيازينيتسينا . وفكر باكتئاب — «كان خيرا لو اتى ماتفى الى هنا» . وانتابه شعور بالكآبة والانقباض . ولكنه فرح كثيرا عندما رأى ماتفى . كان ماتفى يسير متوجها نحوه . ولكنه كان وحيدا .

فسأله جوربوفسكي : — اين جينيا ؟

توقف ماتفى ، واخذ يتطلع حواليه . وقال :

— كانت هنا . لقد تحدثت معها بالتليفون اللاسلكي . ماذا ؟ هل اغلقت المداخل ؟ — واستمر في التطلع حواليه .

قال جوربوفسكي : — نعم ، ستنطلق السفينة الآن . — وقد اصابته نفسه الحيرة ايضا . وفكر «ربما تحلق في طائرة هليكوبتر» . ولكنه كان يعرف ان ذلك امر مستحيل .

واستطرد ماتفى قائلا : — غريب ، ان جينيا ليست هنا .

فقال جوربوفسكي : — ربما هي في احدى طائرات الهليكوبتر — ولكنه ادرك فجأة اين هي . وفكر في نفسه : «آه ، نعم . يا للشيطانة !» .

وقال ماتفى : — وهكذا لم ار اليوشا ...

ساد المطار الكوني صوت هائل ، يشبه صوت شهقة متحشرجة . وانطلق هيكل السفينة الازرق الجبار مبتعدا بهدوء عن سطح الارض ، متوجها الى الاعلى .

وفكر جوربوفسكى فى نفسه : «هذه اول مرة فى حياتى اشاهد فيها انطلاق سفينتى» . وتابع ماتفى السفينة ببصره ، وفجأة التفت اليه كمن لدغته افعى ، وهو يحملق فيه بدهشة . وغمغم قائلا :

ـ مهلا ... ما هذا ؟ لم انت هنا ؟ وكيف تحلق السفينة ؟

فقال جوربوفسكى :ـ ان بيشتا هناك .

جمدت عينا ماتفى فى محجريهما . وهمس قائلا :ـ ها هى ذى المسالة !

والتفت جوربوفسكى ناظرا الى الافق . كانت تضىء هناك دفقة نور منتظمة تعمى الابصار بريقها .

الفصل العاشر

رجا جوربوفسكى ديكسون ان يتوقف فى اطراف العاصمة . فاوقف الاخير المحرك ، واخذ ينظر اليه منتظرا . فقال جوربوفسكى :

ـ ساذهب سيرا على الاقدام .

فخرج . وتبعه مارك فورا ، ومد يده لمساعدة الكسندرا بوستيشيفا على النزول . وكان الاثنان قد التزما الصمت فى المقعد الخلفى طيلة الطريق من المطار الكونى . وقد امسكا بيدى بعضهما البعض كالاطفال . واغلقت الكسندرا عينيها ، وضغطت بوجهها على كتف مارك .

وقال جوربوفسكى :ـ تعال معنا يا بيرسى . سنجمع الزهور ، والجو الان غير قائظ . وسيكون ذلك مفيدا جدا لقلبك .

فهز ديكسون رأسه الاشعث بالنفى ، وقال :

ـ كلا ، يا ليونيد . من الافضل ان نودع بعضنا البعض . فساذهب .

كانت الشمس تخيم على الافق . وكان الجو يميل الى البرودة . واخذ نور الشمس يضىء ممرا يحيط به جداران اسودان : هما الموجتان ـ الشمالية والجنوبية ـ وقد اعتلتا الافق .

قال ديكسون: ـ ساذهب في هذا الممر . الى اين يقودني بصري . وداعا يا ليونيد ، وداعا يا مارك . وانت ، يا بنية ، وداعا . اذهبوا ... ولكن على ان احزر اولا ماذا ستكون اعمالكم القادمة . غير ان هذا امر في منتهى البساطة الآن .

فقال مارك : ـ نعم ، انه لامر بسيط . وداعا يابيرسي . هيا بنا يا صغيرتي .

وابتسم ابتسامة قصيرة ، ثم نظر الى جوربوفسكي ، واحتضن الكسندرا من كتفيها ، وسارا معا في البرية . وتابعهما جوربوفسكي وديكسون بنظراتهما .

قال ديكسون : ـ لقد بدأ متاخرا نوعا ما .

فوافقه جوربوفسكي قائلا: ـ نعم . ومع ذلك فانني احسدهما .

ـ انك شغوف بان تحسد الاخرين . انك تحسد الاخرين دائما بكل شهية ، يا ليونيد . وها انا احسد ايضا . احسده لان هناك انسانا ما سيفكر فيه بلحظات حياته الاخيرة ، اما في ... او فيك ايضا ، يا ليونيد ، فلن يفكر احد .

وقطب ديكسون وجهه ، وتطلع الى الشمس التي جنحت الى المغيب . وقال : ـ نعم . اننا لن ننجو هذه المرة كما اعتقد . وداعا يا ليونيد .

وحياه بهزة من رأسه ، وذهب ، بينما سار جوربوفسكي متهاديا في الطريق مع الناس الآخرين ، الذين كانوا يتجولون بلا عجلة في شوارع المدينة . ولازمه احساس بالراحة والهدوء لاول مرة في هذا اليوم المشوش الرهيب ، المملوء بالاحداث . ولم يعد بحاجة الى الاهتمام باحد ، ولم يعد بحاجة الى اتخاذ قرارات ، فالجميع حوله كانوا مستقلين بانفسهم ، واصبح هو نفسه مستقلا بذاته تماما . ولم يشعر بمثل هذا الاستقلال في حياته كلها ابدا .

كان المساء جميلا ، وكان من الممكن ان يكون مساء رائعا لولا الجدارين الاسودين الزاحفين من اليمين واليسار ، واللذين يزداد حجميهما كبرا في السماء الزرقاء ... فقد كان هادئا ، شفافا ، يميل الى البرودة ، وتزينه جدائل من اشعة الشمس الوردية . وقلّ عدد الناس في الطريق رويدا رويدا ، وقد توجه عدد كبير منهم الى البراري ، مثل فالكنشتين والكسندرا ، بينما بقي الاخرون على قارعة الطريق .

وزينت جوانب الشارع الرئيسي في المدينة ببقع ملونة هي اللوحات الفنية التي علقها الرسامون للمرة

الاخيرة ـ على الاشجار وجدران البيوت والاسلاك في عرض الطريق ، وعلى اعمدة نقل الطاقة . ووقف قبالة اللوحات اناس وهم يستعيدون الذكريات ، ويفرحون بهدوء ، وبدأ احدهم ـ وهو ثائر ـ نقاشا ، بينما استغرقت امرأة انيقة نحيفة القوام في البكاء بمرارة ، وهي تكرر بصوت عال : «واسفاه ... يالاسف !» . وفكر جوربوفسكي في نفسه بانه رأى هذه المرأة في مكان ما ، ولكنه لم يستطع ان يتذكر اين .

وسمع موسيقى غير معروفة : كان في المقهى المفتوح المجاور لبناية المجلس رجل صغير القامة نحيف ، يعزف بحماس واندفاع غير عاديين على آلة «الهوريولا» ، وكان الناس الجالسون خلف الموائد يستمعون الى العزف دون ان تبدو منهم اية حركة ، بينما جلس آخرون على درجات السلالم وعلى العشب مقابل المقهى ، وثبتت على آلة «الهوريولا» قطعة من الكارتون كتب عليها بحروف ملتوية : «قوس قزح» ـ اغنية لم تتم ..

تجمعت جمهرة كبيرة من الناس عند حفرة المخبأ . كانوا جميعا مشغولين بامرها . وبدت قبة المدخل البيضاء اللامعة ، والتي لم يتم بناؤها بعد . وامتدت سلسلة بشرية من فيزيائيي المطلق من بناية المسرح الى الحفرة وهم يحملون الرزم والطرود واكوام العلب .

وتذكر جوربوفسكي حالا اللفافة التي اعطاه اياها ماليايف . وحاول ان يتذكر اين وضعها . ربما تركها في غرفة القيادة . او في المطعم ؟ لا ضرورة لتذكر ذلك الآن .. فلا يهم ذلك . يجب ان اكون عديم الاهتمام كليا . غريب ، هل من المعقول ان يأمل الفيزيائيون في شيء ما ؟ نحن نعلم انه لن تنقذ الناس اية مخابيء . ولكن قد يكون هناك امل في انقاذ ثمار عملنا . يمكن للمرء ان يأمل في حدوث معجزة . ومن الطريف ان يأمل في حدوث المعجزة اكثر الناس تشككا ومنطقية في الكوكب ...

وجلس رجل اعمى عند جدار المجلس ، قرب المدخل ، فاتحا ساقيه ، وهو يرتدي بدلة طيار ممزقة ، ولف وجهه بضمادة . وكانت آلة بانجو نيكيلية لامعة ملقاة في حضنه . كان الرجل الاعمى ينصت الى اغنية «قوس قزح» رافعا رأسه .

وظهر من وراء القبة ضابط الملاحة المزيف هانز وهو يحمل على كتفه حزمة ضخمة . وعندما رأى جوربوفسكي ابتسم وقال وهو يواصل طريقه : «اوه ، ايها القائد كيف حال الاولموترونات ؟ هل حصلت عليها ؟ اننامشغولون في دفن الارشيف ... انه عمل متعب جدا . ياله من يوم مجنون ...» . ويبدو انه كان الشخص الوحيد على ظهر الكوكب الذي لم يتسن له

معرفة ان جوربوفسكى هو القائد الحقيقى لسفينة النجوم «تاريبل» .

صاح ماتفى من نافذة «المجلس» مناديا جوربوفسكى قائلا :

— ان «تاريبل» تحلق فى مدارها . لقد ودعتها الآن . كل شئ على ما يرام .

واقترح عليه جوربوفسكى قائلا : — انزل . لنذهب معا ...

فهز ماتفى رأسه بالنفى . وقال :

— لا يا صديقى . فلدى اعمال كثيرة ، والوقت قليل ...

— ثم صمت ، واستطرد شارد الذهن يقول : — لقد وجدت جينيا ، اتعرف اين ؟

قال جوربوفسكى : — يمكننى ان احزر ذلك .

وساله ماتفى : — ولم فعلت ذلك ؟

فقال جوربوفسكى : — اقسم لك ، باننى لم افعل اى شىء .

هز ماتفى رأسه معاتبا ، واختفى فى داخل الغرفة . بينما واصل جوربوفسكى السير .

وخرج جوربوفسكى الى ساحل البحر .. الى البلاج الاصفر الرائع ، ذى السقائف الملونة ومقاعد الاستلقاء المريحة ، والمراكب البخارية والزوارق ، التى اصطفت فى مرسى واطئ . واستلقى فى احد المقاعد ، ومد

ساقيه فى وضع مريح ووضع يده على بطنه ، واخذ يتطلع الى الغرب ، الى شمس المغيب الحمراء . وانتصب من جهتى اليمين واليسار جداران مخمليان اسودان ، فحاول جوربوفسكى الا يلاحظهما .

ودار فى خلده وهو يغفو — كان من الواجب ان انطلق فى هذه اللحظة محلقا نحو كوكب «لالاندا» . ولكنا جلسنا نحن الثلاثة فى غرفة القيادة ، ولحدثتهم اى كوكب رائع هو «قوس قزح» ، وكيف اننى تجولت فى اطرافه جميعا فى غضون يوم واحد . ولالتزم بيرسى الصمت ، وهو يلف خصلات شعر لحيته حول اصابع يده ، ولتشكى مارك بان كل شىء فيه قديم يجلب الضجر الى النفس ، وان الاوضاع واحدة فى كل مكان . ولكنا خرجنا من نطاق الجاذبية غدا فى مثل هذا الوقت ...

ومرت بجانبه مذعورة ، تلك الحسناء ذات خصلات الشيب فى شعرها الذهبى ، والتى قطعت فى الوقت المناسب حديثه الثقيل مع سكلياروف فى المطار الكونى . واخذت تسير خافضة الرأس بمحاذاة الماء على الساحل ، ولم يعد وجهها يبدو جامدا كالحجر ، بل بدت عليه علائم الارهاق الشديد . وتوقفت على مسافة خمسين خطوة ، ووقفت هناك تحدق فى البحر ، وجلست على الرمال ، مسندة ذقنها الى ركبتيها . وفور

ذلك اطلق احدهم زفرة ثقيلة فوق اذن جوربوفسكى ، فرأى خلال عينيه نصف المغمضتين سكلياروف ، وكان يتطلع بدوره الى الفتاة .

وقال بصوت خافت : — ان كل شيء عديم المعنى . ولقد عشت حياة مملة لا قيمة لها . وجاء اسوأ ما فيها فى اليوم الاخير من حياتى ...

فقال جوربوفسكى : — يا عزيزى ، اى خير يمكن للمرء ان ينتظر فى آخر يوم من حياته ؟

— انت لا تعرف شيئا بعد ...

وقال جوربوفسكى : — اننى اعرف. اعرف كل شئ ...

— لا يمكنك ان تعرف كل شئ ... فاننى اسمع بانك تتحدث معى ...

— كيف ؟

— كحديثك مع انسان اعتيادى . بينما انا جبان ومجرم .

فقال جوربوفسكى : — يا روبرت . اى جبان ومجرم انت ؟

ولكن روبرت كرر باصرار : — انا جبان ومجرم . ويبدو اننى اسوأ من ذلك ، لاننى اعتقدت باننى كنت على حق فيما فعلت .

قال جوربوفسكى : — ليس هناك جبناء ومجرمين . اننى اؤمن بالانسان الذى بامكانه ان يبعث بعد الموت ، اكثر من ايمانى بانسان يستطيع اقتراف جريمة .

— لا ضرورة لمواساتى . فاننى اقول انك لا تعرف كل شئ .

فادار جوربوفسكى رأسه نحوه بتكاسل ، وقال مخاطبا اياه :

— روبرت ، لا تضيع الوقت عبثا . اذهب اليها . واجلس الى جانبها . . . اننى مرتاح فى جلستى هذه ، ولكن اذا ما اردت ، فساساعدك . . .

قال روبرت بلهجة حزينة : — ان الامور جميعا لا تسير كما اريد . كنت واثقا باننى سانقذها . وبدا لى اننى على استعداد لعمل اى شىء من اجلها ... لكنه اتضح اننى لست مستعدا لعمل كل شئ ... ، — ثم قال فجأة — سأذهب .

تابعه جوربوفسكى بنظراته ، وكان يخطو بخطوات واسعة وبثقة ، ثم اخذ يبطئ فى السير ، الى ان اقترب منها فى نهاية الامر ، وجلس الى جانبها . ولم تبد هى اية حركة .

وتطلع جوربوفسكى اليهما بعض الوقت ، وحاول ان يفكر فى الامر .. هل سيحسدهما ام لا ، ثم استغرق فى النوم كليا . وايقظته لمسة من شىء بارد . ففتح احدى عينيه ورأى كاميل ، بخوذته الغريبة العتيدة ، ووجهه الذى يعبر عن عدم الرضى ، والصرامة ، وعينيه المدورتين الخامدتين .

— فقال له كاميل :— كنت اعرف انك هنا يا ليونيد . ولقد بحثت عنك .

فغمغم جوربوفسكى قائلا :— مرحبا يا كاميل . يبدو ان معرفة كل شئ امر ممل جدا .

جذب كاميل احد المقاعد ، وجلس الى جانب جوربوفسكى جلسة رجل كسر عموده الفقرى . وقال له :

— هناك اشياء تثير الملل اكثر . لقد ضجرت من كل شئ . وكان ذلك خطأ فاحشا .

وسأله جوربوفسكى :— كيف الاحوال فى العالم الآخر ؟

— هناك يسود الظلام ، — وصمت كاميل — لقد لقيت حتفى اليوم ثم بعثت الى الحياة ثلاث مرات ، وكان ذلك مؤلما جدا فى كل مرة .

فكرر جوربوفسكى كلامه قائلا :

— ثلاث مرات . ان هذا رقم قياسى . — وحدق فى كاميل النظر وقال : كاميل ، قل لى الحقيقة . اننى لا استطيع ان افهم . هل انت ... انسان ؟ لا تخجل من ذلك . فاننى لن استطيع قول ذلك لاحد ما .

استغرق كاميل فى تفكير عميق ، ثم قال :

— لا اعرف . انا ... آخر مجموعة «الثلاثة عشر» . لقد فشلت التجربة يا ليونيد . تجربة الانتقال من حالة

«اريد ، لكننى لا استطيع «الى حالة» استطيع ، لكننى لا اريد» ... انه لامر ممل الى حد لا يطاق ، — استطيع ... ولا اريد .

كان جوربوفسكى يستمع الى حديثه مغمض العينين . ثم قال :

— نعم . اننى افهم . استطيع ولكن لا اريد ، انها صفة الماكينة ، والملل هى صفة من صفات الانسان .

قال كاميل :

— انت لا تفهم شيئا . انك تحب احيانا ان تحلم بحكمة الشيوخ ، الذين تنعدم لديهم الرغبات والاحاسيس وحتى العواطف ، بالعقل الذى تنعدم فيه المشاعر الانسانية . والدماغ المصاب بعمى الالوان . و«رجل المنطق العظيم» . ان الاساليب المنطقية تتطلب تركيز الذهن المطلق . ومن اجل الوصول الى هدف ما فى العلم ، يجب التفكير ليل نهار فى شئ واحد ، والقراءة حول نفس هذا الشىء فقط ، والتحدث حول نفس هذا الشئ ... والى اين المهرب من نفسية الانسان الكثيرة الابعاد ؟ ومن قدرة الانسان الوراثية على الاحساس .. وفى ان يحب وان يحب ، وان يقرأ عن الحب ، وفى حاجته للتلال الخضراء ، والموسيقى ، واللوحات الفنية ، وعدم القناعة ، والخوف ، والحسد ... واذا ما حاولت ان تحد من مشاعرك ،

فسرعان ما تخسر جزءا كبيرا من السعادة . وانت تدرك تماما ، انك تخسره . وعندئذ ، ومن اجل ان تحطم فى دخيلتك هذا الاحساس ، وان تضع حدا لهذا الازدواج المؤلم ، تخصى نفسك . فتقتلع من نفسك ذلك النصف المولد للمشاعر الانسانية ، وتبقى فى دخيلتك رد الفعل تجاه العالم المحيط بك — اى الشك . «التشكك !» — ولزم كاميل الصمت — .وعند ذلك تقع فريسة للوحدة . — ونظر بكآبة الى عتمة البحر فى المساء ، والى البلاج الذى اخذ يميل الى البرودة ، والى المقاعد الخالية ، التى تترك على الرمال ثلاثة ظلال مبعثرة غريبة . —وكرر قائلا :—الوحدة ... كنتم دائما ، ايها الناس ، تتركونى وحيدا . كنت دائما مغفلا لا نفع فيه ، لجوجا لا يفهم من كلامه شىء . وستذهبون الآن ايضا ، وسابقى لوحدى . وسابعث حيا من جديد هذه الليلة ، وساكون وحيدا على ظهر هذا الكوكب الميت ، المغطى بالرماد والثلوج .

وفجاة سمع ضجيج على البلاج . كان رجال التجارب يسيرون ، وهم يغوصون فى الرمال ، نحو البحر — كانوا ثمانية من رجال التجارب ، ثمانية تحليقات مطلق لم يقدر لها ان تتم . وقد حمل سبعة منهم الرجل الثامن وهو الاعمى ، الذى لفّ وجهه بالضمادات . وكان الاعمى

متهدل الرأس ، وهو يعزف على آلة البانجو لحنا ما ، بينما كان الآخرون ينشدون :

عندما داهمتك الكارثة الرهيبة
كبحر قاتم المياه
وغمرتك حتى الصدر ،
لم تنكس الرأس ،
بل نظرت الى السماء الزرقاء
وتابعت المسير ...

ونزلوا جميعا الى البحر حتى الخصر ، وهم يرددون اغنيتهم ، دون ان يتطلعوا الى ما حواليهم ، ثم غاصوا الى صدورهم ، واخذوا يسبحون نحو الشمس الغاربة ، وهم يحملون رفيقهم الاعمى على ظهورهم . وكان ينتصب عن يمينهم جدار اسود كاد يبلغ كبد السماء ، كما انتصب عن يسارهم جدار اسود كاد يبلغ ايضا كبد السماء . . ولم تبق سوى ثغرة سوداء ضيقة ومعتمة فى السماء ، والشمس الحمراء ، والطريق الذهبية التى كانوا يسبحون فيها ، وسرعان ما اختفوا عن الانظار كليا فى بقع النور المتارجحة ، وسمع رنين البانجو فقط وغنائهم . .

لم تنكس الرأس ،
بل نظرت الى السماء الزرقاء
وتابعت المسير ....